الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية

تأليف
الأستاذ الدكتور كامل سلامة الدقس
الأمين العام المساعد لشئون الجامعات
والدراسات والبحوث
رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة
وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز – بجدة –

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الاعتداءات الباطنية
على المقدسات الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا ، وعمره بالبركات والخيرات ، وأحاطه بالأنوار الإلهية ، والأسرار القدسية ، والصلاة والسلام على النبى الأمين ، سيد الأولين والآخرين ، وخاتم المعصومين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، الذى جعل الله مكة مولده ، ومرباه ، ومبعثه ، ومسراه ، والمدينة المنورة مهجره ، ومقامه ، ومثواه . وبعد .

فقد جعل الحق سبحانه وتعالى الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين ، وصفة من صفاتهما ، وخاصية من خصائصهما التى اختصهما وميزهما بها على بقية البقاع والأماكن .

فليس فى الوجود كله مكان حظى بالشرف ، والطهر والقداسة فى ضمير الإنسانية عبر أجيالها وعصورها المتعاقبة كما حظى الحرمان الشريفان .

وإن المستقرئ لتاريخ الإنسانية فى القديم والحديث لا يجد ، وسوف لن يجد ، وإلى أن تقوم الساعة ، ما هو أعز على نفوسهم وأقدس فى حياتهم منهما ، الأمر الذى يمكن أن يقال معه : إن الحرمين الشريفين كانا قد احتلا فى نفوس المؤمنين بالله ، موضع الروح من الجسد ، فأجمع المسلمون على تعظيم الحرمين وتقديسهما والعناية بهما ، وتعلقوا بهما ، وأحبوهما ، وربوا أبناءهم على ذلك . وظلت هذه الأمة مصونة مكرمة ما عظمت وقدست الحرمين ، كما وعدها بذلك سيد الخلق عليه السلام : « لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فإن ضيعوا ذلك هلكوا » رواه ابن ماجة .

وعلى هذا أصبح تعظيم وتقديس الحرمين علامة على صحة الإيمان وقوته ، والاستهانة بهما والاعتداء عليهما علامة على النفاق والفسوق والعصيان ؛ ولذا فقد كان عصر النبوة ، هو أكثر العصور تعظيما للحرمين ، ويلى ذلك عصر الخلافة الراشدة ، ثم جاءت عصور مختلفة تفاوتت فيها حرمة الحرمين وقداستهما عند

المنتسبين للإسلام ، فالذين استقامت عقيدتهم ، وعمر الإيمان والتقوى قلوبهم التزموا التعظيم وترجموه إلى واقع عملى مشهود . والذين انحرفت عقيدتهم ، وزاغت قلوبهم ، وخبثت نفوسهم ، لم يعرفوا لهذه القدسية قيمتها ، وترجمت أفعالهم وأقوالهم على مكنونات ضمائرهم ونتن قلوبهم .

وعلى هذا بقيت للحرمين الشريفين مكانتهما وقدسيتهما فى نفوس المؤمنين ؛ لأنهم عرفوا أن من أحدث فيهما حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله ورسوله والناس أجمعين ؛ ذلك لأن أى إحداث أو قول أو فعل منكر أو همّ بالاعتداء فيهما يعد جريمة وظلما يتنافى مع حرمتهما وقداستهما ويستحق المحدث أو الذى يهم بالاعتداء كل أنواع التهديد والإنذار والوعيد الشديد ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

لقد جعل الله تعالى كل شيء فى هذه البقاع الطاهرة المقدسة فى أمان عميم ، وسلام عظيم ؛ الإنسان والحيوان والطير والشجر والحجر . كل شيء آمن بأمان الله لا يخشى اعتداء ، ولا يخاف أحدا إلا الله رب العالمين . وكيف يخاف ويخشى وهو فى حرم الله وفى ضيافة الله ، وفى حماية الله وكفالته كما قال ﷺ : « الحاج فى ضمان الله مقبلا ومدبرا » . كيف يخاف ويخشى وهو فى البلد الحرام وحول البيت الحرام ، وفى الشهر الحرام ، حيث قطع الله تعالى كل بواعث الاعتداء ، أو الانتقام أو الإجرام ؟ ؟ ؟

فقد جعل الله تعالى قدسية الحرمين عقيدة يقينية توفيقية بنص الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

ونص عليها الرسول ﷺ بقوله : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة » . وهذه الحرمة أزلية أبدية منذ أن خلق الله السموات والأرض وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وكما جعل المكان مقدسا فقد جعل الزمان مقدسا أيضا فقال عز من قائل : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات

والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ .

فهذه القدسية ناموس كونى ثابت لا يتغير ولا يتبدل أبدا ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ وهى شرعة دينية ماضية ما دامت السموات والأرض ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ .

وكما جعل المكان والزمان مقدسا فقد جعل الإنسان مقدسا ، فلا تقل قدسية الإنسان عن قدسية الزمان والمكان ، فما قدس الزمان والمكان إلا لأجل هذا الإنسان ، وعلى هذا المعنى نبه نبى الإنسانية ، ولفت الأذهان إلى قدسية الإنسان ، وجعل بين القدسيتين وشيجة وآصرة دينية ، فقال حين كان يطوف بالكعبة المشرفة وينظر إليها نظرة الإجلال والتقديس : « ما أعظمك وما أعظم حرمتك وما أطيبك وما أطيب ريحك والمسلم أعظم حرمة عند الله منك » .

ولذا فقد اعتبر المسلمون قديما وحديثا الاعتداء على حرمات الله ومقدسات المسلمين أو التعرض للآمنين والقاصدين بيت الله ومسجد رسول الله إنما هو اعتداء على ذات الله ، واستهانة بحرمات الله ،وخروجا من دين الله ، وإعلانا للحرب على الله ، فرسول الله يقول : « الحاج فى ضمان الله مقبلا ومدبرا » . فكيف يتجرأ من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان على الاعتداء على ضيف من ضيوف الله ، وهو فى ضمان الله مقبلا ومدبرا ؟ وكيف تكون بشاعة هذا الاعتداء فى الشهر الحرام والبلد الحرام وعلى الدم الحرام ؟ !

وعلى الرغم من كل هذا التقديس والإجلال والإعظام الذى أحاط الله تعالى به الحرمين الشريفين ، إلا أن هاتين المدينتين المقدستين ظلتا مسرحا للصراع الدموى الرهيب بين المؤمنين المدافعين عن قداسة وحرمة الحرمين وبين الباطنيين الحاقدين الذين لم يرعوا لهذين الحرمين ولا للدم المؤمن – دم الطائفين والعاكفين والركع السجود – أية حرمة .

لقد ظلت هذه المقدسات والدماء الإسلامية الزكية هدفا للمتربصين من أعداء هذا الدين من الباطنيين والمجوسيين ؛ تلاميذ عبد الله بن سبأ اليهودى الذى بذر الفتنة ، وأنشأ هذه الفرق الباطنية ، التى تظاهرت بالحب والولاء لآل البيت ،

وأبطنت مجوسيتها وحقدها على الإسلام والمسلمين والمقدسات الإسلامية ﴿ لا يرقبون فى مؤمن إلّا ولا ذمّة ﴾ ولا يرعون للحرمين حرمة .

لقد تعرض الحرمان الشريفان والحجاج والعمار لأحداث أليمة ، ووقائع جسيمة ، حيث كانت أول الاعتداءات وأبشع المؤامرات على المقدسات تلك التى دنست حرمة الحرم المدنى الشريف ، حيث امتدت اليد الآثمة الخبيثة إلى الفاروق عمر رضى الله عنه ، وهو قائم يصلى فى محراب رسول الله ﷺ فلم تعبأ بقدسية المكان ، ولا الدم الطاهر المصون . واشترك فى هذه المؤامرة الخبيثة أبو لؤلؤة المجوسى الفارسى ، ومعه الهرمزان رأس الكفر المجوسى ، وجفينة النصرانى . ثم جاء الاعتداء الأثيم الثانى على ثالث الخلفاء الراشدين « ذى النورين » عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فى الحرم المدنى ، على يد نفس تلك الطغمة الباطنية الحاقدة .

وتوالت المؤامرات والمكائد والدسائس على الدولة الإسلامية ومقدساتها وأعظم رجالاتها طوال التاريخ ، وظلت المدينتان المقدستان (مكة والمدينة) مسرحا للاعتداءات الباطنية الرهيبة التى أهلكت الحرث والنسل ، وملأت الأرض ظلما وجورا ، وسامت المسلمين الخسف والهوان . وذلك من سنة ٣٥ هجرية منذ وقع الخلاف المشهور بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، فانتهز المجوس واليهود هذه الفرصة لتفريق كلمة المسلمين وإثارة الفتن والعداوة بينهم إذا التحمت المؤامرة اليهودية والمجوسية فى الكيد للإسلام والمسلمين حيث استغل هؤلاء الشياطين حب المسلمين لآل البيت ، وأحيوا عقائدهم اليهودية والمجوسية ، وبثوا سمومهم وأحقادهم فى الأمة الإسلامية . واستطاعت هذه الحركات الباطنية التى ظلت تعمل فى سرية وذكاء ودهاء أن تنشر عقائدها الباطلة فى صفوف السذج من أبناء الأمة ، وتمكنت بذلك من إقامة دويلات باطنية على أنقاض الأمة الإسلامية بدأت منذ سنة ١٢٩ فى (مرو) بزعامة أبى مسلم الخراسانى حيث ظهر المجوس على حقيقتهم عام ١٣٢ وأشفوا غيظ قلوبهم من العرب والمسلمين وأشبعوهم قتلا وتنكيلا وبطشا . ومنذ ظهور الدولة العباسية سيطر الفرس على خلفاء بنى العباس وظهرت الحركات الباطنية الفارسية مثل (الراوندية التى تؤمن بتناسخ الأرواح) وحركة الزنادقة التى كانت امتدادا لحركة

(مانى) وعاد الفرس إلى عاداتهم ومعتقداتهم المجوسية الكافرة ، ومضوا فى مؤامراتهم وكيدهم للقضاء على قوة المسلمين وتمزيق وحدتهم واستئصال شأفتهم . فقامت دويلات فارسية مجوسية منذ القرن الثالث الهجرى حيث قامت الدولة الطاهرية سنة ٢٥٩ هـ ثم ظهرت دولة القرامطة سنة ٢٧٨ هـ . ومؤسسها هو : الحسن بن حمد سعيد الجنابى القرمطى من أهل جنابة بفارس وهو مجوسى الأصل – وجميع القرامطة من الفرس – وكانت الدعوة القرمطية صورة لدعوة مزدك الشيوعية الإباحية ، والجميع يعرف ماحل بالمسلمين والمقدسات على أيديهم . وفى سنة ٣٣٤ هـ قامت الدولة البويهية وهى أسرة فارسية من سلالة سابور ذى الأكتاف ونشروا معتقداتهم المجوسية بالقوة .

ثم جاء دور العبيديين سنة ٢٩٦ هـ فى المغرب ثم فتحوا مصر سنة ٣٥٨ هـ ثم فتحوا بلاد الشام ، وينتسبون إلى عبد الله بن ميمون القداح وهو مجوسى من أشهر الدعاة السريين الباطنيين ومن دعوته صيغت الدعوة القرمطية .

ومن أشهر حكام العبيديين الحاكم بأمر الله الذى ادعى الألوهية والذى بعث دعاته فى كل مكان يبشرون بمعتقدات المجوس بالتناسخ والحلول ويزعمون أن روح القدس انتقلت إلى على بن أبى طالب ثم انتقلت روح على بن أبى طالب إلى الحاكم بأمر الله ، وهو ما اعتقده (الخمينى) وبنى عليه فكرته فى (ولاية الفقيه) أو النائب عن الإمام المنتظر .

ثم جاءت الدولة الصفوية التى قامت فى تبريز سنة ٩٠٦ هـ – ١٥٠٠ م ، وكانت لا تقل شراسة وخطورة وحبا للاعتداء عن القرامطة والعبيديين – كما سترى فى هذا الكتاب – فقد لاقى المسلمون السنة فى إيران فى عهد الدولة الصفوية من الاضطهاد والتعذيب والتقتيل والتهجير ما يتجاوز الوصف . وتحتفظ كتب التاريخ والوثائق الصفوية نفسها بصور من الاضطهاد والتعذيب الذى مارسه الشاه إسماعيل الصفوى وخلفه الشاه عباس الكبير مما يقشعر لهوله الأبدان .

ولقد كرست الدولة الصفوية جهودها منذ تأسيسها على الاستيلاء على العراق ووضع يدها على العتبات المقدسة ، ودخلت فى حروب طاحنة مع الدولة العثمانية من أجل ذلك ، مما سبب منع وصول الإسلام إلى كل بيت فى أوربا كما شهد

بذلك علماء التاريخ .

وقد سجلت المصادر التاريخية والأدبية نماذج من الأعمال المخزية والأفعال القبيحة لهذه الدولة واستهانتها بدماء المسلمين ومقدساتهم وعلمائهم ؛ من ذلك نبش قبر الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) وإخراج عظامه وحرقها ودفن كلب أسود مكانها ، وجعل مكان القبر مرحاضا عاما لأهل سوق بغداد(١) .

وقد دأب الصفويون على الاستهانة بالحج والحجاج والاعتداء على قوافل الحج السنية القادمة من آسيا عبر إيران والعراق . وقرر علماء الصفويين أن من شروط الحج إعلان البراءة من المشركين ، وأن هذه البراءة ينبغى أن تعلن من خلال مسيرات وهتافات ، وقد حرصوا على إعطاء الحج مفهوما سياسيا وبعدا باطنيا جديدا يحقق لهم أغراضهم فى الاعتداء على الحرمين والاستيلاء عليهما وقتل المسلمين فيهما .

وهو الشيء ذاته الذى فعله الخمينى فى حربه مع العراق ، واعتداءاته على الحرمين الشريفين . فقد أعلن أنه (سيحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدى الكفار) وأن تحرير الأقصى يبدأ بتحرير الحرمين .

وبعد ؛ فهل من المصادفة أن يظهر هؤلاء الباطنيون فى أزمنة متقاربة ؛ العبيديون سنة ٢٩٦ هـ والبويهيون سنة ٣٣٤ هـ والقرامطة سنة ٢٧٨ هـ ، وهل من المصادفة أن يتقاسموا العالم الإسلامى على هذا النحو ؛ البويهيون فى العراق والقرامطة فى شبه الجزيرة العربية والعبيديون فى مصر والشام ؟

وهل من المصادفة أن يلج الجميع من باب حب آل البيت والتشيع لهم ؟ أم هو كما قال الأستاذ أحمد أمين (إن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ، كل هؤلاء كانوا يتخذون من حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم) .

---

(١) الأنوار النعمانية ، ٢/٣٢٤ .

وهل من قبيل المصادفة أن يرجع البويهيون والقرامطة والعبيديون إلى أصول فارسية ؟ وهل من المصادفات أن تتشابه عقائدهم وأن تكون هى نفسها عقائد مزدك وماني وزرادشت ؟

ومن هنا تدرك – أخى القارئ – جليا أن إيران الفرس مجوسية منذ أعمق التاريخ وحتى محمد رضا بهلوى قد صرح بذلك ضاربا عرض الحائط بالإسلام والمسلمين ، فقد قال : مبادئ الدين المجوسى كافية لإيران وللبشرية ولا حاجة إلى الإسلام) .

وأخيرا جاء دور الخمينى الأكثر مجوسية وفارسية لبعث العقائد المجوسية من جديد ،وإثارة الأحقاد الباطنية والشعوبية للقضاء على الأمة الإسلامية وإقامة الإمبراطورية الفارسية المجوسية .

إن هذه الحركة الخمينية حركة مريضة تحمل معها كل أمراض التاريخ الباطنى وأحقاده الدفينة .

إنها الشعوبية الباطنية القرمطية العبيدية الصفوية الجديدة تطل برأسها مستترة بالإسلام لتضرب العرب بالمسلمين والمسلمين بالعرب ، وتقضى فى النهاية على العرب والمسلمين .

فعلى علماء الإسلام ودعاته تنبيه الأمة إلى خطر هذه النحلة الخمينية الضالة وتوضيح أبعادها العقائدية والفكرية والسياسية والكشف عن جذورها التاريخية وأهدافها التوسعية ونواياها العدوانية وإرادتها إلحاق الشر بالإسلام والمسلمين والمقدسات الإسلامية . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

المؤلف

الأستاذ الدكتور / كامل سلامة الدقس

الأمين العام المساعد لشئون

الجامعات والدراسات والبحوث

قدسية الحرمين الشريفين

إن الأمم الراقية تحتفظ بآثار أسلافها ، وتصون تراث أجدادها ، وتخلد ذكرى أبطالها ، ورسل الإصلاح فيها . وقد حث الإسلام على ذلك فأمر بشد الرحال إلى الأماكن المقدسة ، والمواطن الطاهرة ، مهاجر الأنبياء ، ومنار العبادة الحق ، ومهد الإيمان الصحيح .

فقال ﷺ : « لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد ؛ المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » . رواه الشيخان .

فهذه المساجد الثلاثة أقدس مقدسات المسلمين ، لما اختص الله تعالى به كل واحد منها بالمزايا والفضائل .

فكما فضل الله تعالى بعض النبيين على بعض ، فقد فضل بعض الأماكن والأزمان على بعضها ، واختص كل واحد منها بفضل ، وشرفه بميزة جعلته يفضل جميع البقاع ويسمو على جميع الأمكنة .

ففى هذه المساجد الثلاثة ذكريات للتاريخ مجيدة ، وآيات لله عجيبة ، فهى بقاع تحمل من التاريخ سطورا رائعة ، ومن الآثار عبرا خالدة ، فزيارتها ترجع بالنفس إلى عهود سحيقة ، وعصور بعيدة ، تذكر فيها النفس المعارك الطاحنة بين الحق والباطل ، والكفاح المضنى بين النور والظلمة ، وتتذكر جهاد رسل الحق وانتصارهم ، ومهاجمة جنود الله لجنود الشيطان واندحارهم ، فتشتد العزائم ، وتستيقظ الهمم ، فتجد الروح برد اليقين ، وتذوق النفس حلاوة الإيمان ، وتتيه بمجد أسلافها ، وتعتز بسالف مجدها ، فتنهض للاقتداء بهم ، واقتفاء أثرهم ، والسير على سننهم .

والمسجد الحرام أعظم المساجد الثلاثة وأفضلها ، ويليه فى الفضل المسجد النبوى ، ثم يليه المسجد الأقصى .

ففى المسجد الحرام أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده ، فى حين أن بقية

الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركًا وهدى للعالمين ﴾ .

والمساجد فى جميع بقاع الأرض بيوت الله ، وفيها نتقرب إليه بالجماعة والاجتماع والذكر والاعتكاف . وهذه البيوت تكون عادة باختيار عباد الله الذين يتقربون إليه بأحب الأعمال إليه . فكيف يكون التقرب إليه فى أول بيت اختاره الله سبحانه بنفسه ، وجعله مثابة للناس وأمنا ؟ وكيف تكون البقعة لأول بيت وضعه الله للناس أجمعين إلى يوم الدين ؟ فقال عز من قائل : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ .

فهو بيت الله تعالى باختياره ، وتلك علة قداسته وسر حرمته ، وبيت الله مكان ، وبناء الكعبة مكين ، وقد رفع رمزا لمركز القداسة ووحدة التوجه .

وفى المسجد الحرام من الآيات الباقية ؛ مقام إبراهيم عليه السلام ، وفيه الحجر الأسود ، والركن اليمانى ، وغير ذلك مما سيأتى ذكره ، إن شاء الله .

وقد يطلق المسجد الحرام ، ويراد مكة كلها ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ .

ولقد جمعت مكة بين فضيلتين لم يتح لبلد سواها أن تجمع بين واحدة منها :

أولاهما : أن بها بيت الله المحرم الذى جعله الله سبحانه وتعالى قبلة المسلمين ومكان استجابة دعاء اللائذين والتوابين .

وثانيهما : أنه ولد بها أفضل الخلق وأكرمهم عليه محمد عليه الصلاة والسلام ، وفيها نشأ وترعرع ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وأوذى وطورد حتى هجرها مرغما ، وعاد إليها فاتحا منتصرا .

وأما الحرم النبوى فيكفى فى فضله أنه موضع منبره صلوات الله وسلامه عليه ومقام مصلاه ، ودار آخرته وأولاه ، وأنه بجانب حجرته المعظمة التى ضمت أعظمه .

أما بيت المقدس ، فهو معهد الأنبياء ، ومتعهد الأولياء ، وثانى البيت الحرام

فى البناء ، وأول القبلتين حال الابتداء ، ومن صخرته المقدسة المعراج حيث عرج بخاتم الأنبياء ، من حضرة القدس إلى حضرة القدس ، وبسط له بساط الأنس ، ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم ، ولا وصل إليه ملك مقرب ، ولا نبى كريم ، وقد أم فى ذلك المسجد النبيين وصعد منه إلى أعلى عليين .

فقد اختص الله تعالى هذه الأماكن المقدسة بخصائص وفضلها على سائر الأمكنة ، بمقتضى حكمته فى تفضيل بعض الأمكنة على بعض ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ كما فضل بعض الأزمنة ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ وفضل الرسل بعضهم على بعض ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ .

فالحمد لله الذى يخلق ما يشاء ويختار ، ويصطفى مما يخلق ما يشاء أمكنه وأزمنة وأشخاصا ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ .

ومن الآثار النبوية : « أن لله خواصًا فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص » وإذا كانت الخواص فى أشخاص أشاد القرآن الكريم بذكرها كالأنبياء والأخيار ، أو فى أزمنة رفع الله من شأنها ، حتى أقسم بها ؛ كالفجر ، والضحى ، والليل فإننا ننهض فى تقديس وإكبار إلى الكتابة فى الحرمين الشريفين وقدسيتهما ونرجئ الحديث عن المسجد الأقصى[1] لنفرده بالتأليف والشرح والتوضيح وإزالة كل الملابسات والشبهات التى أطلقها اليهود عن حقهم المزعوم فيه ، وتفنيد هذه المزاعم بالأدلة الموضوعية ، والوثائق التاريخية والنصوص الصريحة الصحيحة بإذن الله .

ولذا سنقصر الحديث فى كتابنا هذا على المسجد الحرام والمسجد النبوى ؛ لبيان حرمتهما وقداستهما وعناية المسلمين بهما ، والمؤامرات الدولية عليهما .

---

(١) لقد أفردنا المسجد الأقصى وفلسطين بكتاب تحت الطبع أسميناه (الجهاد طريقنا لتحرير الأقصى وفلسطين) .

مفهوم المسجد الحرام فى القرآن الكريم

إن المتدبر فى آيات القرآن الكريم ، يراها قد اهتمت بالحديث عن المساجد بصفة عامة ، وعن المسجد الحرام بصفة خاصة . ومن مظاهر هذا الاهتمام ، أن الله تعالى قد نوه بعلو شأنها بقوله :

﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

كذلك من مظاهر هذا الاهتمام ، أن الله تعالى قد بين أن هذه المساجد التى تقام فيها العبادات ، يجب أن تنسب إليه وحده ، وأن تنزه عن أن يوجد فيها ما يتنافى مع دينه وشريعته فقال : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ .

وقد مدح الله تعالى الذين يعمرون مساجد الله ، بأى نوع من أنواع العمارة ، فقال عز من قائل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

فعمارة المساجد ؛ بالبناء ، والتنظيف ، والصلاة ، والاعتكاف ، والعبادة . ولذا فقد توعد الله تعالى الذين يسعون فى خراب بيوت الله بأشد أنواع العذاب ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

قال القرطبى : (وخراب المساجد قد يكون حقيقيا ، كتخريب بختنصر والرومان لبيت المقدس ، حيث قذفوا فيه بالقاذورات وهدموه ، ويكون مجازًا كمنع المشركين للمسلمين ، حيث صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام .

وقال القرطبى :

(وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة ، وعن إظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها) .

والمعنى : لا أحد أظلم ممن حال بين المساجد وبين أن يعبد فيها الله تعالى ، وعمل على خرابها بطريق هدمها ، أو بطريق تعطيلها عن إقامة العبادة فيها .

وقد بين سبحانه مصير هؤلاء الظالمين فى الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

فالهوان والذلة والخزى والخوف مصيرهم فى دنياهم وأخراهم .

وقد بلغ من عناية الله تعالى بالبيت العتيق ، أن يتعرض له القرآن الكريم صراحة وضمنا ، تسعا وخمسين مرة ، نراها منثورة من سورة البقرة إلى سورة النصر ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ... ﴾ الأية .

وقد وردت الإشارة إلى المسجد الحرام بلفظ (بيت) ٢٥ مرة ، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم ومصلى مرة واحـدة ، وقد ورد اسم المسجد الحرام فى سورة البقرة وحدها فى ستة مواضع :

الأول : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

الثانى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

الثالث : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

الرابع : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ﴾ .

الخامس : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ .

السادس : ﴿ والمسجد الحرام وإخراج أهله منه ﴾ .

وفى سورة المائدة موضع : ﴿ إن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ .

وفى سورة الأنفال : ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ .

وفى سورة التوبة ثلاثة مواضع : ﴿ إلّا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ .

وقوله : ﴿ وعمارة المسجد الحرام ﴾ ، وقوله : ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ .

وفى سورة الإسراء ورد ذكر المسجد الحرام فى موضع واحد : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ﴾ .

وفى الحج : ﴿ والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس ﴾ .

وفى الفتح موضعان ﴿ وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾ ، وقوله : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام ﴾ .

وذكر الماوردى فى « الحاوى » فى كتاب « الجزية » أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام ، فالمراد به : « الحرم » إلّا فى قوله تعالى ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ فإنه أراد به الكعبة .

وأما ابن أبى الصيف اليمنى فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر : منها ما أراد به الكعبة كقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ ، ومنها ما أراد به مكة كقوله تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ . وقد روى أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب .

ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ .

وقد روى النسائى فى سننه من حديث ميمونة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الكعبة » .

وفى رواية ابن ماجة : « صلاته بمكة بمائة ألف » ، مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة والمصلى فيه مصل بمكة .

قال : والإنصاف إنما ينصرف إلى المسجد الذى قدر به الطواف ولهذا ورد : كنا بالمسجد الحرام وخرجنا من المسجد الحرام واعتكفنا فى المسجد الحرام وبتنا فيه .

ولا شك أن مساجد الحرم متعددة . واختص هو من بينها بالمسجد الحرام فى العرف .

فإذا قلنا (المسجد الحرام) صرف إلى المسجد المعروف الذى ثبتت مسجديته ويحرم على الحائض والنفساء الدخول فيه .

واختص من بين مساجد الحرم المتعددة بمزية حلول الكعبة فيه والطواف .

وأما خصائص المسجد الحرام ومزاياه فإنها ثابتة للمسجد الحرام بالمعنى العام الذى يشمل الحرم كله ، وهى كثيرة تزخر بها كتب السنة المشرفة وفقه المناسك وغيرها .

ومن هنا يتبين كثرة حديث القرآن الكريم عن المسجد الحرام وتنوعه ؛ فمرة يذكره باسم (البيت) ، ومرة باسم (البيت الحرام) ، أو (بيتى) بالإضافة إلى الله عز وجل ، أو بغير ذلك من الألفاظ التى فيها من الشرف والإجلال لهذا المكان المطهر .

والمتدبر فى هذه الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن عن المسجد الحرام يرى منها ما يتعلق بالأمر بالتوجه إليه عند الصلاة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام .. ﴾ الآية . ومنها ما يتعلق بوجوب تطهيره وصيانته من كل رجس كما فى قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ . ومنها ما يتعلق بحكم القتال أو العهود عنده ، كما فى قوله سبحانه : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴾ .

ومنها ما يتعلق ببعض أحكام الحج الملابسة له كما فى قوله تعالى : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ .

ومنها ما يتعلق بسمو مكانته ، وعلو قدره ، وكثرة منافعه ، كما فى قوله عز وجل : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ أى به قوامهم فى إصلاح أمورهم دينا ودنيا وأولى وأخرى .

من هذا العرض نرى أن القرآن الكريم ، قد تحدث حديثا مفصلا عن البيت الحرام ؛ حديثا يدل على علو شأنه وعلى سمو مكانته ، وعلى وجوب تطهيره من كل رجس سواء أكان حسيا أو معنويا ﴿ وطهر بيتى للطائفين والقائمين .. ﴾ الآية ، حديثا يهدد فيه تهديدا شديدا من يسيئون إليه بأى لون من ألوان الإساءة ، ويمنعهم من دخوله أو الاقتراب منه ، حتى ثبت إصرارهم على باطلهم وعلى ضلالهم : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم * وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

والمعنى : أن الذين أصروا على كفرهم بما أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ واستمروا على منع أهل الحق من أداء شعائر الله تعالى ومن الطواف بالمسجد الحرام . إن هؤلاء الذين يفعلون ذلك ، سوف ننزل بهم الخزى فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة .

قال الإمام القرطبى : وقوله سبحانه ﴿ والمسجد الحرام ﴾ المقصود به المسجد نفسه ، وهو الظاهر لأنه لم يذكر غيره .

وقيل المراد به : الحرم كله ؛ لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية ، فنزل خارجا عنه .

وهذا صحيح ، لكنه – سبحانه – قصد هنا بالذكر الأهم وهو المسجد الحرام[١] .

وقوله سبحانه : ﴿ والذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ تشريف

---

(١) تفسير القرطبى ، ٢٣/١١ .

لهذا المكان ، حيث جعل الناس – سبحانه – تحت سقفه سواء ، وتشنيع على الكافرين الذين صدوا عنه .

أى جعلنا هذا المسجد الحرام للناس على العموم يصلون فيه ، ويطوفون به ويحترمونه ، ويستوى تحت سقفه من كان مقيما فى جواره ، وملازما للتردد عليه ، ومن كان زائرا له ، وطارئا عليه من أهل البوادى ، أو من أهل البلاد الأخرى سوى مكة .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يتعرض له »[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ تهديد شديد لكل من يحاول ارتكاب شيء يخل بأمن الحرم مما نهى الله ورسوله عنه . والمعنى : ومن يرد فى هذا المسجد الحرام إلحادًا (أى ميلا فى دين الله) وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها ، نذقه من عذاب أليم لا يقادر قدره ، ولا يعلمه إلّا الله .

ويدخل تحت هذا التهديد الشديد ، كل ميل عن الحق إلى الباطل كالنطق بالأقوال الباطلة ، وكترويج المذاهب الفاسدة ، والدعاية لشخص أو حزب أو طائفة – كما سيأتى ذكره إن شاء الله .

وفى المقابل فقد مدح الله تعالى الذين يحرصون على تعمير المساجد عن طريق بنائها وتنظيفها ، والتردد عليها للعبادة ، ويدافعون عن حرماتها ، فقد وعدهم المولى الكريم بأن ينزلهم المنزلة اللائقة بهم من التشريف والتكريم ، ولهم جزيل الثواب ، وأعلى الدرجات فى الجنة . فقال عز من قائل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

أول بيت وضع للناس :

لقد ورد فى معنى قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس « حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ١٦٨/١ .

جملة روايات ذكرها المفسرون والمحدثون من أهل العلم فى مصنفاتهم كونه هو أول بيت وُضع فى الأرض قبل أن يبنى أى بيت ، وضع فى الأرض ليكون قبلة للناس ويعبد الله تعالى فيه .

وأما كونه أول بيت وضع للناس بمكة ، المراد منه الكعبة المعظمة ، فهذا لا اختلاف فيه بين أهل العلم مطلقا . فالبيت العتيق بقعة اختصها الله فسماها المسجد الحرام ، وهو الكعبة التى جمع الله لها وصف المسجدية والحرمة ، والبيتية ، وقد وصفه بالعتاقة إيذانا بأصالته فى الشرف ، وتأكيدا على أنه أول بيت وضع فى الأرض للعبادة .

قال تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ . وقال : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ وقال : ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ . وقوله : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ قيل : بكة اسم لموضع المسجد ، ومكة : اسم للبلد بكاملها وأصل كلمة بكة من البك وهو التزاحم . يقال : تباك القوم إذا تزاحموا ، وكأنها سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها . والبك أيضا دك العنق ، وكأنها سميت بذلك لأن الجبابرة تندق أعناقهم إذا أرادوها بسوء .

والمعنى : إن أول بيت وضعه الله تعالى للناس فى الأرض ، ليكون متعبدا لهم هو البيت الحرام الذى بمكة ، حيث يزدحم الناس أثناء طوافهم من حوله ، وقد أتوا إليه ماشين على أقدامهم ، أو راكبين على رواحلهم ، من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم .

وقد مدح الله تعالى بيته بكونه « مباركا » أى كثير الخير دائمه ، من البركة وهى النماء والزيادة والدوام .

أى : أن هذا البيت كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره أو اعتكف فيه أو طاف حوله ، بسبب مضاعفة الأجر ، وإجابة الدعاء، وتكفير الذنوب لمن قصده بإيمان وإخلاص وطاعة الله رب العالمين . وإن هذا البيت فى الوقت ذاته وفير البركات المادية والمعنوية .

فمن بركاته المادية : قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومن مغاربها ومعهم خيرات الأرض ، يقدمونها على سبيل تبادل المنفعة تارة ، وعلى سبيل الصدقة تارة أخرى .

ومن بركاته المعنوية : أنه أكبر مكان لأكبر عبادة جامعة للمسلمين ، وهى

فريضة الحج ، وإليه يتجه المسلمون فى صلاتهم ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم .

ثم مدحه – ثانيا – بأنه « هدى للعالمين » أى : هو بذاته مصدر هداية للعالمين ، لأنه قبلتهم ومتعبدهم وفى استقباله توجيه للقلوب والعقول إلى الخير ، وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله وجنته .

ثم مدحه –ثالثا – بقوله : ﴿ فيه آيات بينات ﴾ أى : فيه علامات ظاهرات ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته ، وعلو مكانته ، ثم بين سبحانه بعض هذه الآيات الدالة على عظمته وشرفه فقال به مقام إبراهيم ، ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

فالعلامة الأولى الدالة على عظم وشرف المسجد الحرام « مقام ابراهيم » وهو المقام المعروف بهذا الاسم ، وهو الموضع الذى كان يقوم عليه إبراهيم تجاه الكعبة لعبادة الله ولإتمام بناء الكعبة .

والعلامة الثانية التى تدل على فضل هذا البيت وشرفه بيَّنها الله سبحانه بقوله : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ أى : ومن التجأ إليه أمن من التعرض له بالأذى أو القتل ، ولا شك أن فى أمن من دخل البيت ، أكبر آية على تعظيمه ، وعلى علو مكانته عند الله .

قال رسول الله ﷺ : « إن أول بيت وضع للناس مباركًا يصلى فيه : الكعبة . ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « أربعون عاما »[1] أخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

---

(١) قد أشكل فهم هذا الحديث على من لم يعرف المراد منه فقال : معلوم أن سليمان ابن داود عليه السلام هو الذى بنى المسجد الأقصى ، والذى بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . وبينهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة ، فكيف قال ﷺ أن بين المسجدين أربعين سنة ؟ .

والجواب : أن الوضع غير البناء ، فالذى أسس المسجد الأقصى ووضعه فى الأرض بأمر من الله تعالى هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وبين إبراهيم ويعقوب هذه المدة التى جاءت فى الحديث . أما سليمان فلم يكن مؤسسًا للمسجد الأقصى أو واضعًا إنما كان مجددًا له ، فلا إشكال فى الحديث .

فقد كان لهذا البيت أسبقية فى التاريخ على كل مكان ، وله أفضلية فى رعاية الله تعالى له ، وقد صار هذا البيت فى مدى الزمن الطويل مزارًا للأنبياء وقبلة للجميع ، وهو يسامت البيت المعمور فى السماء الذى تطوف به الملائكة فليس فى الوجود كله مكان حظى بالشرف والطهر ، والمكانة كما حظى المسجد الحرام . قال الفيروزآبادى فى بصائر ذوى التمييز ، ١٨/٤ ، ١٩ ، العتيق : المتقدم فى الزمان والمكان والرتبة .

وما دمنا بصدد الحديث عن بيت الله فلابد أن نتعرض لمن بناه . إذ إن الشائع عند كثير من المفسرين أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو بانى البيت وحجتهم فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ... ﴾ ، وهذا فهم خاطئ – والله تعالى أعلم – إذ إن النص يصرح بأن إبراهيم هو الذى رفع قواعد البيت ، والرفع لغة هو الارتفاع ، والقواعد موجودة والله تعالى أمر إبراهيم برفعها ، بعد أن أطلعه على مكان البيت : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا ﴾ .

وعلى هذا الفهم لا يكون إبراهيم هو البانى للبيت ، لأن البناء مكين ولكن البيت مكان ، فليس ميلاد البيت على يد إبراهيم ، لأنه كما سبق ثابت قبل الرفع وقد يساعد على فهم النص كلمتان هما : (وضع) المبنى لما لم يسم فاعله ، و (الناس) الموضوعة أصلا لشمول أفراد الجنس ، ومادام البيت وضع للناس فواضعه غير الناس ، فمن وضعه إذن ؟

ويؤيد هذا عدة أقوال منها :

قول ابن عباس : وضع البيت على أركان رآها قبل أن تخلق الدنيا بألف عام ثم دحيت الأرض من تحته .

– وقال ابن الزبير : هذه القواعد التى رفعها إبراهيم عليه السلام .

– وقيل : إن القواعد كانت قد اندرست فأطلع الله إبراهيم عليها . وقال الكسائى : هى الجُدر ، والمعروف أنها الأساس .

وفى الحديث : « إن البيت لما هدم أخرجت منه حجارة وعظام » .

وقد روى المفسرون روايات كثيرة تقول إن الملائكة هى التى بنت البيت أولا وأسسته .

وقال مجاهد : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفى سنة ، وأن قواعده لفى الأرض السابعة السفلى(١) .

وقال على بن أبى طالب : أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت فى الأرض ، وأن يطوفوا به ، وكان هذا قبل خلق آدم ، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به ، ثم الأنبياء بعده ، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام .

وجاء فى تاريخ الأزرقى : اشتد بكاء آدم وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة حتى كانت الملائكة تبكى لبكائه فعزاه الله تعالى بخيمة من خيام الجنة ووضعها له بمكة فى وضع الكعبة ، قبل أن تكون الكعبة وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة ونزل معها الركن « أى الحجر الأسود » وهو يومئذ ياقوته بيضاء من ربض الجنة وكان كرسيا لآدم عليه السلام يجلس عليه .

فلما صار آدم عليه السلام بمكة ، وحرس تلك الخيمة الملائكة كانوا يحرسونها ويذودون عنها »(٢) .

والحجر الأسود حجر من أحجار الجنة ، وهذا ثابت بطرق صحيحة وأسانيد جيدة لا يمكن أن تدفع أو ترد . من ذلك قوله ﷺ : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن ، وإنما سودته خطايا بنى آدم » أخرجه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، وعند النسائى :
أن النبى ﷺ قال : « الحجر الأسود من الجنة » وإسناده حسن .

وقال رسول الله ﷺ فى الحجر : « والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق » أخرجه الترمذى . وقال

---

(١) القرطبى ، ٢/١٢٠ و ٤/١٣٧ .
(٢) تاريخ الحرمين الشريفين /٤٧ .

حديث حسن ، ورواه الحاكم ٤٥٧/١ ، وصححه ووافقه الذهبى . وقال الحافظ فى « الفتح » وله شاهد عند الحاكم أيضا من حديث أنس .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب » . أخرجه الترمذى .

ويبدأ الطواف بالحجر الأسود ، وهو المنظم الوحيد للطواف الذى لا يتم بدونه الحج أو العمرة .

ولم يقدس الحجر الأسود لذاته مطلقا ، بل قدس وحرم لوجوده منذ وجد هذا البيت الحرام فى أساس بنيانه وأصله ، ويدل على ذلك قول عمر رضى الله عنه وهو يقبله : « إنى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » .

فقدسية الحجر – كما ذكرت – مكانية لكونه من البناء ، وقداسته لأنه علامة الابتداء .

وإذا كان المرجفون فى دين الله والمحجوبون عن فقه التكاليف فضلا عن أسرارها ، يتشدقون بأن الإسلام قد أبقى على مظاهر الوثنية حين أمر بتعظيم البيت طوافا ، وحين كلف بتعظيم الحجر استلاما له ، ولم يقنعهم فعل رسول الله فإننا لا نطمع أن يكفوا عن هذا الهذر بقول الفاروق عمر رضى الله عنه .
ويقول الشيخ الشعراوى :

ما دام للحجر مهمة يؤدى بها خدمة للإنسان فهو مقدر ، لأنه نافع ، فإذا كان نفعه لى فإنه يصير محبوبا معتنى به ، وإذا عرض له ما يجعله ضارا بى فقد انقلب حبى له كرها ، وعنايتى به امتهانا ، فالأحجار فى حصن عدوى عدو ، أقذفها لأصدعها ، وحين أستولى على ذلك الحصن ، أعمد إلى رم ما أفسدت ، ودعم ما وهبت ، ورأب ما صدعت ، ويصبح كرهى لها حبا ، وامتهانى لها عناية ، وكذلك كان الإسلام : فحين عرض لبعض الأحجار أن تكون معبود مشركين وآلهة وثنيين قال الإسلام : حطموها ودوسوها ، وحين جعل الإسلام بعض

الأحجار رمز نسك ومعلم شعيرة ، قال الإسلام : عظموها وقدسوها ، فلا دخل إذن لذاتية الحجر ولا اعتبار ، وإنما الدخل كله لما عرض له من معتقد ألوهية أو مجرد شعار ولا أدل على ذلك من أن مناسك الحجر تجمع بين النقيضين[1] .

فحجر الكعبة يقبل ويعظم ، وحجر منى يقابل ويرجم ، فلا نظر للذاتية ، ولكن للعرضية . فالحجر فى الكعبة شعار ، والحجر فى منى رمز شيطان .

وأخرج الدولابى فى « الدرة الطاهرة » عن الحسين بن على قال : قال رسول ﷺ : « لما أخذ الله ميثاق الكتاب ، جعله فى الحجر ، فمن الوفاء بالبيعة استلام الحجر » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن » . أخرجه ابن ماجة .

وقوله فاوض : أى لابس وخالط من مفاوضة الشريكين ، وتفويض كل واحد منهما إلى صاحبه .

وعن ابن عباس قال : الركن يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه .

وزاده فى رواية : والذى نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله عنده شيئا إلّا أعطاه إيّاه . أخرجه الأزرقى .

وعنه قال : الحجر الأسود يد الله فى الأرض من مسه فإنما يبايع الله عز وجل أخرجه سعيد بن منصور .

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام إلى النبى ﷺقال : « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض » .

ويروى أن عبيد بن عمير قال لابن عمر : إنى أراك تزاحم على هذين الركنين (يعنى الأسود واليمانى) فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن استلامهما يحط الخطايا حطا » .

---

(١) لبيك اللهم لبيك ، ص ٤٧ . بتصرف للشيخ محمد متولى الشعراوى .

ومن رواية عن حميد بن نافع أنه سأل ابن عمر عن استلامه لهذين الركنين الشرقيين وحدهما ، وأنه لا يستلم غيرهما فأجابه : إن رسول الله ﷺ لم يستلم غيرهما حتى مات .

ومن خصائص هذا الحجر ومزاياه : أنه يشرع تقبيله واستلامه ، وقد ثبت هذا بأحاديث كثيرة لها طرق صحيحة معلومة عند المسلمين وهى موجودة فى الصحيحين وغيرهما .

ومنها أنه فى أشرف مكان فى بيت الله المعظم (الركن الشرقى) وهو المكان الذى يقع على نفس القواعد الأولى الأصلية التى رفعها إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ .

ومنها أن من استلمه كان كمن فاوض يد الرحمن ، وكمن بايع الله ورسوله ، كما سبق ذكره .

ومنها أنه كان نورا عظيما مضيئا ولكن خطايا بنى آدم طمسته ، كما ثبت فى كثير من الأحاديث الصحيحة .

ومنها أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق ، كما ثبت فى الحديث الذى رواه الترمذى فى سننه ، والطبرانى فى الأوسط . ومنها أنه شافع مشفع يوم القيامة كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى ، ولكن سند الحديث فيه كلام .

ومن فضائل الركن اليمانى أنه على القواعد الأولى للبيت التى رفعها إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ . وقد ثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال عن الركنين الآخرين اللذين لا يستلمان : إنى لا أظن أن رسول الله ﷺ لم يترك استلامهما إلّا لأنهما ليسا على قواعد البيت . أخرجه أبو داود والنسائى . وهو عند الشيخين من قول عمر (كذا فى تخريج السنن ٢/٣٧٤) .

ومن فضائل الركن اليمانى ما رواه ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « مسح الحجر والركن اليمانى يحط الخطايا حطًّا » .

قال ابن القيم « تهذيب السنن » رواه ابن حبان فى صحيحه ٢/٣٧٤ ، وكذا

أحمد ١٢/٢٣ .

وقال عبيد بن عمير لابن عمر : إنك تزاحم على الركنين زحاما ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ يزاحمه فقال : إن أفعل فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن مسحهما كفارة للخطايا » . قال فى جمع الفوائد رواه الترمذى بلفظه (١/٤٧٨) قلت : وقد رواه الترمذى فى أواخر كتاب الحج وقال : هذا حديث حسن . ورواه أحمد فى المسند بلفظ : أن استلامهما يحط الخطايا (١٢/٢٤) .

وقال المنذرى رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . وكذا ابن خزيمة فى صحيحه بلفظ مسحهما يحط الخطايا .

ومن فضائل الركن اليمانى ما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « وكل به سبعون ملكا (يعنى الركن اليمانى) فمن قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة . اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قالوا : آمين » .

(رواه ابن ماجة فى السنن ٢/٩٨٥) .

وقال مجاهد : ملك موكل بالركن اليمانى منذ خلق الله السموات والأرض يقول : آمين ، فيقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (رواه الأزرقى ٣٤١) .

وقد وردت أحاديث كثيرة كهذه وهى ما بين صحيح وضعيف وليس بها موضوع أو مكذوب . وهى تدل على فضل الركن اليمانى وشرفه . ولذلك يرى جمهور العلماء أن السنة استلام أو تقبيل الركنين اليمانيين فقط[1] .

أما الأول : فله فضيلتان كون الحجر الأسود فيه ، وكونه على قواعد إبراهيم .

وأما الثانى : فله فضيلة واحدة كونه على قواعد إبراهيم وليس للآخرين شىء منه .

وقد ثبت فى أحاديث كثيرة فضل (الملتزم) وهو ما بين الحجر الأسود وباب

---

(١) فى رحاب البيت الحرام / ٤٧ .

الكعبة . وسمى بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده . فهو من المواطن التى تسكب فيها العبرات وتستجاب الدعوات .

وقد ثبت فى أحاديث كثيرة أن النبى ﷺ قد وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم . من ذلك ما رواه أحمد : رأيت رسول الله ﷺ ملتزما الباب ما بين الحجر والباب ورأيت الناس ملتزمين معه ﷺ (كذا فى بذل المجهود ٩/١٦٥) . وهذه الرواية عن عبد الرحمن بن صفوان وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وقد التزم البيت بين الباب والحجر : هذا والله المكان الذى رأيت رسول الله ﷺ التزمه (رواه ابن ماجة) .

وفى رواية أبى داود : أن عبد الله طاف ثم استلم الحجر وأقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله (كذا فى السنن لأبى داود) .

وقد ثبت فى كثير من الأحاديث أن الملتزم من المواضع التى يستجاب فيه الدعاء . فما دعا الله فيه عبد دعوة إلا استجابها .

ومما جاء فى فضل الملتزم ما رواه الأزرقى بسنده أن آدم عليه السلام طاف سبعا بالبيت حين نزل ثم صلى أمام باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال : اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنوبى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلّا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على . فأوحى اللهتعالى إليه : يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلّا كشفت همومه وغمومه وكففت عنه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها . (وهذا الخبر سنده جيد إلا أنه موقوف على عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم . ولكن رواه الأزرقى من طريق آخر مرفوعا إلى رسول الله ﷺ وفيه حفص بن سليمان وهو متروك . وبقية رجاله ثقات »[١] .

---

(١) فى رحاب البيت الحرام /٥٤ .

وجاء فى فضل النظر إلى البيت واستحبابة أحاديث كثيرة كلها تجعل من النظر إليه عبادة يثاب فاعلها أعظم مثوبة من رب هذا البيت سبحانه وتعالى .

فقد روت عائشة مرفوعا : « النظر إلى الكعبة عبادة »[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ، ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين إلى البيت .

وفى رواية أربعون للمصلين ، وفيها ينزل الله على أهل المسجد – مسجد مكة – عشرين ومائة رحمة . (أخرجهما أبوذر والأزرقى) .

قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ، رواه الطبرانى فى معاجمه ، والأزرقى وآخرون كالبيهقى والحارث فى سنده ولفظ بعضهم مائة رحمة ، فستون للطائفين لأهل مكة ومثلها لسائر الناس . وذكر المنذرى حديث ابن عباس هذا وقال رواه البيهقى بإسناد حسن (الترغيب ٢/٣١٥) .

وقد تعددت الأقوال فى النظر إلى البيت وأنها عبادة يتقرب بها العباد إلى الله تعالى ويرجون ثوابها .

فقد روى عن مجاهد أنه قال : النظر إلى الكعبة عبادة .

وعن سعيد بن المسيب قال : من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه .

وعن عطاء قال : النظر إلى البيت يعدل عبادة سنة ، قيامها وركوعها وسجودها . وعن السائب المدنى قال : من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر) أخرجهما صاحب مثير الغرام . وعنه قال : النظر إلى البيت عبادة والناظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم

---

(١) وأخرج صاحب مثير الغرام كذا فى القرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ « النظر إلى البيت الحرام عبادة » .

المخبت المجاهد فى سبيل الله[1] (أخرجها كلها الأزرق) .

ولذا فقد استحسن بعض الصحابة والتابعين كثرة الدخول والتردد على الكعبة والنظر والتأمل فى البيت .

وقد دخل النبى ﷺ البيت . وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « من دخل البيت دخل فى حسنة وخرج من سيئة مغفورا له » .

قال المحب الطبرى ، أخرجه تمام الرازى . وهو حديث حسن غريب من حديث عطاء بن أبى رباح .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح : (الحديث أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى) .

ويستحب دخول البيت على هذا اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته الكرام . وقد كان دخول النبى ﷺ البيت يوم فتح مكة كما ورد فى الصحيحين .

ولذا ، فقد اتفق الأئمة على استحباب دخول البيت . واستحسن مالك كثرته .

وقد ذكر الفاسى بسنده عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة قال : قالرسول الله ﷺ : « من دخل الكعبة دخل فى رحمة الله عز وجل وفى حمى الله تعالى وفى أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفورا له » .

وروى الفاكهى عن مجاهد عن ابن عمر فى دخول البيت : دخول فى حسنة وخروج من سيئة وخرج مغفورا له .

---

(١) المخبت : الخاضع الخاشع المتواضع .

خصائص البيت الحرام

لقد اختص الله تعالى مكة المكرمة بخصائص وميزها بمزايا لم تحظ بها بقعة من الأرض سواها . فهى أقدس بقاع الأرض قاطبة منذ أقدم التاريخ وإلى قيام الساعة .

فالله تعالى فضل مكة وزادها تشريفا وتكريما على سائر البلاد فأورد ذكرها فى كتابه العزيز فى مواضع متعددة كلها تدل على شرفها وعظمتها وحرمتها وقداستها . من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ وقال : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ﴾ وقال : ﴿ أو لم يروا أنّا جعلنا حرمًا آمنا ﴾ وقال : ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ﴾ وقال : ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾ وقال : ﴿ والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس ﴾ وقال : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ وقال : ﴿ ببطن مكة ﴾ وقال : ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ وقال : ﴿ بهذا البلد ﴾ وقال : ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ .

فهذه الآيات العظيمة الكريمة التى أنزلها الله تعالى فى مكة المكرمة المشرفة خاصة لم ينزلها فى بلد سواها ، إظهارا منه تعالى لعباده بتمام كمالها وشرفها وقداستها وتعليما وتفهيما لهم بالتأدب عند دخولها ، والتقرب إلى الله بتقديسها وتعظيمها ، بسائر الطاعات واجتناب المنكرات من الأقوال والأفعال . فإذا كانت لها هذه المنزلة عند خالقها ، فكيف لا تكون لها عند المخلوقين الراجين لرحمة رب العالمين .

وقد سمّى الله تعالى بلده الأمين بأسماء كثيرة شريفة ، وأن كثرة الأسماء لتدل على شرف المسمى ، كما قيل فى أسماء الله تعالى ورسوله .

قال النووى : ولا يعلم بلد أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض . وذلك لكثرة الصفات المقتضية لها .

ومن هذه الأسماء التى تدل على شرف المسمى وعظمته :
مكة – وبكة – والبلد – والقرية – وأم القرى – والبلدة – والبلد الأمين – وأم رحم – وصلاح (مبنى الكسر) – والباسة (بالموحدة) – والناسة (بالنون) – والنساسة – والحاطمة – والرأس – والعرش (بالفتح) – والعرش (بالضم) – والعريش – والقادس – والقادسية – والحرام – والمسجد الحرام – والبلد الحرام – وأم الرحمة والأمينة – وأم الصفا – وأم المشاعر – والبلدة المرزوقة – والحجاز – وبلدة طيبة .

وكما كثرت أسماؤها فقد كثرت ألقابها وحدودها ، فمنها :
(المشرفة – المكرمة – والمهابة – والوالدة – والنادرة – والجامعة – والمباركة) .. إلخ

أما حدودها فقد قال السروجى :

حد الحرم من جهة طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال من مكة ، ومن طريق اليمن على سبعة أميال من مكة ، ومن طريق الطائف للمار من عرفات من بطن نمرة على ثلاثة أميال من مكة ، ومن طريق العراق للمار من ثنيه جبل بالمقطع سبعة أميال من مكة ، ومن طريق الجعرانة ومن شعب آل عبد الله بن خالد على تسعة أميال ، ومن طريق جدة على عشرة أميال ، وهذا قول الجمهور وهو أصح الأقوال .

وهنا يحسن التنبيه إلى هذه الحقيقة وهى أن مكة وما حولها كلها حرم آمن مقدس ، مشرف عند الله . لأن البيت الحرام مهوى الأفئدة ﴿ واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ كان المحور الذى تدور حوله مناسك الحج كلها ، وتحيط به أماكن الشعائر .

ولهذا أحاطت به أربع دوائر – كما يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى – لكل

دائرة حدها وخواصها ومطلوباتها .

وأول هذه الدوائر : المسجد الحرام ويحدد مكانه تخصصه بالمسجدية مهما امتد واتسع ، وخاصيته كما قال الله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

وتحد الدائرة الثانية حول المسجد حدود حماه بعلامات تفصله عن الحل ، وهى منطقة حرام حتى على المقيم لا يعضد شجرها ولا يحل صيدها . ولا يحرم من كان داخلها بعمرة إلا أن يخرج إلى الحل بعدها .

وحول هذه الدائرة دائرة رابعة أوسع وتحدها المواقيت التى لا يتجاوزها قاصد البيت إلّا محرما ، وبهذا تبدأ أعمال الحج من القلب نية ، وعلى الجسد تجرد مما اعتاد من ثياب تشخص جاهه وتنم عن تميزه ، فيها عمل الصنعة ، وتكلف الأناقة ، مستبدلا بكل ذلك غير مخيط ، أبيض كالفطرة ، حتى يكون الحاج عبدًا فى ركب عبيد ، مندمجا فى سوائية الخلق حين يقبلون على الحق .

ومن هنا يدخل الحاج فى سلام مع الوجود كله ، سلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل الله لغير المحرم فلا شهوة له فى زينة ولا فى طيب فضلا عن رفث أو فسوق ، وهو فى سلام مع الناس فلا جدال . وفى سلام مع النبات فلا يقطع نباتا ولا يعضد شجرا ، وفى سلام مع الحيوان فلا يرمى صيدا ولا يذبحه وإن صاده غيره ويظل هكذا حتى يتحلل .

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى الله وأقبلت على مكان غير عادى ، فلابد أن تخرج عن كثير مما اعتادت ، تربية للمهابة واستحضارًا للقداسة .

وبعد المواقيت تأتى الدائرة الرابعة وهى أوسع الدوائر لأنها تشمل سائر الأرض كلها ، ولهذه الدائرة مطلوب واحد هو أن يجعل العبد البيت قبلة مصلاه ، حاضر القلب مع جلال الرب سبحانه وتعالى[1] .

---

(١) لبيك اللهم لبيك ، ص ٥٧ .

تقديس العرب للكعبة قبل الإسلام :

كانت قبائل العرب تحج إلى الكعبة وتقدسها ، ولكل قبيلة منها صنمها وفيها صور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، والحجر الأسود وتمثال هبل ؛ صنم قريش ، وهو من العقيق ، وكان أكثر احتراما وتقديسا من الأصنام الأخرى .

ومن مظاهر تقديس العرب للكعبة أنهم جعلوا أشهر الحج أشهرا حرما يقيمون فيها أسواقهم حول الحرم . ولم يجرؤ أحد على الإخلال بحرمة البيت حتى إنه لما قامت الحرب بين قريش وكنانة ، واضطرت قريش إليها ، سمتها العرب حرب الفجار ، لما كان فيها من انتقاص حرمة البيت .

وبلغ من أهمية الكعبة فى نفوس العرب أن أبرهة الحبشى عامل النجاشى على بلاد اليمن ، لما أراد أن يصرف حجاج العرب عن مكة ويحول تجارة قريش عنها ، بنى كنيسة بصنعاء وأثار ذلك حفيظة العرب . فخرج رجل من بنى مالك من كنانة حتى قدم اليمن ، ودخل الكنيسة وعبث بأثاثها ، وانتهك حرمتها . فغضب أبرهة وأقسم ليهدمَنّ الكعبة ، وجرد جيشا عظيما من الأحباش ، سير أمامه الفيلة ويمم شطر الكعبة ، وعسكر بقرب مكة . فأرسل الله تعالى عليهم : ﴿ طيرًا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

وهُزم أبرهة وجيشه ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاءوا منه .

ولما ذاع خبر أصحاب الفيل بين العرب زاد احترامهم للحرم وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم .

وبلغ من أهمية هذه الحادثة أن أصبح العرب يؤرخون حوادثهم بعام الفيل كما يقال : ولد محمد ﷺ عام الفيل .

تقديس الكعبة بعد ظهور الإسلام .

ولما ظهر الإسلام احتفظت الكعبة بمكانتها فى نفوس المسلمين ، فقد كان الرسول ﷺ يعمل على نشر الدعوة خارج المدينة ، وكان يفكر فى أمر القبلة ويقلب وجهه فى السماء ينتظر الوحى من عند الله ، لأنه كان فى مكة يجعل الكعبة بينه وبين المقدس فى صلاته .

. وظل الرسول يصلى قبل بيت المقدس إلى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة حين أمره الله تعالى بالتحول إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس فأنزل الله تعالى عليه قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .

وكان رسول الله ﷺ وهو فى المدينة يتوق إلى زيارة الكعبة فقد خرج فى السنة السادسة للهجرة للعمرة وهى زيارة البيت فى ألف وأربعمائة من المسلمين ، فوقف القرشيون فى طريقه على مقربة من مكة يمنعونه من دخولها ، فلما عقد معهم صلح الحديبية شرط عليهم أن يأتى فى العام التالى فيدخل مكة مع أصحابه بعد أن تخرج منها قريش ، ويقيم بها ثلاثة أيام وليس معهم من السلاح إلّا السيوف فى القرب .

ثم فتحت مكة فى السنة الثامنة من الهجرة ، وسار الرسول عليه السلام إلى الكعبة ، وطاف بها سبع مرات ، ثم أمر بإزالة التماثيل والصور وحطم أصحابه الأصنام وهو يقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ .

وكان فتح مكة واستيلاء المسلمين على البيت الحرام من أكبر العوامل التى ساعدت على التأكيد على قدسية مكة وما جاورها وإعادة حرمتها وهيبتها بعد منع المشركين من الاقتراب منها ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا لأنهم أنجاس ، ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ كما سيأتى ذكره .

ولا أدل من قداسة الكعبة عند العرب قبل الإسلام من إعادة قريش تشييد الكعبة حرصا على ما لهذا البناء من حرمة وقداسة خالدة . وقد كان احترامهم وتعظيمهم للكعبة بقية مما ظل محفوظا من شرعة إبراهيم عليه السلام بين العرب .

ولقد شارك الرسول ﷺ قبل البعثة فى بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة **فعاله** ، فلقد كان ينقل الحجارة على كتفه ما بينها وبين إزاره وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة فقد روى البخارى فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبى ﷺ والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك فخر إلى الأرض وطمحت

عيناه إلى السماء فقال : أرنى إزارى فشده عليه .

ولقد كان له ﷺ أثر كبير فى حل المشكلة التى تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه فقد خضعوا جميعا لحكمه لحل هذه المشكلة ، وكان رأيًا سديدا وفكرة مدهشة فرح بها الجميع وارتاحت لها نفوسهم واطمأنت بها قلوبهم .

وكل هذا يدلك على قداسة الكعبة منذ الأزل وأن الذى أعاد تأسيسها وبناءها هو الخليل إبراهيم عليه السلام ، بأمر من الله تعالى لتكون أول بيت لعبادة الله وحده ومثابة للناس وأمنا ، فكانت أول بناء وضعه الله لعباده ليكون شعارا للتوحيد الخالص وعبادة الله تعالى وحده . وليظل أبد الدهر رمزا للدين الصحيح والعبادة الحقة .

ولقد آن للبشرية أن تثوب إلى رشدها ، وتعرف الطريق إلى ربها ، وأن تدرك بطلان عبادة الأصنام التى أمر الله تعالى إبراهيم بتكسيرها وهدم بيوتها والقضاء على معالمها ونسخ عبادتها . آن للبشرية بعد أن كسر محمد عليه السلام الأصنام أن تستعيض عن تلك المعابد هذا الرمز الجديد ، هذا المعبد الذى أقيم لعبادة الله وحده لا شريك له يدخله الإنسان ليقف بين يدى ربه عزيزا لا يذل ولا يخضع إلّا لخالقه .

وإذا كان لابد للمؤمنين من رابطة يتعارفون بها ، ومثابة يأوون إليها فليس أجدر من البيت العتيق رمز التوحيد ، فهو شعار التوحيد والوحدة والمحبة والألفة ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ . فالله تعالى جعل هذا البيت واحة أمن وسلام وبركة للمؤمنين ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ حيث يستشعر الطائف والعاكف والحاج والمعتمر كل هذا فيملأ قلبه عبودية لله ونفسه خشوعا وروحه صفاء ، وقلبه وفاء بالتكاليف الشرعية . ومن هنا جاءت قداسة البيت عند الله تعالى . ومن هنا عظم مكانه وشرف عند المؤمنين أجمعين ولا يزداد مع الأيام إلّا تشريفا ورفعة ومهابة .

فهذا البيت (مبارك) وقد بين الله تعالى هذه البركة فى قوله سبحانه ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ أى قواما لصالحهم دنيا وآخرة ، أما

صالحهم دينا فحسبهم عنده أن يستشعروا الأخوة الإسلامية والمساواة المثالية ، وأن يدركوا حلاوة الوحدة وروحانية التجمع وأن تنفض عنهم كل فوارق الجنس واللون والطبقات وكلهم عبيد فى رحاب مولاهم ، وأكرمهم عند الله أتقاهم .

وأما صالح آخرتهم فلأنهم يزورون ربهم فى بيته وحق على المزور أن يكرم زائره ولا أكرم من الله ، وهم فى نزل فضله ، وأكرم تحاياهم المغفرة لأنهم تابوا كما أراد فأمنهم كما يحبون ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ .

وفى قوله سبحانه ﴿ هدى للعالمين ﴾ ما يوحى بشمول هدايته لكل عالم ، وفى الغيب أسرار ولكن أين للناس ما يجليها من أنوار ؟

وفى قوله سبحانه ﴿ آيات بينات مقام إبراهيم ﴾ ما يدل على ما لهذا المقام من خصوصية أظهرته وحده دون سائر الآيات فمقام إبراهيم حجر كان يقوم عليه ليرفع البيت فجعله الله تعالى من الآيات البينات أو جعله يمثل كل هذه الآيات فإبراهيم حيث أمر برفع البيت كان يكفيه فى أداء التكليف أن يرفعه على قدر ما تطول يداه ، ولكن إبراهيم كان أمة ، يحرص على أداء التكليف بأقصى الوسع ويحتال على إتمامه بما فوق الوسع فاستحق أن يقول الحق سبحانه ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما ﴾ .

فمقام إبراهيم يدل على أن إبراهيم لحرصه على إتمام التكليف فكر فى وسيلة تزيد فى رفع البيت عما تطول يده فأخذ حجرا على قدر ما يحمله هو وإسماعيل وقام عليه فزاد فى رفع البيت بقدر ارتفاع ذلك الحجر ، وذلك يرمز إلى بذل الجهد فى أداء التكاليف ولو بالحيلة الفكرية التى تنمى الطاقة وتزيد فى الإتقان وبذلك يؤدى التكليف شكلا وموضوعا بما يدل على عشق المكلف لكل تكليف وإتقانه لكل عمل(١) .

خصائص البيت ومزاياه :

ولكل ما تقدم وغيره فقد اختص الله تعالى البيت الحرام بخصائص ، وميزه بمزايا منها :

---

(١) لبيك اللهم لبيك ، ٥٧ .

١ – احترام الكعبة وتعظيمها وتقديسها بكل أنواع التقديس والتعظيم . من ذلك تحريم استقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغائط فى الصحراء وفى البنيان عند كثير من العلماء . وعند الشافعى فى الصحراء لا فى البنيان وهو الأرجح والله تعالى أعلم .

روى فى حديث سراقة مرفوعا : « إذا أتى أحدكم البراز فليكرم قبلة الله ولا يستقبل القبلة » .

٢ – ويستحب تزيين الكعبة وسترها بالحرير ، وتطيبها بالطيب .

فقد نقل التقى الفاسى فى كتابه (شفاء الغرام) عن الأزرقى . روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (طيبوا البيت فإن ذلك تطهيره) .

وروى عنها أيضا أنها قالت : (لأن أُطيب الكعبة أحب إلىّ من أن أهدى لها ذهبا وفضة) . أخرجه الأزرقى .

وروى أن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من أعلاها وأسفلها ثم كساها وكان يجمرها فى كل يوم برطل من الطيب وفى يوم الجمعة برطلين .

٣ – ومن تقديسها تحليتها .

فقد أخرج الأزرقى رحمه الله أن أول من حلى الكعبة فى الجاهلية عبد المطلب جد النبى ﷺ بالغزالين من الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها .

ومن مظاهر تعظيمها وتقديسها تزيينها بالذهب .

وكان أول من فعل ذلك فى الإسلام الوليد بن عبد الملك حيث بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى باطنها وعلى الأركان فى جوفها .

٤ – وكان الرسول ﷺ يعلم ما للبيت الحرام من القداسة والتعظيم عند الله . ذلك أنه لما فرضت عليه الصلاة ليلة الإسراء والمعراج كان مخيرا فى الاتجاه إلى أى جهة فكان يتجه إلى الكعبة واستمر الحال على ذلك إلى أن هاجر إلى المدينة فصلى نحو بيت المقدس نحو ستة عشر شهرا ، وكان ﷺ يحن إلى الكعبة ويود

أن يصرفه الله إليها فى صلاته فكان يقلب وجهه فى السماء رجاء تحقيق ما أراد وأحب فحقق الله له ذلك وأمره بتحويل وجهه نحو الكعبة حيث قال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء .... ﴾ الآية .

٥ - لقد خص الله تعالى بيته الحرام بالمهابة والتعظيم والإجلال والتكريم وأحاطه بالأسرار القدسية والأنوار الإلهية . يقف عنده الزائر خاشعا خاضعا ويطوف به الجبار ذليلا متواضعا ويقوم لديه المذنب منكسرا باكيا ويبتهل المضطر إلى الله أمامه راجيا داعيا ، فعنده تستجاب الدعوات وتقال العثرات وتسكب العبرات .

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى البيت يقول : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة .. وزد من شرفه وكرمه ومن حجه واعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا » .

وكان عمر بن الخطاب يقول إذا رأى البيت : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيينا ربنا بالسلام .

٦ - هذا البيت دعامة الإسلام :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ : « إن هذا البيت دعامة الإسلام » أخرجه الأزرقى .

وعن جعفر بن محمد قال : سئل أبى وأنا حاضر عن بدء خلق البيوت ؟ قال الله عز وجل لما قال : ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ قالت الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ فغضب عليهم فعاذوا بعرشه . فطافوا حوله سبعة أشواط يسترضون ربهم حتى رضى عنهم .

وقال : ابنوا لى بيتا فى الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشى فأرضى عنهم كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت . أخرجه أبو الفرج فى مثير الغرام .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أهبط الله تعالى آدم من الجنة قال ياآدم إنى مهبطك ومنزل معك بيتا يطاف حوله . كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى . فلما كان زمن الطوفان فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون

مكانه حتى بوأه الله إبراهيم . وأعلمه مكانه . فبناه من خمسة أجبل . من حراء وبثير ولبنان ، وجبل الطور والجبل الأحمر قال : فتمتعوا بالطواف به ما استطعتم . أخرجه أبو ذر .

وعن محمد بن سوقة قال : كنا جلوسا مع سعيد بن جبير فى ظل الكعبة فقال : أنتم فى أكرم ظل على وجه الأرض . أخرجه أبو سعيد بن منصور .

٧ – إن الشيطان لا يتمثل بالرسول عليه السلام ولا بالكعبة لعظمها ورهبتها وحرمتها عند الله .

وقد جاء فى الحديث أن من رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق كما روى الطبرانى فى معجمه عن أبى سعيد الخدرى قال . قال رسول الله ﷺ : من رآنى فى منامه فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى ولا بالكعبة » .

٨ – ومن خصائص البيت المعظم عند الله ما ذكره ابن هشام فى سيرته وهو أن الماء لم يصل إلى البيت المعظم حين الطوفان ، ولكنه قام حوله وبقيت الكعبة فى هواء السماء ، وقال نوح لأهل السفينة « وكانوا ثمانين رجلا » وهى تطوف بالبيت أربعين يوما : إنكم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمس أحد امرأة .

وعن عروة بن الزبير قال : بلغنى أن البيت وضع لآدم عليه السلام يطوف به وإن نوحا حجه وجاءه وعظمه قبل الغرق . أخرجه أبو الفرج فى مثير الغرام الساكن .

٩ – ومن خصائص الكعبة المشرفة أنها تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة ومن حجها وتعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة .

وقد ذكر الغزالى فى الإحياء : أن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة ، وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها .

١٠ – ومن مزايا البيت أن الله تعالى اختصه بالطواف حوله وأجزل المثوبة للطائفين وروى فى ذلك الكثير من الأحاديث التى تغنى كثرتها عن الاستشهاد بها .

من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة ، فإذا دخله غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلّا كتب الله عز وجل له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة أو قال خطيئة ورفعت له خمسمائة درجة ، فإذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل واستقبله ملك على الركن فقال له استأنف العمل فيما بقى فقد كفيت ما مضى » .

ومن ذلك ما رواه الترمذى أن رسول الله قال : « من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

١١ – لقد اختص الله تعالى مكة المكرمة بالكثير من الآيات البينات – سبق الحديث عن بعضها – وهذه طائفة أخرى منها :

بقاء بنيانها الموجود الآن ، ولا يبقى هذه المدة غير بنائها على ما يذكره المهندسون ولا تزال الكعبة باقية إلى أن يأتى أمر الله .

ومنها : أنه لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه إلا ضحك أو بكى .

ومنها : هيبتها فى القلوب .

ومنها : كف الجبابرة عنها مدى الدهر .

ومنها : إذعان النفوس لتوقيرها دون ناه ولا زاجر .

ومنها : كونها بوادٍ غير ذى زرع ، والأرزاق من كل قطر تجبى إليها من قرب ومن بعد .

ومنها : أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر .

ومنها : حجر المقام .

قال الزمخشرى فى قوله تعالى : ﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ﴾ هو أثر قدمه الشريف فى الصخرة الصماء وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام ، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين ألوف السنين .

ومنها : أن الحمام وغيرها تقبل حتى إذا كادت أن تبلغ الكعبة . انفرقت فرقتين فلم

يعلُ ظهرها شيء .

ومنها : عدم تنافر الصيد فى الحرم حتى الظبى يجتمع مع الكلب ، فإذا خرجا تنافرا ، ويتبع الجارح الصيد فى الحل ، فإذا دخل الحرم تركه . ذكره القرطبى وابن عطية وغيرهما .

ومنها : حفظ الله الحجر الأسود من الضياع منذ أن هبط إلى الأرض مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه . وغير ذلك كثير وكثير(١) .

١٥ – ومن مظاهر تكريم الله تعالى أن أجزل المثوبة لمن أقام بمكة وصبر على حرها ولإموائها .

عن الحسن البصرى أنه قال : (من صبر على حر مكة ولو ساعة من نهار تباعدت منه النار مسيرة عام ، وفى لفظ خمسمائة عام) . وقال ﷺ : « من استطاع منكم أن يموت فى أحد الحرمين فليمت فيه ، فإنى أول من أشفع له » .

١٦ – ومن مظاهر تكريمها وتوقيرها غسلها وتطهيرها . وقد جرت العادة بغسل داخل الكعبة من عهد بعيد . وكان أول من ابتدأ غسل الكعبة رسول الله ﷺ وذلك يوم فتح مكة ، فبعد أن كسر الأصنام وأزال عنها معالم الشرك أمر بغسلها .

وقد روى البخارى : (أن النبى ﷺ أمر بغسل الكعبة بعد ما كسر الأصنام وطمس التصاوير ، فتجرد المسلمون من الأُزُر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم وغسلوا الكعبة ظاهرها وباطنها فلم يدعوا أثرا من اثار المشركين إلا غسلوه ومحوه) . ثم صار غسل الكعبة بعد ذلك عادة تجرى وسنة متبعة من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا .

١٧ – وإذا تأملت وتفكرت ــ أخى المسلم – وجدت أن هذه الكعبة المشرفة أعظم دليل على وجود الله ووحدانيته ، وقدرته وعظمته ، وقهره وسلطانه حيث إنها منذ آلاف السنين والأعوام قائمة محاطة بالتعظيم والإجلال من جميع

---

(١) راجع إن شئت الزيادة كتاب (رحلة الصديق إلى البيت العتيق)ص ٢٣ – ٢٤ .

أجناس البشر ، وستبقى كذلك حتى قيام الساعة كما أخبرنا الصادق المصدوق .

فقد روى الشيخان والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) .

وأخرج أحمد عن ابن عمرو نحوه وزاد : (ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأنى أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله) .

وروى الأزرقى عن أبى هريرة يحدث أباقتادة (أن رسول الله ﷺ قال : « يبالغ للرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، تأتى الحبش فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه » .

١٨ – ومن أعظم الأسرار الإلهية أنه لم يرد فى التاريخ قط ولم يسمع أبدا منذ بدء الخليقة أن أحدا من الجبابرة أو الملوك ادعى أن الكعبة الشريفة وما حولها من المطاف ملكه أو ملك أجداده ، بل إن المشركين مع ما نصبوا حولها من الأصنام كانوا يقرون بأنها بيت الله الحرام ويطوفون بها ويعظمونها .

١٩ – ومن عظمة وقداسة وكرامة هذا البيت العتيق أنه ليس فى قدرة أحد أن يبنى بيتا مثله إلى الأبد ويبقى أساسه من أول الدنيا إلى آخرها . ولقد بنى بعضهم مثله فكان مآله سرعة الخراب والزوال ، وكان جزاؤه الهلاك والوبال ، فإن أبرهة بنى بيتا فى صنعاء اليمن لم يبن مثله سماه (القليس) طوله فى السماء ستون ذراعا وأنفق عليه من الأموال مالا يقدر ، يريد بذلك صرف حاج العرب عن بيت الله الحرام إلى القليس ، فجاءه رجلان من العرب فتغوطا فيه ، فغضب أبرهة من ذلك وقال : لا أنتهى حتى أهدم بيتهم فى مكة . فساق الفيل إلى بيت الله الحرام وقصته مشهورة .

ثم إن العباس بن الربيع الحارثى الذى ولاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور هدم القليس فأصاب منه مالا كثيرا وكنزا عظيما .

ويروى الشيخ عبد الله بن محمد الغازى الهندي ١٣٦٥ هـ فى تاريخه المخطوط المسمى (إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام) : أن أحد أجداد خالد بن

برمك ، بنى بيتا عارض به الكعبة ، وجعل حول أروقته ثلاثمائة وستين مقصورة يسكنها خدمه وقواده ، وكان من يليه يسمى (برمكا) يعنى (والى مكة) فكان أهل مملكته يحجونه ويطوفون به .

وذكر أيضا أن ظالم بن أسعد بنى لغطفان بيتا على قدر الكعبة فكانوا يحجون إليه ، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبى فقتل ظالما وهدم بناءه .

٢٠ - الكعبة هى مركز الأرض وسرتها :

وقد أثبت ذلك الجغرافيون والفلكيون والمسلمون قديما وحديثا فالكعبة أيضا بالنسبة للمسلمين هى قبلتهم فى صلاتهم ودعواتهم وما أشبه قلوب المسلمين فى توجهها إلى الكعبة بالإبر المغناطيسية التى تتجه إلى قطبها ليل نهار ، على بعد الأقطار ، واختلاف الأمصار ، فإن كل مغناطيس على الأرض يتجه إلى القطب أبدا . إن أدرته عنه دار إليه وإن صرفته جهد طاقتك لم ينصرف عنه وإن أحطته بآلاف الحجب فهو موصول به ونازع إليه . ولكن شتان بين القلوب النابضة الداعية والإبر الجامدة الهامدة .

وتؤم وفود المسلمين هذا البيت الذى اتجهوا إليه على بعد الديار فيرون قبلتهم عيانا ، وبيتهم جهرة ، يصلون حوله فى كل جهة ، قد أمحت المسافات والجهات ، فهم عند هذا البيت كإبر المغناطيس إذا بلغت قطبها تدور فى كل جهة ، لاشمال ولا جنوب ولا شرق ولا غرب . ومن دخل البيت صلى فى مكة إلى كل الجهات ، قد بلغ المركز الذى تتجه إليه وجوه المسلمين وقلوبهم فى الأقطار كلها ، مركز الدائرة التى تجمع المسلمين على العقائد الحقة ، والعمل الصالح ، والخلق البر ، والجهاد لخير الدنيا والآخرة والأخوة والمودة ، إنها الوحدة المحببة والأخوة المجسمة ، والمحبة الممثلة ، لا يعرف لها حاضر البشر قبلا ، ولايذكر لها ماضيهم نظيرا ما أبصرت هذه الكعبة الكريمة إلا تخيلت بناء العقيدة المحكمة والتوحيد الخالص ، وإلا تمثلت أدعية الداعين فى المشرق والمغرب ، وآهات الضارعين بالليل والنهار ، تهوى عليها ، وتطوف بها فى الغدو والآصال والبكر والأسحار مع أنفاس الطائفين . وما طفت حولها إلا تمثلت هذه الدائرة الإسلامية الجامعة تدور حول هذا المركز الحق الذى لا يتغير ولا يتبدل .

وماذا يمكن أن نقول ، وأن نعدد ونذكر من خصائص البيت العظيم هذه البنية المكرمة ، هذه الكعبة المشرفة التى لا يعرف تاريخ البشر لها مثيلا .

بيت فيه أمارة التوحيد الخالص ، ويسر الحنفية السمحة ، خلا من الأوثان والأصنام والصور والزخارف والنقوش ، وقام رمزا بتوحيد الله سبحانه ، ولاتحاد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، تهفو إليه أفئدة المؤمنين حيثما كانوا ، وتخفق له قلوبهم أينما حلوا ، وتتوجه إليه قلوبهم أنى توجهوا ، فلو أن بيتا صور من سواد العيون أو سويدات القلوب لكان هذا البيت الكريم . لا تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وآلاف الآلاف من الوجوه والقلوب متجهة إلى هذا البيت ، متوجهة إلى ربه .

فهل يعرف بيت على هذه الأرض وعلى طول التاريخ تطمح إليه الأبصار وتتوجه إليه الأفئدة بضراعتها ، ودعائها ، واستغفارها ، وبرجائها وأملها فى كل زمان وفى كل مكان ؟ ![1] .

فسبحان الذى جعل بيته الحرام فى بلده الأمين وغمره بالبركات والخيرات ، وأحاطه بالأنوار والأسرار . والحمد لله الذى جعلنا من أهله وجيرانه ، وحفنا بلطفه وعفوه وغفرانه .

---

(١) تاريخ الحرمين الشريفين ، ص ١٢٩ وما بعدها .

حفظ الله تعالى لبيته وحمايته
لأهله ومحاربته لمن أرادهم بسوء

إن من أخص خصائص الكعبة المشرفة أن الله تعالى تولى حفظها من كيد الكائدين وتخريب المخربين وإفساد المفسدين ، وهو سبحانه الذى كاد لهؤلاء أجمعين فأهلكهم ودمر عليهم فذاقوا وبال أمرهم وأصبحوا عبرة لمن يعتبر .

وقد توعد فى الكثير من آياته القرآنية من أراد مكة وأهلها بسوء ، وأنذره أشد النذير .

فلنتدبر بعض هذه الآيات والنذر ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

لقد اقتضت حكمة البارى سبحانه وتعالى إيجاد منطقة حرام ، وواحة أمن وسلام ، يلقى فيها السلاح ، ويأمن فيها الخائف ، وتحقن فيها الدماء ويجد كل إمرئ مأواه ، لا تفضلا من أحد ، بل حقا يتساوى فيه كل أحد من الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه . وهكذا سبق الإسلام سبقا بعيدا بإنشاء واحة السلام ، ومنطقة الأمان ، دار الإسلام المفتوحة لكل إنسان مسلم .

ولذا فقد هدد القرآن الكريم تهديدا يقطع نياط القلوب من يريد تعكير صفو السلام فى البلد الحرام فى البيت الحرام ، فى مكة دار السلام فقال : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ فما بال من يريد ويفعل ؟

إن التعبير يهدد ويتوعد على مجرد « الإرادة » زيادة فى الترهيب والتحذير ومبالغة فى الإنذار والوعيد الشديد .

ولا أدل على ذلك من حذف خبر إن فى الآية ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ﴾ ولم يذكر مآلهم ؟ ولم يحدث عن شأنهم ؟ ولم يلمح

عن مصيرهم . وهنا تذهب النفس حسرات فى البحث عن هذا العذاب المجهول ، الذى لا يدرك كنهه إلا الله تعالى الذى أنذر وتوعد .

ثم يمضى السياق فيتحدث عن نشأة هذا البيت الحرام ، وعن القاعدة التى أقيم عليها ، وعن الغرض من إقامته ، وهو عبادة الله وحده :

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

فللتوحيد أقيم هذا البيت ، فهو بيت الله وحده دون سواه ، بيت عباد الله الذى طهرهم هذا البيت من الرجس والأوثان ، بيت الطائفين والعاكفين والركع السجود .

ويقف السياق عند بعض معالم الحج وغاياته :

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ والمنافع أكثر من أن يحصيها عد فهى معجزة المعجزات الباقية إلى قيام الساعة فالحج موسم عبادة تصفو فيه الأرواح ، وتستشعر قربها من ربها فى بيته المحرم ، وهو مؤتمر جامع للمسلمين أجمعين ، مؤتمر دعا إليه خالق البشر فى أقدس بقعة ، فى أقدس شهر . مؤتمر يصل الماضى بالحاضر بالمستقبل ، حيث يجد الحجاج أصلهم العريق الضارب فى أعماق التاريخ منذ الخليل عليه السلام ﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ .

مؤتمر للتعارف والتشاور ، وتبادل الآراء والمنافع والمعارف والتجارب مؤتمر القوة والتوحد والتجمع حيث تذوب فيه اللغات والجنسيات وتتوارى خلفه الأوطان والألوان . مؤتمر التوحيد والوحدة ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . مؤتمر السلم والسلام والأمن والأمان فى بيت الله الحرام حيث الحرمات كلها مصونه . حرمة العقيدة والعرض والدم والمال ، والعهد والميثاق ، والهدنة والسلام : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ .

فتعظيم حرمات الله يقتضى عدم المساس بها أو الاقتراب منها أو الهمّ بالاعتداء عليها . وفى ذلك الخير كل الخير عند الله ، خير فى عالم الضمير والمشاعر ، وفى

عالم الحياة والواقع . فالضمير النقى الحيى من الله يتحرج من البغى والعدوان ومن الفسق ومن الجدل والرفث والخصومة والمراء . لأنه يحس أنه تحت رقابة من يعلم السر وأخفى ، من لا تخفى عليه خافية .

ثم يؤكد القرآن الكريم على تعظيم حرمات الله باتقائها والتحرج من المساس بها : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ إذ إن التقوى هى الغاية من شعائر الحج كلها . فما المناسك والمشاعر إلا رمز للتوجه إلى الله بالطاعة والإنابة ، ومراقبته فى السر والعلن فلا يخطو الحاج خطوة ولا يهجس بهاجسة إلا هو يعلم أن عين الله تراه ، وأنه مطلع على سره ونجواه ، ويجيش قلبه دائما بتقواه ، ويتطلع دائما إلى الفوز برضاه .

فهذه الذبائح التى تنحر يجب أن تنحر باسم الله وكما أمر الله لأن اللحوم والدماء لا تصل إلى الله ، إنما تصل إليه تقوى القلوب .

﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ الآية . ثم تأمل هذا الربط الدقيق بين أداء الشعائر والعبادات وبين الجهاد والاستعداد لحمايتها ممن يعتدون على حرمتها ، ويسيئون إلى قداسة المعابد وحرمة الشعائر ، فقال عزّ من قائل بعد هذه الآيات مباشرة فى سياق متصل : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير .. ﴾ الآية . إلى قوله : ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ .

١ – **فمن خصائص هذا الدين وطبيعته أنه دين واقعى حركى ، لا مثالى خيالى** ، فما دام الصراع بين الحق والباطل مستمرا فلابد للحق من قوة تحميه وتقيه من الفتنة والبطش والاعتداء . فالقوة المادية التى يملكها الباطل يجب أن تقابل بقوة مادية أقوى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ . وقد طمأن الله تعالى عباده المؤمنين الذائدين عن الحرمات والمقدسات بأن الله معهم وأنهم فى حمايته وسيجعلهم ستارا لقوته ، فيضرب بهم رقاب أعدائهم ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ وأنه القادر على نصرهم على أعدائهم ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ .

ويؤكد سبحانه على قانون حتمى هو قانون الصراع والتدافع بين الخير والشر ، فالعقيدة فى حاجة إلى دفع : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ فالشر يقصد إلى هدم كل أماكن العبادة ، وسائر المقدسات ولا يشفع لها عند الأشرار ذكر اسم الله فيها ، ولا يحميها إلا حماة العقيدة والرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ولقد بين الله تعالى أن سنة الصراع قائمة إلى قيام الساعة ولا يقف العدوان إلا بقوة الحق وأصحابه .

تلك سنة الله التى لا تتبدل ولا تتغير ، لابد للحق من قوة تحمية وتضحى من أجله ، بالنفس والنفيس ، وتسترخص الصعاب فى سبيله . وقد شاء الله أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا عن طريقهم هم أنفسهم ، ولم يجعله هبة تهبط عليهم من السماء بلا عناء ، وللنصر أسبابه ومقوماته وتكاليفه ، ولابد من استيفاء أسبابه وأداء ثمنه ، وتهيئة الجو لاستقباله واستبقائه :

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

٢ – إن الإسلام منهج واقعى جدى حركى متوازن لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية . إنه يواجه الحياة بمنهج ربانى يكافئ واقعيتها . فالإسلام أعظم الأديان رعاية للحرمات وصيانة للمقدسات ولكنه فى الوقت نفسه لا يسمح أن تتخذ الحرمات شعارات لمن ينتهكون الحرمات ، ويؤذون الطيبين ، ويقتلون المصلين والطائفين والعاكفين ، ويفتنون المؤمنين ، ويعيثون فى الأرض فسادا باسم الدين . فهذا كتاب الله يصرح فى حسم قاطع أن لا حرمة لمن يتترس بالحرمات ليضرب من ورائها الحرمات ، فيقرر حرمة الشهر الحرام ، ويقرر أن القتال فيه كبيرة ، فيقول :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ لمن كفر بحرمة المسجد الحرام وانتهكوا قدسيته ، وآذوا المسلمين فيه وفتنوهم عن دينهم ، وروعوا الآمنين ، وعكروا صفو الحجاج والمعتمرين . فقال سبحانه : ﴿ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ .

٣ – إن المسجد الحرام ، البيت العتيق الذى اختاره الله قبلة للمسلمين هو بمثابة الأمان فى الأرض ، ومثابة هذا الدين ، فمن فضائل هذا البيت أن من دخله كان آمنا . فهو بمثابة الأمن لكل خائف . وليس هذا لمكان آخر فى الأرض كلها ، وقد ظل كذلك منذ أن أعاد بناءه إبراهيم عليه السلام ، وحتى أيام العرب فى الجاهلية ، حيث بقيت لهذا البيت حرمته ولهذا المسجد قدسيته ، فكان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفه ويدخل الحرم ، فيلقاه ابن المقتول ، فلا يهيجه حتى يخرج .

وقد امتن الله تعالى على العرب بهذا فقال :

﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ فأصبحت مكة كلها ؛ شجرها وطيرها وحيوانها وإنسانها وبنيانها محرمة . فقد جاء فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ، ولاينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاه .. الخ » .

وقد وردت جملة أحاديث تهدد وتتوعد كل من أراد مكة وأهلها بسوء من ذلك :

عن صفية رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا ينتهى الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزو جيش ، حتى إذا كانوا بالبيداء – أو ببيداء من الأرض – خسف بأولهم وآخرهم ، ولم ينج أوسطهم قلت : يا رسول الله فمن كره منهم ؟ قال : يبعثهم الله على ما فى نفوسهم » أخرجه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح . وهو كما قال . وذكر مثله النسائى فى المناسك وباب (حرمة الحرم) فقال : (لا ينتهى عن غزو بيت الله حتى يخسف بجيش منهم) .

ودخل الحارث بن أبى ربيعة ، وعبد الله بن صفوان ومعهم عبد الله بن القبطية على أم سلمة فسألوها عن الجيش الذى يخسف به ؟ وذلك فى أيام ابن

الزبير ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : « يعوذ عائذ بالبيت ، فيبعث إليه بعث ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم ، فقلت : يا رسول الله ، فكيف بمن كان كارها ؟ قال : يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » أخرجه مسلم .

وفى رواية عبد الله بن صفوان عن أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ قال : « سيعوذ هذا البيت – يعنى الكعبة – قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة ، يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم » أخرجه مسلم والنسائى .

ومن هذه الآثار ما روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما زلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين . ومنها أن امرأة فى الجاهلية أتت الكعبة تتعوذ من زوجها فمد رجل يده إليها بسوء فيبست .

ويقرب من خبر أبرهة خبر تبع ملك اليمن واسمه (أسعد) وقد كان فى بلاد الشرق ثم عاد إلى بلاده وكان فى طريقه على المدينة المنورة ومكة فوصل المدينة المنورة ودخلها ثم سار منها بجيشه الجرار إلى مكة فلما كان بين المدينة ومكة لقيه جماعة من هذيل فحسنوا له تخريب الكعبة وأن يبنى بدلها كعبة عنده فى اليمن تحج الناس إليها فيكثر مورده وتعلو كلمته ويعظم قدره وتعمر بلاده ، فعزم على ذلك ، فلما صمم على تنفيذ نيته غشيته وجيشه ظلمة شديدة وريح عاصف فابتلى بأمراض وأوجاع فسالت عيناه على خده ورمى بداء فى رأسه صار يجرى منه القيح والصديد كثيرا وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه وكأنه جيفة حمار من شدة نتنه ورائحته الكريهة . فلما سأل أحباره وأطباءه عن سبب أمراضه قالوا له : لعلك هممت بهذا البيت بسوء ، قال : نعم ، وأخبرهم بما قاله له الهذليون من تخريب الكعبة وأنه أراد تخريبها ونقلها لبلاده فقالوا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جيشك ومن معك . هذا بيت الله لم يرده أحد بسوء إلا أهلكه الله .[1]
﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

---

(١) هذه القصة من كتاب « فى رحاب البيت الحرام » ، ص ٦٩ وبعدها .

٤ – نهى الشارع الحكيم عن الخصومة والجدال والرفث فى الحج وحسب الخصومة والجدال أن الله تعالى تولى النهى عنهما فى الحج بنفسه فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ . والجدال المنهى عنه قد تنوعت الأقوال فى تفسيره وأحراها بالقبول ما نقل عن ابن عباس وغيره أنه بمعنى المراء والملاحاة والخصومات . ولا مراء فى أن الفسوق والجدال بالباطل من المحرمات فى الإسلام ولكن حرمتها فى الحج أشد .

ذلك أن مناسك الحج تلبس الحجاج شعار الأخوة والمساواة ، وتشعرهم بأنهم كلهم لله ، وتربطهم برابطة الكعبة والتوحيد والتوجه إلى الله فلا ينبغى أن يكدر صفو هذه الأخوة بالجدال الذى يؤدى إلى تنافر القلوب وخلق الأحقاد والأضغان .

فالواجب على المسلمين أن يتقوا أسباب الخصومات ، وأن يجتنبوا كل مايؤدى إليها . وقد أمر الله تعالى رسوله أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكلمة الحكمة كلمة جامعة تشمل الرفق والأناة وتخير الملائم من العبارات والأزمنة والأمكنة .

وقد روى البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم » . والألد : الشديد العسف فى خصومته . والخصم : المولع بالخصومة الحريص على استمرارها وفتح أبواب لها .

وروى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « كفى بالمرء إثما أن لا يزال مخاصما » .

وكل ما جاء فى القرآن وما روى فى صحيح السنن من الأمر بإصلاح ذات البين والنهى عن الخلاف والشقاق وأمر القاضى أن يعرض الصلح على الخصوم قبل القضاء ، المقصود به الوقاية من الخصومات وقطع أسبابها .

ويؤدى الفجور فى الخصومة واللد فيها إلى الشدة والعنف والخروج بها عن سبيلها المستقيم ، وهذا يؤدى فى الغالب إلى الافتراء وإلى الإصرار على الباطل مع وضوح الحق . ومن أحق الناس بأن يرفقوا فى خصومتهم ويتجنبوا الرفث والفسوق

والجدال هم الحجاج والعمار الذين جاءوا يرجون ثواب الله ورضاه ويخافون عقابه وسخطه .

٥ – إن المسلم الحريص على دينه عليه أن يتجنب ما يخل باحترام الأماكن المقدسة ، ويحافظ على توقيرها واحترامها ، وأداء حقوقها .

فإذا كان يكره فى المسجد عامة أشياء حددها العلماء والفقهاء على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، فإن هذا أولى بالاجتناب فى أعظم المساجد وقبلتها جميعا .

فمن المكروهات رفع الصوت بالكلام أو بالذكر فى المسجد إن ترتب عليه تهويش على المصلين أو إيقاظ للنائمين ، كما قال الأحناف . وقال الأحناف : أما رفع الصوت بالكلام فإن كان لا يحل فإنه يكره تحريما ، وإن كان يحل فإنه يترتب عليه تهويش على المصلى أو نحوه كره ، وإلا فلا كراهة ومحل عدم الكراهة إذا دخل المسجد للعبادة ، أما إذا دخله لخصوص الحديث فيه فإنه يكره مطلقا .

وقال المالكية : يكره رفع الصوت فى المسجد ولو بالذكر والعلم واستثنوا من ذلك أمورا أربعة :

الأول : إذا احتاج المدرس إليه لإسماع المتعلمين ، فلا يكره .

الثانى : أما إذا أدى الرفع إلى التهويش على مصلى ، فيحرم .

الثالث : إذا رفع الصوت بالتلبية فى مكة أو منى ، فلا يكره .

الرابع : رفع صوت المرابط بالتكبير ونحوه ، فلا يكره .

وقال الشافعية : يكره رفع الصوت بالذكر فى المسجد إن هوش على مصلٍّ أو مدرس أو قارئ أو مطالع أو نائم لا يسن إيقاظه ، وإلا فلا كراهة .

وأما رفع الصوت بالكلام فإن كان بما لا يحل كمطالعة الأحاديث الموضوعة ونحوها فإنه يحرم مطلقا ، وإن كان بما يحل لم يكره إلا إذا ترتب عليه تهويش ونحوه .

وقال الحنابلة : إن رفع الصوت بالذكر فى المسجد مباح إلا إذا ترتب عليه تهويش على المصلين وإلا كره ما يباح من غير الذكر ، أما مالا يباح فمكروه مطلقا .

وإن أبى الله ورسوله على المسلمين أن يتجادلوا أو يرفثوا أو يفسقوا فى الحج ، فكيف بمن يدعى الإسلام من الخمينيين كيف يسوقون مظاهراتهم وهتافاتهم فى رحاب الحرمين الشريفين وفى جميع المشاعر المقدسة وهم يهتفون لصنمهم ويرفعون صوره ، ويهتفون ضد أمريكا وإسرائيل مع أنهم يأتمرون بأمرهما وينفذون مخططاتهما ؟ ! فهذا البلد الحرام طاهر لا يدخله إلا الأطهار الأخيار ، الذى تطهر فى ظاهره وباطنه . ولذا شرع الغسل قبل دخول مكة ، فقد ذكر العلماء أن من آداب دخولها الاغتسال .

ففى الصحيحين : عن ابن عمر أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا . ويذكر عن النبى ﷺ أنه كان يفعل ذلك ، ولا فرق بين أن يكون الداخل محرما أو وحلالا . وقد صرح بهذه المسألة الشافعى فى « الأم ».

فما بالكم بمن يدعى الإسلام اليوم ، والذى يأمر أتباعه بخلع ملابس الإحرام ، وأن يتوضأوا بدم المسلمين السنة ؟ !

٦ – إن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

ويدل على ذلك حديث ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة ألف صلاة » . وإسناد هذا الحديث على شرط الصحيح . رواه أحمد والبزار وابن حبان وصححه ابن عبد البر فى التمهيد .

وحديث جابر عن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه » .

قال أبو بكر : فحسب ذلك على هذه الرواية التى هى صلاة فى المسجد

الحرام أفضل من مائة ألف صلاة ، فبلغت صلاة واحدةفى المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة يوم وليلة فى المسجد الحرام ، وهى خمس صلوات ، عمر مائتى سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليالى ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وإن هذا التضعيف لا يختص بالصلاة ، بل سائر أنواع الطاعات قياسا على ما ثبت فى الصلاة والنظر إلى الكعبة فألحق به ما فى معناه من أعمال البر .

قال الحسن البصرى : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكل حسنة بمائة ألف . وفى سنن ابن ماجة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه وكتب له بكل يوم وليلة عتق رقبة وفى كل يوم حملان فرسين فى سبيل الله وفى كل ليلة حسنة » .

وروى البزار فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا : رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه عاصم بن عمر ، ضعفه الأئمة أحمد وغيره ووثقه ابن حبان .

وفى حديث ابن عباس مرفوعا قال وفيه حسنات الحرم الحسنة بمائة ألف حسنة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، رواه البيهقى . وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن مقامه بغير مكة فقال : مالى ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات ؟ فحمل ذلك منه على مضاعفة السيئات بالحرم .

وذهب جماعة من العلماء أيضا إلى مضاعفة السيئات كما تضاعفت الحسنات وممن قال بذلك مجاهد وابن مسعود ، ومن أخذ بعموم الأدلة لم يقل بالمضاعفة لقوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ولقوله عليه السلام : « من هم بسيئة وعملها كتب له سيئة واحدة » .

وحرر بعض المتأخرين النزاع فحمل المضاعفة على الكيفية لا على الكمية وقال معناه أن السيئات تتفاوت ، فمن عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه فى موضع بعيد عنه .

وعلى كل فهذا يدل على تعظيم للحرم وخوفهم من الله عزّ وجلّ فى مواضع الأجور أن يرتكبوا شيئا من الفجور . فقالوا : إنه يعاقب على مجرد الهم بالسيئة وإن لم يفعلها .

قال الإمام أحمد : لو أن رجلا همّ أن يقتل فى الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم . ثم قرأ : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

وقال ابن مسعود : ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهم قبل الفعل إلا مكة وتلى هذه الآية : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ وعلى هذا فيستثنى ذلك من قاعدة الهم بالسيئة مع عدم فعلها .

وقال مجاهد : من يعمل فيه عملا سيئا ، وهذا من خصوصية الحرم ، إنه يعاقب البادىء فيه بالشر إذا كان عازما عليه وإن لم يوقعه وحاصله إن فعل الإنسان سيئة فيه بشكل عام يجازى على قدرها زيادة على ما لوفعله بغير الحرم لحرمته عند الله ، وذلك من أصغر ذنب إلى أعظمه ، كل ذلك داخل بقوله تعالى ﴿ بظلم ﴾ فلو شتم خادما فما فوقه كاحتكار الطعام – إلى القتل والشرك والارتداد ، فهو ظلم . فعمل شىء فى الحرم ليس كعمله فى أى مكان دونه والله تعالى يعاقب عليه بما يناسب حرمة الحرم[1] .

وعلى هذا فإن هذه من خصوصيات الحرم التى تتناسب مع قدسيته وحرمته فقد اتفق أهل العلم على : أن من هم أن يعمل سيئة فى مكة أذاقه الله تعالى العذاب الأليم بسبب همه بذلك ، وإن لم يفعلها بخلاف غير الحرم المكى من البقاع فلا يعاقب فيه بالهم .

وقال عبد الله بن مسعود : لو أن رجلا أراد بإلحاد بظلم وهو بعدن أبْيَن لأذاقهَ الله من العذاب الأليم . وهذا ثابت عن ابن مسعود ، والذين قالوا هذا القول استدلوا له بظاهر قوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ لأنه تعالى رتب إذاقة العذاب الأليم على إرادة الإلحاد بالظلم فيه .

---

(١)تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٢٠٣/٣ .

ومما ذكره الزركشى من خصائص مكة :

تغليظ الدية على من قتل فى حرم مكة ، وهو الذى لا يجوز دخوله بغير إحرام لقوله تعالى : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ ولأنه لما تغلظ تحريم الصيد كان أولى أن تغلظ فيه نفوس الآدميين لأن للحرم تأثيرا فى أثبات الأمن . وتغلظ وإن كان القتل خطأ سواء كان القاتل والمقتول معا فى الحرم ، أو أحدهما فيه دون الآخر .

وذهب الحسن البصرى إلى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة ، لأن القتل منهى عنه فلا يحل بسببه ، ولقوله ﷺ : « لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم من حديث جابر .

قال القاضى عياض : وهو محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة ، فإن كان حاجة جاز ، قال : وهذا مذهب مالك والشافعى وعطاء .

وقال أصحابنا : لا يُمَّكن الكافر من دخول حرم مكة ، سواء مساجدها أو غيرها ، حتى لو جاء فى رسالة لا يدخل بل يخرج إليه من يقضى الأمر المتعلق به هذا هو المشهور .

قال الشافعى فى الأم هناك : ليس للإمام أن يدع مشركا يطأ الحرم بحال من الحالات .. طبيبا كان أو صانعا بنيانا أو غيره . وابن كج يحمل النص على غير حالة الضرورة .

انعقد الإجماع - كما قال القاضى عياض وغيره - على أن أفضل بقع الأرض على الإطلاق المكان الذى ضم جسده ﷺ وعلى أن مكة أفضل بقاع الأرض بعده .

إن الحرم لا يدخله أحد إلّا متواضعا خاشعا متذللا مكشوف الرأس متجردا من لباس الدنيا بخلاف غيره من البقاع .

إنه سبحانه أقسم به فى موضعين من كتابه فقال : ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ وقال : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ أى أقسم ، لأن « لا » فى هذا الموضع عند النحويين صلة .

إنه سبحانه وتعالى أضافه إلى نفسه فى قوله تعالى : ﴿ وطهر بيتى للطائفين ﴾ وناهيك بهذه الإضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه ، الرافعة لقدره . وهى السر فى إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه .

روى ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل مرفوعا : « إن الحاج إذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وفى سنن سعيد بن منصور عن عمر أنه قال : « من أتى هذا البيت لا ينتهزه غير صلاة فيه ، رجع كيوم ولدته أمه » .

لو نذر إتيان المسجد الحرام ، لزمه ، لحديث : « لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد » كما فى الصحيحين . وأصح الطريقين ، أنه ينعقد نذره بحج أو عمرة ونص عليه الشافعى .

كما قاله القاضى الحسين لحديث أخت عقبة أنها نذرت أن تمشى إلى بيت الله فأمرها رسول الله ﷺ أن تمشى بحج أو عمرة ، لأن مطلق كلام الناذرين محمول على ما ثبت له أصل فى الشرع كمن نذر أن يصلى : يلزمه الصلاة المعهودة شرعا والمعهودة فى الشرع والعرف قصد المسجد الحرام بالحج والعمرة فيحمل نذره عليه . لو قال لله على أن أستر الكعبة ، أو أطيبها لزمه ، لأنه قد عهد فى الصدر الأول على أنه مطلوب ، واندرج تحت قوله ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » أخرجه ابن ماجة فى النذر ١/٦٨٧ .

إن من أنكر مكة أو البيت ، أو المسجد الحرام ، أو صفة الحج ، أو أنه ليس على هذه الهيئة المعروفة ، أو قال : لا أدرى : أن هذه المسماة بمكة هى مكة أو غيرها ، لا شك فى تكفير قائله . قاله النووى فى زوائد الروضة ناقلا له عن القاضى وغيره .

إن الدجال لا يدخلها لما فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « ليس من بلد إلّا سيطؤه الدجال إلّا مكة والمدينة ليس نقب من أنقابها إلّا عليه الملائكة حافين يحرسونها » .

وقد أبلغ الزركشى بخصائص مكة إلى مائة وأربع وعشرين خصيصة ، وأبلغ بخصائص المدينة إلى أربعين خصيصة .

لقد تحدث عن خصائص البيت الحرام وخصائص مكة ، فقال : هى أجل أن الدعوة فى تلك البلدة مستجابة .

إن الثواب يترتب على مجرد النظر إلى الكعبة .

إنه يستحب الغسل لدخول الكعبة .

ويستحب الغسل لدخول الحرم .

ويستحب الغسل لدخول مكة . ففى الصحيحين عن ابن عمر : أنه كان لا يقدم مكة إلّا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا . ويذكر عن النبى ﷺ أنه يفعل ذلك ولا فرق بين أن يكون الداخل محرما أو حلالا .

إن الصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . وما رواه أحمد وغيره بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى غيره ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » .

إن حرم مكة كالمسجد الحرام فى المضاعفة المذكورة جزم به الماوردى وتبعه النووى فى مناسكه ، ونقله صاحب البيان عن الشريف العثمانى ، وهو بناء على أن المسجد الحرام فى الخبر ، المراد به جميع الحرم .

قال النووى : المراد به جميع الحرم وعرفة ، وقال : سألت الشريف العثمانى ما المراد بالمسجد الحرام فى هذا الخبر ؟ فقال : « المراد به الكعبة والمسجد حولها وسائر بقاع الحرم » .

هذا وإن خصائص مكة المكرمة أكثر من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى ، وذكر منها ما يلى :

– أنه أول بيت وضع للناس على الأرض .

– أن إحياء الكعبة بالحج فى كل سنة من فروض الكفايات .

ونقل عن الرافعى قوله : (وينبغى أن تكون العمرة كالحج ، بل الاعتكاف

والصلاة فى المسجد الحرام ، فإن التعظيم وإحياء البقعة يحصل بجميع ذلك) .

– أن الصلاة يحرم فعلها فى الأوقات الخمسة ، عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمح ، وعند الاستواء حتى تزول ، وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع ، وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، لما فى الصحيح من النهى عن ذلك ، ويستثنى حرم مكة .

ففى السنن الأربعة من حديث جبير بن مطعم : أن رسول الله ﷺ قال : « يا بنى عبد مناف ، لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار » . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وفى رواية « لا صلاة بعد صلاة الصبح بمكة » ، والمراد جميع الحرم – والمعنى زيادة الفضل فى تلك الأماكن .

إن الطواف تحية البيت يجوز فعله فى هذه الأوقات أيضا للحديث السابق وهو قول الشافعى وأحمد وإسحق وداود وجمهور العلماء . وبه قالت الصحابة كما سبق ، وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم ، ومنعه أبو حنيفة .

والتحيات خمس :

تحية المسجد بالصلاة .

تحية البيت بالطواف .

تحية الحرم بالإحرام والحج والعمرة .

تحية منى بالرمى .

تحية المسجد بالنسبة إلى الخطيب يوم الجمعة بالخطبة .

قاله النووى فى نكت التنبيه :

– إن الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب .

– وإن الدعاء فى حرم مكة مستجاب .

وقال السيوطى اختص حرم مكة بأحكام :

الأول : لايدخله أحد إلا بحج أو عمرة وجوبا أو استحبابا .

الثانى : لا تقاتل فيه البغاة على رأى .

الثالث : يحرم صيده .

الرابع : يحرم قطع شجره ويشاركه فيها حرم المدينة .

الخامس : يمنع كل كافر مَن دخوله مقيما كان أو مسافرا .

السادس : لا تحل لقطته للتملك .

السابع : يحرم إخراج أحجاره ، وترابه إلى غيره .

الثامن : يكره إدخال أحجار غيره وترابه إليه .

التاسع : يختص نحر الهدايا ، والغداء به .

العاشر : يجب قصده بالنذر ، بخلاف ما سواه .

الحادى عشر : لو نذر الذبح فيه يقين ، بخلاف مالو نذره بغيره ، فيذبح حيث شاء .

الثانى عشر :لا يؤذن فيه لمشرك ، ولا يدفن فيه ، فإن دفن ، نبش وأخرج .

الثالث عشر : لادم على أهله فى تمتع ولا قران .

الرابع عشر : تغلظ الدية على قاتل الخطأ فيه .

الخامس عشر : لا يجوز إحرام المقيم به بحج خارجه .

السادس عشر : لا يكره فيه نافلة بوقت .

السابع عشر : يسن الغسل لدخوله ، ويشاركه فى ذلك حرم المدينة ، كما صرح به النووى فى مناسكه .

الثامن عشر : مضاعفة الصلاة فيه .

التاسع عشر : مضاعفة السيئات فيهما كما تضاعف الحسنات .

العشرون : الهم بالسيئة فيه مؤاخذ به ، ولا يؤاخذ به فى غيره .

ترتيب الجزاء على شرطه :

ويؤيد هذا قول بعض أهل العلم : إن الباء فى قوله : بإلحاد ، لأجل أن الإرادة مضمنة معنى الهم . أى ومن يهم فيه بإلحاد . وعلى هذا قاله ابن مسعود وغيره .

فهذه الآية الكريمة مخصصة لعموم قوله ﷺ : « ومن هم بسيئة فلم يعملها كتب له حسنة » الحديث .

وعلى هذا كله تكون الآية الكريمة ﴿ ومن يرد .. ﴾ وحديث ابن مسعود مخصصان لعموم حديث الصحيحين (رواه البخارى عن ابن عباس باب من هم بحسنة أو سيئة ٣٢٣/١١ بشرح ابن حجر رواه مسلم عنه وعن أبى هريرة كتاب الإيمان ١١٧/١ ، ١١٨) ولفظ رواية أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : « إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة » .

وفى فتح البارى (٢٣٦/١١ – ٣٢٨) تحقيق جليل نقلا عن الإمام السبكى لحكم ما يدور فى الضمير ، حيث قسم ما يدور فى نفوس الخلق إلى خمسة أحوال وهى : الهاجس والخاطر وحديث النفس والهم والعزم .

فالأولان لا يكتبان فى الخير ولا فى الشر ، والثالث والرابع يكتبان للعبد فى الحسنات ولا يكتبان فى السيئات ، والخامس يكتب للعبد فى الخير وعليه فى الشر .

وقد ذهب قوم من أهل التأويل منهم الضحاك وأبو زيد إلى أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصى بمكة وإن لم يعمله ، وذلك أن الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، فلعظم حرمة المكان توعد الله عز وجل على نية السيئة ، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلّا فى مكة . وعليه فهذا التخصيص لشدة التغليظ فى المخالفة فى الحرم المكى ، ووجه هذا ظاهر . ويحتمل أن يكون معنى الإرادة فى قوله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد ﴾ العزم المصمم على ارتكاب الذنب فيه ، والعزم المصمم على الذنب يعاقب عليه فى جميع بقاع الله ، مكة وغيرها انظر قوله تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ... ﴾ الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم .

والدليل على أن إرادة الذنب إذا كانت عزما مصمما عليه أنها كارتكابه حديث أبى بكرة الثابت فى الصحيح : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » . فقولهم : مابال المقتول سؤال عن تشخيص عين الذنب الذى دخل بسببه النار مع أنه لم يفعل القتل ، فبين النبى ﷺ بقوله : « إنه كان حريصا على قتل صحابه » أن ذنبه الذى أدخله النار ، هو عزمه المصمم وحرصه على قتل صاحبه المسلم .

ومثال المعاقبة على العزم المصمم على ارتكاب المحظور فيه ، ما وقع بأصحاب الفيل من الهلاك المستأصل ، بسبب طير الأبابيل ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ لعزمهم على ارتكاب المناكر فى الحرم ، فأهلكهم الله بذلك العزم قبل أن يفعلوا ما عزموا عليه ، والعلم عند الله تعالى .

والظاهر أن الضمير فى قوله ﴿ فيه ﴾ راجع إلى المسجد الحرام ، ولكنه حكم الحرم كله تغليظ الذنب المذكور كذلك[1] .

فالله الله فى حرم الله يامسلمى اليوم ! كيف استبحتم دماء المسلمين ، وألحدتم فى حرم الله ؟ !

أين أنتم من حساسية ابن عمر رضى الله عنهما وخوفه الشديد من هذه الآية .

قال ابن عمر : كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الإنسان : لا والله : وبلى والله ، وكلّا والله ولذلك كان له فسطاطان ، أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم ، فكان إذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم ، وإذا إراد بعض شأنه دخل فسطاط الحل ، صيانة للحرم عن قولهم كلّا والله وبلى والله ، وحين عظم الله الذنب فيه .

وكذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم ، فإذا إراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل ، وإذا أراد أن يصلى صلى فى

---

(١) أضواء البيان ، ٥/٦٠ .

الحرم ، فقيل له فى ذلك فقال : إن كنا لنتحدث أن من الإلحاد فى الحرم أن نقول كلّا والله وبلى والله ، والمعاصى تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات ، فتكون المعصية معصيتين ، إحداهما بنفس المخالفة والثانية بإسقاط حرمة البلد الحرام . وهكذا الأشهر الحرم سواء .

وقد روى أبو داود عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال : « احتكار الطعام فى الحرم إلحاد فيه » وهو قول عمر بن الخطاب والعموم يأتى فى هذا كله . ولذا ذهب قوم من أهل التأويل منهم الضحاك وابن زيد إلى أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصى بمكة وإن لم يعمله[1] .

فجملة ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ تعنى الاستحلال للحرام والركوب للآثام كما قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد . وقيل : كل شىء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم ، وقيل هو دخول مكة بغير إحرام عن عطاء وقد فسر الإلحاد هنا بالظلم فى عمومه وهو شامل لكل جور أو حدث مستغرب على جو العبادة والحرم . ولذا حرم العلماء صيد الحرم على الحلال والمحرم بالإجماع ، لقوله ﷺ « لاينفر صيدها » ونبه بالتنفير على الإتلاف لأنه إذا حرم التنفير فالإتلاف بالأولى وهو مضمون .

ويحرم قطع شجره وحشيشه « ولا يعضد شجرها » على الحلال والمحرم لقول النبى ﷺ إلّا ما استثنى كالأذخر ونحوه . ولاضمان فى قطع شجر الحرمين عند مالك : ولم يبلغنى فى ذلك شىء . وأما الشافعى فجعل فى الشجرة الكبيرة بقرة وفيما دونها شاة ، وأوجب أبو حنيفة القيمة ، وهذا فيما ينبت بنفسه لا فيما ينبته الناس من البقول والزروع .

ولذا فقد منع الله تعالى دخول الكفار مكة فقال عز من قائل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ وروى الشافعى رحمه الله فى مسنده أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يجتمع مسلم

---

(١) القرطبى ، ٣٥/١٢ . عدن مدينة مشهورة وتضاف إلى (أبْيَن) وهى بخلاف عدن .

ومشرك فى الحرم » . وكما لا يحق للمشركين دخول مكة المكرمة فلا يحق لهم عمارة المسجد الحرام بأى نوع من أنواع العمارة الحسية أو المعنوية لقوله تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون* إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ الآية .

والمعنى : ما كان ينبغى ولا يصح للمشركين أبدا أن يعمروا مسجد الله الأعظم ، وبيته المحرم بالإقامة فيه للعبادة أو للخدمة أو للولاية عليه ، ولا أن يزوروه حجاجا أو معتمرين(١) .

والقاعدة الشرعية الثابتة : أن عمارة المساجد إنما تحصل من المؤمنين بالله ، المطيعين له ، المصدقين باليوم الآخر ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، كما يخشون الله ، وهم أهل لأن يكونوا من المهتدين الفائزين بسعادة الدارين ، المستحقين لرضوان الله .

قال أبو حيان : أمر المؤمنين بعمارة المساجد ، يتناول عمارتها ، ورم ما تهدم منها ، وتنظيفها ، وتعظيمها ، واعتيادها للعبادة والذكر وصونها عما لم تبن له من الخوض فى أحوال الدنيا .

وقال أبو بكر الجصاص : وعمارة المسجد تكون بمعنيين : أحدهما : زيارته والمكث فيه ، والآخر : بناؤه وتجديد ما استرم منه .

فاقتضت الآية منع الكفار من دخول المساجد ، ومن فنائها وتولى مصالحها ، والقيام بها لانتظام اللفظ للأمرين(٢) .

وقد صدق الجصاص فيما ذهب إليه من منع الكفار من العمارة الحسية والمعنوية . فالعمارة المعنوية هى الغرض الأسمى من بناء المساجد . ولا مانع من أن يكون المراد العمارتين الحسية والمعنوية وهو اختيار الجمهور ، لأن اللفظ يدل

---

(١) راجع كتابنا : العلاقات الدولية فى الإسلام .

(٢) أحكام القرآن ، ٢/٨٧ للجصاص .

عليه ، والمقام يقتضيه[1] .

فالآيات الكريمة هى آخر ما نزل من القرآن فى تحديد العلاقة مع المشركين فبينت أن ليس للمشركين أدنى حق فى عمارة بيوت الله ، فهى حق خالص للمؤمنين بالله ، القائمين بفرائضه . فهو أمر مستنكر منذ الابتداء ، ليس له مبرر لأنه مخالف لطبائع الأشياء ، لأن بيوت الله خالصة لله ، لا يذكر فيها إلّا اسمه ولا يدعى معه فيها أحد غيره ، فكيف يعمرها من لايعمر التوحيد قلوبهم ، ومن يدعون مع الله شركاء ، ومن يشهدون على أنفسهم بالكفر شهادة الواقع الذى لا يملكون إنكاره ، ولا يسعهم إلّا إقراره .

هذه هى القاعدة فى استحقاق عمارة بيوت الله . فكيف بمن ينادون بتدويل أعظم بيوت الله وجعله بأيدى أعداء الله ممن لا يعظمون شعائر الله ، وممن يشهدون على أنفسهم بالكفر ، وبمن يتوجهون بعبادتهم لطواغيتهم ، ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم ؟ فهؤلاء أنجاس أرجاس يجب ألا يسمح لهم بالاقتراب من المسجد الحرام لقوله : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ الآية . وتلك غاية فى تحريم وجودهم بالمسجد الحرام ، حتى لينصب النهى على مجرد القرب منه .

فالله تعالى أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام منذ أن بوأ له مكان البيت أن يطهره من الشرك وأعمال المشركين ومن البدع وجميع الأنجاس والدماء[2] ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ .

فهل يسمح لمن يشرك بالله دخول بيت الله والمسجد الحرام وهو يرفع شعارا غير شعار الله شاهدا على نفسه بالشرك وهو يفعل ما فعله مشركو العرب الذين كانوا يلبون تلبيتهم الشركية (لبيك اللهم لبيك لاشريك لك إلّا شريكا تملكه وما

---

(١) تفسير آيات الأحكام ، ٥٧٣/١ . محمد على الصابونى.
(٢) تفسير القرطبى ، ٣٧/١٢ .

ملك) ؟ وها هم شيعة اليوم يقولون (لبيك ياخميني) بدل (لبيك اللهم لبيك) !

وكما بين الله تعالى حرمة مكة وما اختصها تعالى به من خصائص فهى أقدس بقاع الأرض قاطبة . كذلك بين حرمة الأشهر الحرم بقوله : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ .

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن الرسول عليه السلام قال فى حجة الوداع : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » .

وقد بين الله سبحانه للمسلمين أن المشركين إن انتهكوا حرمة البيت ، وقاتلوا عند المسجد الحرام ، واعتدوا على المسلمين فيه ، فإنه لا يصح أن يحول بينهم وبين رد الاعتداء حرمة ذلك البيت الكريم ، لأن الله سبحانه وتعالى جعله حرما آمنا ، فمن اعتدى من المشركين بالقتال فيه فقد ازدوج اعتداؤه ، ابتداءً بالاعتداء ، واعتدى على أهل الحق ، واعتدى على حرمة البيت ، وكان من الواجب أن يرد كل هذا الاعتداء ، ليشفى الله قلوب قوم مؤمنين ، ولأن إلقاء السلم لمن حمل السيف تمكين للباطل من الحق يجعل المبطل يستمرئ الظلم ، فيكرر الاعتداء على البيت الحرام ، إذ يراه أنهز للفرصة ، وأنكى للمسلمين ، إذ يقتلون ولا يقاتلون .

ومثل حرمة القتال فى البيت الحرام القتال فى الشهر الحرام ، فإن الله سبحانه قد حرم القتال فيه ، ولكن إن اعتدى المشركون فقاتلوا فيه لا يلقى إليهم المسلمون السلم لينالوا منهم . وهذا ما صرح به الحق سبحانه بقوله : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ الآية . البقرة /١٩٥ .

فالباء للمقابلة ، أى الشهر الحرام من جانبكم مقابل للشهر الحرام من جانبهم فإن تقيدوا بالحرمة فيه ولم يثيروا حربا ولم يعتدوا ، التزمتم حرمته ولم تقاتلوهم فيه ،

ولو كان قتالهم فى ذاته عدلا ، بعد أن فتنوا الناس عن دينهم ، وإن انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، ونابذوكم فيه وقاتلوكم فلا تكفوا عن قتالهم ، ولا تقبضوا أيديكم عنهم احتراما له ، بل ابسطوا عليهم أيديكم ، وخذوهم إلى الحق من نواصيهم ، لأنه إذا كان الشهر الحرام واجب الصيانة فنفوس المؤمنين ألزم صيانة وأحق بها ، وإذا تعارضت الحقوق والواجبات قدم ألزمها ، وأحفظها لدين الله وإعلاء كلمته ، ولا شك أن ترك المشركين يكلبون المؤمنين ويشتدون عليهم ، أشد ضررا من القتال فى الشهر الحرام الذى انتهكوا حرمته ، وقد أخرجوا من قلوبهم كل حريجة دينية وخلقية وإنسانية ﴿ لا يرقبون فى مؤمن إلًّا ولا ذمة ﴾ .

والسؤال : لماذا حرم الله سبحانه وتعالى القتال فى الشهر الحرام ؟

الجواب : لتأمين السبل فى الحج ، ذهابا وجيئة ، ولذلك كان أكثرها أشهر الحج ، كما قال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ فمنع القتال فيها تأمينا للسبل ، ولأمن بيت الله الحرام . وعلى هذا يكون تحريم القتال فى الشهر الحرام لتحقيق الأمن الكامل للبلد الحرام ولحرم الله الآمن إلى يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ .

ثم تأمل قوله تعالى فى التعقيب على هذه الأحكام ﴿ والحرمات قصاص ﴾ وهذه الجملة وضعت قانونا شاملا يعم ولا يخص ، وينظم العلاقات الدولية ، كما ينظم التعامل فى المجتمع الإنسانى ، فمن اعتدى على غيره فى ماله ، أو نفسه ، أو بعضه ، أباح الحاكم من نفسه وماله ما أباحه لنفسه من نفس غيره وماله . والمعتدى على المسلمين يعامل بقدر اعتدائه ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وبطريقة اعتدائه ، وفى زمان اعتدائه ، ومكان اعتدائه ، فإن انتهك حرمة الزمان فليس له أن يستمسك بحرمتها ؛ ومن انتهك حرمة المكان قتل فيه ، ومن اعتدى بنوع من الاعتداء عوقب بمثله إلّا أن يكون أمرا لا يحله الشرع ، ولا تحله الطبائع السليمة .

إن قضية ﴿ والحرمات قصاص ﴾ هى المعاملة العادلة التى تنظم الاجتماع الإنسانى فى دوله وآحاده ، وليس من الفضيلة فى شيء أن تغل يد الفضائل عن

حرمات خصمها فى الوقت الذى استباح المبطل كل الحرمات ، وإن ذلك ليس من نص الفضيلة ، وخضد شوكة الحق ليأكله الباطل ، وإن التسامح فى هذه الحالة هو شر ذرائع الرذائل ، والقوة والقصاص فى هذه الحال هو حماية الفضيلة وفل شوكة الرذيلة .

وهكذا فضائل الإسلام دائما فضائل لها شوكة وقوة ولا تعد التسامح الذى يمكن للباطل من أن يتغلب على الحق إلّا الاستسلام والذلة .

المسجد النبوى

وإذا انتهينا من الحديث عن بيت الله ، والمسجد الحرام ، والبيت المقدس ، والحرم الآمن ، ننتقل إلى الحديث عن المسجد النبوى الذى أضفى الله عليه قدسية ، إذ جعله ثانى المساجد المقدسة ، فى طيبة الطيبة ، المدينة المنورة ، ذلك المكان الذى كان يشرح فيه النبى ﷺ رسالته ، ويبين شريعته ، ويجيب السائل ويهدى الضال ، هناك الروضة الشريفة ، المكان الذى كان يسوس فيه النبى ﷺ المسلمين بأحكم سياسة ، ويعاملهم بالحكمة ، ويتلو عليهم كتاب الله ، ويدبر أمر الجيوش التى أعلت كلمة الله ، وهزمت الشرك والطغيان ، وأزالت دولة الأوثان ، إنها ذكريات الرسالة المحمدية ، ذكريات النبوة الأولى ، ومنازل الوحى ، ومدارك العرفان .

ولقد وردت الكثير من الأخبار فى فضل المدينة المقدسة :

من ذلك ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب ، وهى المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد » رواه البخارى ومسلم .

وقال ﷺ « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » رواه الشيخان .

وقال ﷺ : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلّا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت على لأوائها وجهدها إلّا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ، ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلّا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح فى الماء » أخرجه مسلم فى صحيحه . وروى مثله البخارى فى صحيحه والترمذى فى جامعه .

وفى الصحيحين قال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » .

وكان ﷺ دائم الدعاء للمدينة وأهلها من ذلك قوله كما جاء فى الصحيحين : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة » . وجاء فيهما أيضا : « اللهم بارك لهم فى مكيالهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، وبارك لهم فى مدهم » .

وفى رواية مسلم : « اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ، اللهم بارك لنا فى مدنا اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم اجمع مع البركة بركتين » . وله أيضا : « إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإنى عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » .

وعن سعد أن رسول الله ﷺ لما رجع من تبوك تلقاه رجال من المتخلفين المؤمنين فثار غبار فخمر من كان مع رسول الله ﷺ أنفه ، فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه وقال : « والذى نفسى بيده إن غبارها شفاء من كل داء » .

وقال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه » . أخرجه الشيخان .

وعن أبى سعيد الخدرى يرفعه (يأتى الدجال – وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة – ينزل بعض السباخ ، فيخرج إليه يومئذ من هو خير الناس أو – من خير الناس – فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه (والله ما كنت قط أشد بصيرة منى اليوم ، فيقول الدجال : (أقتله فلا يسلط عليه) . أخرجه البخارى فى صحيحه .

وقال ﷺ : « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنه من مات بها كنت له شهيدا – أو شفيعا – يوم القيامة » . وفى رواية « من مات بواحد من الحرمين بعث فى الآمنين يوم القيامة » يعنى مات على التوحيد .

ما ورد فى فضل المسجد الشريف
والروضة المقدسة والمنبر العظيم

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى » أخرجه الشيخان والترمذى .

وقال : « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » رواه أحمد .

وعن عبد الله بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتى لينبرى روضة من رياض الجنة » رواه الشيخان ومالك والنسائى ورواه الترمذى .

وعن أم سلمة أن النبى ﷺ قال : « إن قوائم منبرى هذا رواتب فى الجنة » أخرجه النسائى .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : دخلت على رسول الله ﷺ فى بيت بعض نسائه فقلت : يا رسول الله المسجد الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال : « هو فى مسجدكم هذا ، المسجد المدينة » أخرجه مسلم .

وعن أبى سلمة يرفعه : « من دخل مسجدى هذا للصلاة أو لذكر الله عز وجل أو ليتعلم خيرا أو يعلمه ، كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ، ولم يجعل ذلك لمسجد غيره » .

وثواب الأعمال فى المدينة كما فى مكة يتضاعف أضعافا كثيرة .

روى البيهقى عن جابر مرفوعا : « الصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام ، والجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلّا المسجد الحرام » وشهر رمضان فى مسجدى هذا أفضل من

ألف شهر رمضان فيما سواه إلّا المسجد الحرام » .

وعن أبي هريرة وغيره ولأحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد (منبرى على ترعة من ترع الجنة) . وفسر الترعة بالباب ، وقيل الترعة الروضة على المكان المرتفع ، وقيل الدرجة .

فضل المدينة :

نقل العياض وقبالة أبو الوليد الناجى وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة كما قاله ابن عساكر فى تحفته .

وقال النووى : إن الجمهور على تفضيل السماء على الأرض أى ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة . وأجمعوا بعد ذلك على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد .

بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى أن المدينة أفضل من العرش وصرح التاج الفاكهى بتفضيلها على السموات ، قال : بل الظاهر المتعين تفضيل جميع الأرض على السماء لحلوله بها(١) .

وروى الحاكم فى مستدركه على الصحيحين حديث « اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلىّ فأسكنى فى أحب البقاع إليك » أى فى موضع تصيره كذلك فجمع فيه الحبان والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب فيتجدد .

وفى الصحيحين : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » أى تنقبض وتنضم وتلجأ .

خصائص المدينة :

خصائص المدينة كثيرة تزيد على المائة إلّا أن مكة شاركتها فى بعض ذلك فقد حرم الله تعالى قطع الرطب من شجرها وحشيشها وصيدها واصطياده وتنفيره

---

(١) ونحن ندورنا نقدس المدينة المنورة ، ولكن لسنا مع هذه المبالغات وهذا العلو ، ولا داعى أصلًا للتعلق بمثل هذه الأخبار ، ويكفى ما صح فى ذلك عن رسول الله ﷺ .

وحمل السلاح والقتال بها وأمر لقطتها ونقل التراب منها أو إليها ونبش الكافر إذا دفن بها .

وامتازت بتحريمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته ﷺ وكون التعرض لصيدها وشجرها يسلب كقتيل الكفار ، وهو أبلغ فى الزجر مما جاء فى مكة وعلى القول بعدمه هو أدل على عظم حرمتها حيث لم يشرع له جابر وبجواز نقل ترابها للتداوى واشتمالها على أفضل البقاع ودفن أفضل الخلق بها وأفضل هذه الأمة وكذا أكثر الصحابة والسلف الذين هم خير القرون ، وخلقهم من تربتها ، وبعث أشرف الأمة يوم القيامة منها . وفيها أفضل الشهداء والذين بذلوا أنفسهم فى ذات الله بين يدى نبيه ﷺ فكان شهيدا عليهم . واختيار الله تعالى لها قرارا لأفضل خلقه وأحبهم إليه . واختيار أهلها للنصرة والإيواء ، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسنان ، والحث على الموت بها ، وحرصه ﷺ أن يموت بالمدينة ، وشفاعته أو شهادته لمن صبر على لأوائها وشدتها . وتسميته لها بطيبة ، وطيب ريحها ، وطيب العيش بها ، وكثرة أسمائها وكتابتها فى التوراة مؤمنة ، وتسميتها فيها بالمحبوبة والمرحومة . وإضافتها إلى الله تعالى فى قوله : ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ وإلى الرسول عليه السلام بلفظ البيت ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ وأنها تنفى الخبث والذنوب ، وأن من أراد أهلها بسوء أذابه الله ، فرتب الوعيد فيه على الإرادة كما قال تعالى فى حرم مكة ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ والوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثا ، والحدث الإثم فيشمل الصغيرة والكبيرة فهى بها كبيرة أى يعظم جزاؤها لدلالتها على جراءة مرتكبها بحرم سيد المرسلين وحضرته الشريفة[1] .. إلخ .

ووردت أحاديث كثيرة فى حراسة الملائكة للمدينة .. قال ﷺ : « لا يدخل المدينة رعب المسيخ الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان » .

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ٦١ وما بعدها الشيخ السمهودى المدنى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وعن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ليس من بلد إلّا سيطؤه الدجال إلّا مكة والمدينة وليس على نقابها نقب إلّا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم يرجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق » .

حرمة المدينة المنورة

اتفق الأئمة الثلاثة وغيرهم على تحريم قطع شجرها وصيدها خلافا لأبى حنيفة ، وما سبق من الأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه .

ولمسلم : أن سعدا ركب إلى قصره بالعتيق فوجد عبدا يقطع شجرا أو يخبطه فسلبه ثيابه . فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد عليهم غلامهم أو عليهم ما أخذ من غلامهم ، فقال : معاذ الله أن أرد شيئا نفلنيه رسول الله ﷺ .

وفى رواية قال سعد : سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقطع من شجر المدينة شىء ، وقال : « من قطع منه شيئا فلمن أخذه سلبه » .

وفى رواية « من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه » .

وقال النووى : (إن سعدا أخذ رجلا يصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه ..) .

وللطبرانى برجال الصحيح عن زيد بن ثابت عن شرحبيل بن سعيد قال : أخذت نهسا (يعنى طائرا) بالأسواق (موضع بالمدينة مجمع البحار) فأخذه منى زيد بن ثابت فأرسله وقال أما علمت أن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتيها .

ولا يجوز تنفير صيد المدينة ولا تلتقط لقطتها ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال وأن المقاتلة الجائزة بغيرها تحرم فيها كقتال البغاة بل يضيق عليهم إلى أن يخرجوا أو يفيئوا .

ولا يصح نقل أحجار الحرم وترابه وما اتخذ منه فيما لم تدع الحاجة إليه فإن دعت الحاجة إلى نقل تراب الحل إلى الحرم أو عكسه كمن احتاج السفر بآنية من تراب الحرم .

وقال الزركشي : ينبغي أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة رضى الله عنه أى المأخوذة من المسيل الذى به مصرعه لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوى من الصداع .

ومن خصائص المدينة : تغليظ الدية على القاتل خطأ بحرم المدينة كمكة ومن مات من الكفار بهما يخرج ويدفن خارجهما .

وجاء فى تحريمها في الصحيحين حديث : « إن إبراهيم عليه السلام حرم مكة ودعا لها » ، وفى رواية « ودعا لأهلها وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » .

وللبخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى » . قال : وأتى النبى ﷺ بنى حارثة فقال : « أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم » ثم التفت فقال : « بل أنتم فيه » (كانوا فى الحرة الشرقية يمين المتوجه فى الطريق الشرقية لمشهد حمزة) .

وجاء فى صحيح مسلم : « اللهم إنى أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة » .

وفى رواية : « اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرامًا وإنى حرمت المدينة حرامًا ما بين مأزميها[1] أن لا يراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلّا لعلف » .

ولأبى داود مثل مسلم وزاد : أن رسول الله قال : « لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلّا من أشاد[2] بها ولا يصلح الرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا أن يقطع منها شجرة إلّا أن يعلف رجل بعيره » .

وللبخارى عن أبى هريرة : لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها ، ومقتضى رواية أحمد فى حديث الصحيفة وهو صحيح أن إبراهيم حرم مكة وإنى أحرم ما

---

(١) جبلاها وهما عير و ثور(عير جبل يقابل الثنية ، وثور جبل عند أحد) .

(٢) أنشد .

بين حرتيها[1] وحماها كله لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها ولا يقطع منها شجرة إلّا أن يعلف رجل بعيره ولا يحمل فيها السلاح لقتال .

ومقتضى هذه الرواية : أنه عليه الصلاة والسلام حرم ما بين حرتى المدينة وحرم حماها كله .

والمفهوم من تحريم الرسول ﷺ لحرم المدينة التعظيم والتشريف لهذا المكان الطاهر المقدس ، وتخصيص ذلك المقدار إما لأمر ربانى وسر روحانى بثه الله تعالى فيه لتلك الحدود . وأهل الشهود يرون الأنوار منبثة بالحرم إلى حدوده .

وقيل : لما قدم النبى ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء كما رواه أنس كانت الإضاءة إلى تلك الحدود ، أو أن الملائكة الموكلة بحراسة بلده قائمة بتلك الحدود ، أو هو لأمر تقصر عنه عقولنا .

وحكم البارى سبحانه وتعالى بتحريم المدينة على لسان حبيبه محمد ﷺ قديم من حيث إن الأحكام خطاباته تعالى والحادث تعلقها والتكليف بها .

ولذا ذهب الأكثر إلى أن مكة لم تزل حرامًا منذ خلق الله السموات والأرض ثم أظهر الله تعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام فنسب تحريمها إليه . وقيل ، لم تزل كغيرها إلى أن حرمها إبراهيم عليه السلام بدعوته أو بأمر من الله تعالى .

ولعل الأول يقول : إن الله أظهر تحريمها لملائكته يوم خلق السموات والأرض وإلّا فما معناه مع انتفاء التعلق التكليفى حينئذ وتأخر التكليف بتحريم المدينة حتى كان على لسان أشرف المرسلين وبدعوته خصيصة لها وكمال[2] .

---

(١) حرتيها أو لابتيها : أى الشرقية والغربية والمدينة بينهما هو حد للحرم من الشرق والغرب ، وما بين جبليها بيان لحده من الجنوب والشمال .

(٢) خلاصة الوفا بأخبار المصطفى ٥٤ الشيخ السمهودى المدنى .

وعيد من أراد بأهلها سوءًا

ورد العديد من الأحاديث عن النبى ﷺ أنه قال : « أجد نعتى فى الكتاب نبيا ، أحمد المختار ، مولده مكة ، ومهاجره طيبة ، وأمته الحمادون » .

وعن جابر بن عبد الله قال : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وفى رواية لغيره : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا » .

وروى النسائى حديثه : « من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله » . ولابن حيان نحوه .

وروى أحمد برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله أن أميرا من أمراء الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر ، فقيل لجابر : لو تنحيت عنه فخرج يمشى بينه وبين ابنيه فنكب ، فقال : تعس من أخاف رسول الله ﷺ ؟ فقال ابناه - أو أحدهما - : يا أبت : وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقدمات ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى » .

وفى رواية لمسلم : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء - يعنى المدينة - أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » .

وفى رواية : « من أراد أهل هذه البلدة بدهم أو بسوء ، اللهم اكفهم من يدهمهم » .

وعن عمر بن عبيد الله عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة مهاجرى وبها وفاتى ، ومنها محشرى ، وحقيق على أمتى أن يحفظونى فى جيرانى ما اجتنبوا الكبيرة ، من حفظ فيهم حرمتى كنت له شفيعا - أو شهيدا - يوم القيامة » .

وقال رسول الله ﷺ : « من أخاف أهل المدينة أو ظلمهم أخافه الله

يوم الفزع الأكبر ، وعليه لعنةالله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » .

وعن عطاء بن يسار أن النبى ﷺ قال : « إن الله جعل المدينة مهاجرى ، وفيها مضجعى ، ومنها مبعثى ، فحق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر » . وفى رواية « من حفظهم كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ، ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال »[1] .

وروى الطبرانى برجال الصحيح مرفوعا : « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » أى فرضا وتطوعا أو توبة أو اكتسابا أو وزنا .

أقول : ولا عدلا أى فرضا أو تطوعا أو فدية أو كيلا .

وعن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله سمى (المدينة) طابة » . رواه مسلم وفى حديث جابر مرفوعا : « لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلّا أذابه الله فى النار » . وهو فى الصحيح بألفاظ .

وعن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلّا انماع كما ينماع الملح فى الماء » متفق عليه . وزاد البزار بإسناد حسن : « اللهم أكفهم من دهمهم ببأس يعنى - (المدينة) - ولا يريدها أحد بسوء إلّا أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » .

---

(١) عصارة أهل النار ورواه البخارى والطبرانى بسند فيه متروك .

وقد ذكر الزركشي من خصائص المدينة

أن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتى المدينة .

قال أبو هريرة – رواى الحديث – (فلو وجدت الظباء ترتع بين لابتيها ما ذعرتها) . وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى . رواه مسلم . وفى لفظ للبخارى عنه مرفوعا .. حرم ما بين لابتى . واللابتان من الحجر ، وهما الحرتان . وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ قال : المدينة حرم من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها .. الحديث .

إن مسجدها أنشئ على يد سيد المرسلين والمهاجرين الأولين والأنصار المتقدمين خيار هذه الأمة ، وفى ذلك مزيد الشرف على غيره مالا يخفى واشتمالها على بقعة هى أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، وهو الموضع الذى ضم أعضاء النبى ﷺ . حكى الإجماع القاضى عياض وغيره .

تحريم صيدها وشجرها على الحلال والمحرم كمكة خلافا لأبى حنيفة ، لقوله ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة » . « ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ، ولا يصاد صيدها » . رواه مسلم .

وقوله : لا يقطع عضاها أى شجرها .

وروى أبو عوانة فى صحيحه عن شرحبيل بن سعد قال : أتانا زيد بن ثابت ونحن غلمان ننصب فخاخا للطير فطردنا وقال : إن النبى ﷺ نهى عن صيد المدينة . وأما حديث : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟

يحرم نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره إلى الخارج عن حرم المدينة .

إن الصلاة فى مسجد النبى ﷺ تربو على الصلاة فى غيره بألف صلاة . ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام » . قال النووى : وهذا التفضيل يعم

الفرض والنفل كمكة .

يستحب المجاورة بالمدينة كما يحصل فى ذلك من نيل الدرجات ومزيد الكرامات .. وفيه خلاف مثل الخلاف فى المجاورة بمكة . ذكره النووى فى شرح مسلم .

يستحب الانقطاع بها ليحصل له الموت بها ، وقد كان المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها ويسألون الله عز وجل أن يتوفاهم بها .

وفى صحيح البخارى من حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : (اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك) . وبوب عليه النووى فى الأذكار : باب استحباب دعاء الإنسان أن يكون موته فى البلد الشريف .

اختصاص أهلها بمزيد الشفاعة والإكرام زائدا على غيرهم من الأمم .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وغيره : (من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) .

وجود البركة فى صاع أهل المدينة ، ومدهم ، ومكيالهم ، لأن النبى ﷺ دعا لهم بالبركة فيه . قال النووى : والظاهر أن البركة فى نفس المكيل بالمدينة بحيث يكفى المد فيها من لا يكفيه فى غيرها . وفى الحديث الصحيح : (وإنى دعوت فى صاعها ومدها ، بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) .

تخصيصها بالبقعة التى بين القبر والمنبر . ففى الصحيح : (ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة) . وفى لفظ : ما بين بيتى ومنبرى . وفى لفظ للطبرانى : ما بين حجرتى ومصلاى .

أن الدجال لا يدخلها كما لا يدخل مكة .. ففى الصحيحين من حديث أنس مرفوعا : (أن الدجال لا يطأ مكة ، ولا المدينة ، وأنه يجىء حتى ينزل فى ناحية المدينة فترجف ثلاث رجفات فيخرج إليه كافر ومنافق . وفى رواية البخارى عن أبى بكر عن النبى ﷺ : « لا يدخل المدينة رعب المسيخ الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب ملكان » .

أنها كالكير فى إزالة الخبث عنها ، ففى الصحيحين من حديث جابر : أن أعرابيا بايع النبى ﷺ على الإسلام فأصابه وعك بالمدينة فقال : يامحمد أقلنى بيعتى فأبى رسول الله ﷺ ، فخرج الأعرابى ، فقال رسول الله ﷺ : إنما المدينة كالكير تنفى خبثها ، وينصع طيبها .

أنه لا يريد أحد أهلها بسوء إلّا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص وذوب الملح فى الماء . ثبت فى الصحيح . قال القرطبى : ظاهره أن الله يعاقبه فى النار . ويحتمل أن يكون ذلك كناية إهلاكه فى الدنيا ، أو عن توهين أمره وطمس كلمته .. كما قد فعل الله ذلك بمن غزاها .

يستحب الصيام بالمدينة والصدقة على سكانها وبرهم ، فهم جيران رسول الله ﷺ خاصة أهل المدينة .

وروى عن مالك رضى الله عنه أنه كان لا يركب بالمدينة بغلة . فقيل له فى ذلك ، فقال : لا أطأ راكبا مكانا وطأ رسول الله ﷺ ماشيا . وكان لا يرفع صوته فى مسجد رسول الله ﷺ ويقول : حرمة الرسول حيا وميتا سواء .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ .

لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعا ، إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة بخلاف محاريب المسلمين ، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه فإنه لم يكن فى زمنه عليه السلام محراب .

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إنى حرمت المدينة ما بين مأزميها[1] ، لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح للقتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلّا لعلف » .

روى ابن أبى خيثمة فى تاريخه الكبير عن مالك : أن المدائن كلها افتتحت

---

(١) أى جبليها .

بالسيف إلّا المدينة افتتحت بالإيمان ، ثم ساق بسنده إلى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : (كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح ،وافتتحت المدينة بالقرآن) .

نقل عن مالك : أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم ، ولهذا روى حديث ابن عمر فى إثبات خيار المجلس ثم قال : « وليس لهذا عندنا حد معلوم ، ولا أمر معمول به » . لما اختص به أهل المدينة من سكناهم مهبط الوحي ومعرفتهم الناسخ والمنسوخ . فمخالفتهم لبعض الأخبار تقتضى علمهم ، بما أوجب ترك العمل به من ناسخ أو دليل راجح .

ليعلم المقيم بها عظم محلها ، ويعتقد فيها غاية الإجلال والتعظيم ويحذر من إحداث حادث بها ولو يسيرا كما روى أن عبد الرحمن بن مهدى لما قدم المدينة ، ودخل المسجد وضع شيئا كان عليه بين الصفوف فأمر به مالك فأخذ . فقيل له : إنه فلان . فعاتبه ، وقال : أتفعل مثل هذا ؟ أو ما علمت أن النبى ﷺ قال : « من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

فانظر – رحمك الله – كيف جعل مالك – رحمه الله – هذا الفعل اليسير داخلا فى عموم الحديث ؟

حكم الإحداث فى الحرمين الشريفين

لقد تم إجماع الفقهاء على تحريم مكة بحرمة البيت العتيق ، وجعلها الله تعالى آمنة بأمنه ، حيث قال ممتنا على أهل مكة : ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

كما استفاضت الأحاديث بتحريم المدينة ، وما قاله جمهور الفقهاء من تعظيمها وحرمتها . وعلى هذا فإن إحداث أى فعل أو قول أو أمر منكر فى الحرمين يعد بدعة غريبة تتنافى مع حرمة وقداسة الحرمين وكرامتهما يستحق المحدث فيهما كل أنواع التهديد والإنذار والوعيد الشديد . فقد قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فيها (المدينة) حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . أخرجه البخارى فى باب حرم المدينة .

وقال ﷺ : « إن الله حرم مكة فلن تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار .. » الحديث . وقال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بذمتهم أدناهم فمن أخفر مسلما فى ذمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

لقد شرع اللطيف الخبير سبحانه حج بيته الحرام ، وجعله ركنا من أركان الإسلام ، كما شرع العمرة مع الحج تلبية لذلك الميل الفطرى فى قلوب المؤمنين المحبين لبيت الله ، إشباعا لهوى قلوبهم ، وميل نفوسهم ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ . كما استجاب لدعوة سيدنا إبراهيم للبيت وأهله ﴿ واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ الآية .

فالتقى شرع الله للحج والعمرة ، مع ميل المؤمن الفطرى ، وهواه القلبى

فاجتمع للحجاج والعمار : أداء ما أمر الله تعالى به ، وإشباع حبهم لبيت الله الحرام وتعظيمهم له .

ولما كان الأمر كذلك فقد عم الله ضيوفه برحمته ، فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فى دنياهم ، كما شملهم برحمته فى أخراهم ، بمغفرة ذنوبهم وستر عيوبهم كما جاء الوعد على لسان نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) . كما جعل (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما) .

وقال ﷺ : « إذا وقف الحجيج بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سموات ، ويقول : ملائكتى وسكان سماواتى أما ترون لى عبادى أتونى من كل فج عميق شعثا غبرا ، قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم لمحسنهم ، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الحجارة وحلقوا الرؤوس وزاروا البيت نادى مناد من باطن العرش : ارجعوا مغفورا لكم ، واستأنفوا العمل[1] .

وقد جعل الله تعالى بواسع فضله وكرمه هذا الوادى القفر مجمع ثمرات كل أرض الله وبلاده . ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين :

ولقد جعل الله تعالى الأمن سمة من سمات الحرمين الشريفين ، وصفة من صفاتهما ، وخاصية من خصائصهما التى اختصهما بها وميزهما على بقية البقاع والأماكن . ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ وقوله : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

فكان الرجل فى الجاهلية والإسلام يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له[2] .

---

(١) تنبيه الغافلين ص ١٧٢ للسمرقندى .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٧/١ .

وقال الحسن البصرى : كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « من عاذ بالبيت أعاذه البيت ، ولكن يؤوى ولا يطعم ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنبه »(١) .

ولذا فقد منَّ الله تعالى على عباده بهذه النعمة الكبرى فقال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

مفهوم الأمن ومداه :

الأمن لغة ، ضد الخوف ، فكل ما يتحقق منه الخوف للإنسان فيأمن منه يسمى أمنا . ومن ثم فإن مفهوم الأمن يتسع ليشمل النفس والمال والأهل والولد والعرض وكل ما لا يستغنى عنه الإنسان لإقامة حياته .

فقوله تعالى : ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ﴾ فيه إسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة ، وإلى الحرم مجازا(٢) .

وقد قرن الحق سبحانه أمن الحرم بما يقيم النفس ويحفظها ، من القوت الضرورى الذى لابد منه إلى التمتع بطيب الثمار ولذيذ الطعام . فكل المصالح الملحقة بالنفس لكى تبقيها وتحافظ عليها من المآكل والمشارب والملابس والعلاج تلحق بالأمن وتأخذ حكمه فى التكوين التام لمعنى الأمن .

وكما اتسع مفهوم الأمن فى الحرمين الشريفين ليشمل كل هذه المعانى ، فقد اتسعت حدود الأمن ونطاقه فى الحرمين لتشمل كل ما يحوم بالحرم من مخلوقات الله ، فقد شملت الحماية الأمنية الطير والحيوان والزرع والجماد والمال ، فقد نهى رسول الله ﷺ أن ينفر صيد مكة ، ولا يختلى شوكها ، ولا تحل ساقطتها (أى لقطتها) إلّا لمعرفة بها . حتى يطمئن الإنسان ويأمن على كل شىء ، حتى إذا ضاع منه المال أو فقد ، فإنه لا يجوز لأحد أن يلتقطه بنية حيازته وتملكه ، بل للمساعدة فى إعادته إلى صاحبه ، وذلك أحرى بحماية الأموال بجانب حماية الحياة

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣٠١/١ .

(٢) تفسير النسفى ٢٤١/٣ .

للإنسان وغيره من المخلوقات ومن ثم يتسع مفهوم الأمن اتساعا عظيما ، فتتحول مكة كلها إلى واحة أمن وسلام ، فيتفرغ الحجاج والعمار تماما لآداء مناسكهم فى أمن واطمئنان على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، ويشاركهم هذه النعمة كل شيء حتى الطير والشجر والحجر !

وقد مر معنا قوله ﷺ : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال ، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » .

وقال ﷺ : « إن الله عز وجل حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلى ، ولن تحل لأحد بعدى ، ألا وإنها أحلت لى ساعة من النهار ، ألا وإنها ساعتى هذه ، حرام لايخبط شوكها ، ولا يعضد شجرها ، ولا يلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يعطى (يعنى الدية) وإما أن يقاد (أهل القتيل) » .

وترتيبًا على ذلك قرر الفقهاء أن الحرم يختص بعدد من الأحكام التى يباين بها سائر البلاد الإسلامية :

أولا : أن لا يدخله محل قادم إليه حتى يحرم لدخوله إما بحج أو بعمرة يتحلل بها من إحرامه .

ثانيا : أن لا يحارب أهلها لتحريم رسول الله ﷺ قتالهم بقوله : « لا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ، فإن بغوا على أهل العدل قاتلهم على بغيهم ، إذا لم يمكن ردهم على البغى بقتال ، لأن قتال أهل البغى من حقوق الله تعالى التى لا يجوز أن تضاع ، وكونها محفوظة فى حرمة أولى من أن تكون مضاعة فيه » .

ثالثا : تحريم صيده على المحرمين والمحلين من أهل الحرم من طرأ عليه ، فمن أصاب من صيده وجب عليه إرساله ، فإن تلف فى يده ضمنه بالجزاء كالمحرم ، وهكذا لو رمى من الحرام صيدا فى الحل ضمنه ، لأنه قاتل فى الحرم ، ولو صيد فى الحل ودخل به الحرم فهو حرام عليه ، ويلزمه إرساله فى الحرم . ولا يحرم فى

الحرم قتل ما كان مؤذيا من السباع وحشرات الأرض[١] ، لأن وجود تلك السباع وهذه الحشرات يضر بالمعنى المقصود شرعا من الأمن والحماية .

رابعا : يحرم قطع الشجر الذى أنبته الله تعالى فيه ، ولا يحرم قطع ما غرسه الآدميون كما لا يحرم ذبح الأنيس من الحيوان ، ولا يجوز أن يرعى حشيش الحرم ، ويضمن الشجرة الكبيرة ببقرة ، والصغيرة بشاة ، والغصن من كل واحد منها يسقط من ضمان أصلها ، ولا يكون ما استخلف من قطع الأصل مسقطا لضمان الأصل[٢] .

خامسا : أن يمنع من خالف دين الإسلام من ذمى أو معاهد أن يدخل الحرم لامقيما ولا مارا به[٣] .

حرمة الحرم المدنى :

وقد ذهب الجمهور على أن للمدينة حرما كحرم مكة يحرم صيده وشجره والقتال فيه ، بل وحمل السلاح لأجل القتال[٤] . ويشارك الحرم المدنى الحرم المكى كل ما سبق من تحريمه وتقديسه ، وقد روى فى ذلك الكثير من الأحاديث ، قال ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » .

وقال : « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لا بتيها[٥] ، لا يقطع عضاها ، ولا يصاد صيدها » .

وهكذا فإن الحرم المدنى قد اجتمع له من أسباب الحرمة ما يكفل الأمن حوله لكل لائذ به من زرع أو حيوان أو إنسان . ومما يؤكد على هذا قوله ﷺ فى

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٩٣ لأبى يعلى الفراء الحنبلى ، الطبعة الثانية .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) نيل الأوطار ٣٧/٥ للشوكانى .

(٥) اللابتان : الحرتان . وهى الأرض ذات الحجارة السوداء وللمدينة لابتان إحداهما شرقية والأخرى غربية ، وتقع المدينة بينهما .

شأن المدينة المنورة : « لا يختلى خلاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلّا لمن أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ، ولا يصلح أن تقطع بها شجرة إلّا أن يعلف رجل بعيره »[1] .

واجب إمام المسلمين فى حفظ الأمن فى الحرمين :

أوجب الحق سبحانه وتعالى على ولى الأمر حفظ الأمن وصيانته وعدم المساس بحرمة الحرمين الشريفين ، أو الإخلال بالأمن فيهما ، ذلك أن من أوجب واجباته حفظ الأمن فى كل مكان ، وإذا كان الأمر كذلك فإن حفظه فى الحرم يعد أشد وجوبا وأكثر مطلوبية ، حيث دل قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ على ذلك .

فصورة الآية وإن كانت على هيئة الخبر إلّا أنها بمعنى الأمر وتقديره : ومن دخله فأمنوه ، وذلك كقوله سبحانه : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال .. ﴾ إلخ . أى فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا . ولذا قال النعمان بن ثابت : (أوجب الله سبحانه وتعالى الأمن لمن دخله)[2] . وقد دلت الأحاديث النبوية على وجوب إقامة الأمن وحفظه فى الحرمين الشريفين . فقد نهى عن أى عمل يتنافى مع حرمة الحرمين والأمن فيهما ، فقال : « لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ، ولا تحل لقطتها إلّا لمن أشاد بها ، ولا يقطع شجرها » . وقوله عن المدينة : « هى حرام لا يختلى خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والناس أجمعين » .

واللعنة لا تكون إلّا على محرم .

وقوله « لا يحل لرجل أن يحمل فيها سلاحا لقتال » فقد وصف ذلك بأنه حرام .

ويتضح من كل ما سبق واجب الإمام فى دفع الأحداث عن الحرمين وجوبا شرعيا بنص الكتاب والسنة ، ذلك أن أوجب واجبات الإمام حراسة الدين ، وحفظ الأمن ورعاية حقوق الله فى رحابهما ، فإذا حدث فى رحابهما هرج ، أو شغب ، أو

---

(١) نيل الأوطار ٣٤/٥ .

(٢) تفسير القرطبى ١٤٠/٤ .

عمل يؤدى إلى الفتن ، كان واجبا على الإمام أن يدفعه ليعيد السكينة والأمن والطمأنينة للحرم .

وفى ذلك قال الإمام الماوردى[1] : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا) .

وخلاصة القول : من جملة ما ورد فى حرمة مكة وحرمها يدل على أن الله تعالى هو الذى حرمها .

قال القرطبى : معنى الأحاديث السابقة ، الله تعالى حرم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لأحد ، ولا لأحد فيه دخل ، ولأجل هذا أكد النبى ﷺ هذا المعنى بقوله : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يسفك بها دما ، ولا يعضد بها شجرا ، فإن أحد ترخص فى قتال فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها كحرمتها بالأمس » . فالله تعالى هو الذى حرمها كما قال النبى ﷺ : « ولم يحرمها الناس » والمراد بهذه العبارة : أن تحريمها ثابت بالشرع ولا مدخل للعقل فيه . أو المراد : أنها من محرمات الله ، وليست من محرمات الناس يعنى فى الجاهلية ، كما حرموا أشياء من عند أنفسهم ، فيجب امتثال ذلك ولا يسوغ الاجتهاد فى تركه ، وقيل : معناه أن حرمتها مستمرة من أول الخلق وليست ما اختصت به شريعة النبى ﷺ .

ولذا فقد تولى الله تعالى بنفسه تحريم بواعث التعدى على أمن الحرم . فالله تعالى يحاسب على مجرد الهم بالعدوان ، وعلى مجرد النية السيئة ، أو إرادة السوء بالحرم أو بأهله ، وذلك خروجا على القاعدة العامة فى الجزاء ، حيث اقتضت رحمة الله بخلقه أن لا يحاسبهم ولا يعاقبهم على مجرد الهم بارتكاب الفعل أو بالشروع فيه ، وذلك لما روى أن النبى ﷺ قال : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل » . أخرجه البخارى .

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٥ .

حيث دل هذا الحديث الصريح الصحيح على أن الله تعالى لا يؤاخذ الإنسان على مجرد الهم بالفعل فقد تجاوز عن المؤاخذة عليه وعفا عنه ،ولكن ذلك فى غير رحاب الحرم وحرمة الأمن ، ففى الحرم يتجاوز العقاب حتى يشمل مجرد الهم ، وأنذر الله عليه بالعقاب الشديد والعذاب الأليم ، حيث يقول الله سبحانه : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

ولم يكتف الشرع بذلك ، بل شرع ما يقطع أسباب الجريمة والتعدى فى الحرم ، فحرم الأسباب الموصلة إلى الاعتداء ، وسد الذرائع المفضية إلى الجريمة ، فقال ﷺ : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح » .

وهكذا قطع بهذا النهى عن حمل السلاح كل أسباب التعدى على أمن الحرم .

وقد توعد النبى ﷺ – كما مر معنا – كل من أراد المدينة وأهلها بسوء فقال : « من أراد أهل هذه البلدة بسوء (يعنى المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » وفى رواية « أذابه الله فى النار » . فقد رتب رسول الهدى الإنذار الشديد على مجرد الهم بالسوء ، أو النية السيئة ، فقال (من أراد) كما قال رب العزة فى شأن مكة ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد ﴾ .

ومن ثم فقد أوجب الإسلام على المسلمين تعظيم الحرمين ، وتقديسهما ، والعناية بهما ، فتعلق المؤمنون بهما ، وأحبوهما وربوا أبناءهم على ذلك فارتبطوا بهما وهفت نفوسهم لهما وهوت قلوبهم إليهما . الأمر الذى يمكن أن يقال معه : إن البيت الحرام كان قد احتل فى نفوس المؤمنين بالله موضع الروح من الجسد ، مما حدا بالمؤمنين أن يستقر فى أعماق نفوسهم ، وجذور قلوبهم الاستعداد التام لحمايتهما والذود عنهما وبذل المهج والأرواح من أجلهما ، وأن يقفوا من كل عاد ومتربص بهما موقف العداء العلنى الذى لامواربة فيه ، ولا حيلة ، ولا حيدة عنه ، ولا مناص منه .

فحرى بأمة الإسلام أن تعقل كل ذلك ، وأن تتذكر دور الحرمين فى تاريخ الأمة الإسلامية وأثرهما فى الإيمان وعطاءهما للبشر فى مجالات الإسلام والسلام والأمن والإيمان . وإن هذه الأمة ستبقى بخير ما عظمت وقدست هذين الحرمين .

كما قال ﷺ : « لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فإذا ضيعوا ذلك هلكوا » . رواه ابن ماجة عن ابن عباس بن أبى ربيعة .

وفى الستة الذين لعنهم رسول الله ﷺ ذكر منهم (والمستحل لحرم الله) .

وقد روى الأزرقى عن عثمان بن ساح حديثا طويلا جاء فيه أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض استوحش فيها لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال : يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى ؟

قال : إنى سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى سأجعل بيوتا ترفع لذكرى يسبحنى فيها خلقى وسأبوئك فيها بيتا أختاره لنفسى وأختصه لكرامتى وأوثره على بيوت الأرض كلها باسمى فأسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وأجوزه بحرماتى وأجعله أحق بيوتى كلها وأولاها بذكرى وأضعه فى البقعة التى اخترت لنفسى فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض وقبل ذلك ، قد كان بغيتى فهو صفوتى من البيوت .. إلى قوله (أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما آمنا أحرم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرماتى ومن أحله فقد أباح حرماتى ، ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى(١) .

لقد جعل الشرع الحكيم مكة المكرمة وما حولها واحة أمان لكل المخلوقات ، لكى يؤدى الحجاج والمعتمرون مناسكهم فى يسر وأمان وراحة واطمئنان . فالنصوص الشرعية جعلت الحج كله موسم أمن وسلام ، يأمن فيه كل ضيف من ضيوف الرحمن على نفسه وماله وعرضه . فهؤلاء الضيوف هم ضيف الله ووفده ، فتكفل المضيف بأمن وسلامة ضيفه . وقد عبر عن هذا المعنى نبى الرحمة عليه السلام بقوله : « الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » . رواه النسائى وابن ماجة . وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وجاء فى حديث آخر : « الحاج فى ضمان الله مقبلا ومدبرا » .

ولذا فقد تكفل الشارع الحكيم أن يجعل كل شىء فى هذه البقعة الطاهرة

---

(١) تاريخ الحرمين ، ١٠٧ . عباس كرارة .

المقدسة فى أمان عميم وسلام عظيم ، الإنسان والحيوان والطير والشجر والحجر . كل شىء آمن بأمان الله لا يخشى اعتداء ، ولا يخاف أحدا إلّا اللهرب العالمين ، وكيف يخاف أو يخشى ؟ وهو فى حرم الله وفى ضيافة الله ، وفى حماية الله وكفالته وضمانه . كيف يخاف ويخشى ؟ وهو فى البلد الحرام وحول البيت الحرام ، وفى الشهر الحرام ، حيث قطع الله كل بواعث الاعتداء أو الانتقام أو الإجرام ؟

أقول : كل شىء يجب أن يكون آمنا مطمئنا ، خاشعا ذاكرا لأنعم الله ، فالصيد فى أمان من التنفير والتهييج ، والشجر فى أمان من القطع ، والنبات والعشب هو الآخر فى أمان من الاعتداء ، والإنسان فى أمن واطمئنان ما دام فى حرم الله ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

فلما فرض الله تعالى الحج إلى بيته العتيق ، وأذن إبراهيم بالحج ، جاء الناس من كل حدب وصوب ، على مر الأزمان ، وكر العصور من مختلف الأقطار والأمصار ، بفضل هذه التعليمات الإلهية والتوجيهات الربانية فى تأمين طريق الوافدين إلى البيت والمؤدين لشعائرهم من الحجاج والعمار ، فقد أحاط الله تعالى الحج والحجاج بسياج من التقديس والتعظيم ، فأكد على حرمة وقداسة المكان والزمان والإنسان .

أما الحرمة المكانية : فقد جعل دائرتها البيت الحرام والبلد الحرام فحرم فيه كل المخلوقات من إنسان وحيوان وطير وشجر ، وجعل ذلك عقيدة يقينية توقيفية معلومة من الدين بالضرورة بنصوص من الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

وقوله : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ .

وقوله : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألّا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

فقدسية المكان عند المؤمن عقيدة يقينية توقيفية نص عليها رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى فى أحاديث كثيرة من ذلك قوله : « إن هذا البلد حرمه

الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة » .

فهذه القدسية إرادة إلهية كونية أزلية منذ تكوين السموات والأرض جاء ذلك على لسان الأنبياء وسائر المرسلين .

قدسية الزمان : وليس المكان وحده هو المقدس ، بل الزمان الذى تؤدى فيه فريضة الحج هو الآخر مقدس منذ خلق الله السموات الأرض . فقد جعل الرب سبحانه لمخلوقاته هدنة إلهية يأمن فيها الخائف وينتقل فى جنبات الأرض فى يسر وأمان ، دون الخشية والخوف من أى إنسان ، فهو فى حماية الله وضمانه . نفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ .

ونعلم ذلك من قول سيد الأولين والآخرين ﷺ حين أعلن للناس جميعا فى حجة الوداع ذلك بقوله : « يأيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم » .

فهذه الأشهر الحرم مقدسة قداسة أزلية عند الله وعند رسول الله منذ خلق السموات والأرض . وهذه القدسية ناموس كونى ثابت لا يتغير ولا يتبدل أبدا ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ وهى شرعة دينية ماضية مادامت السموات والأرض ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ .

فقد جعل الله تعالى المكان مقدسا والزمان مقدسا كما جعل الإنسان نفسه مقدسا ، فقدسية المسلم لا تقل عن قدسية الزمان والمكان ، بل جعل الله تعالى بين القدسيتين وشيجة سماوية ، وآصرة دينية ، فما قدس الزمان والمكان إلّا لأجل هذا الإنسان الذى كرمه ربه وسخر له كل شيء ، وفضله على الملائكة المقربين الذين يسبحون بحمده ويقدسون له . فزوال الدنيا بأسرها أهون على الله من قتل نفس مؤمنة واحدة .

ولذا فقد لفت نبى الرحمة ، نبى الإنسانية الأذهان إلى قدسية الإنسان وهو

يطوف حول الكعبة المشرفة بعد فتح مكة المكرمة وهو ينظر إليها نظرة التقديس والتعظيم ويقول مخاطبا إياها : « ما أعظمك ! وأعظم حرمتك ! وما أطيبك وأطيب ريحك ! والمسلم أعظم حرمة عند الله منك » .

وبهذه الكلمات المضيئات النيرات عبر رسول الله ﷺ عن مكانة المسلم وحرمته عند ربه . فالمسلم أعظم حرمة عند الله من الكعبة . ولهذا كله لن نجد أعظم ذنبا ، ولا أشد جرما ممن يفكر مجرد التفكير فى المساس بحرمة المسلمين فى حرم الله وأشهر الله ، ومن يفعل ذلك يعرض نفسه لسخط الله وتهديده وإنذاره ووعيده . ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

قال ابن عباس : (الإلحاد وضع الكلام على غير موضعه) وذلك بالدعاية الكاذبة المغرضة الضالة ، والخصومة والفجور والإصرار على الباطل ، فهذا ظلم يستحق فاعله العذاب الأليم . وقد فسر ابن عباس (الظلم) بقوله : (أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة وقتل ، فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم) .

وإذا كان الله تعالى قد توعد بالعذاب الأليم من قلب الحقائق عامدا أو قاصدا الإساءة بأى وجه من الوجوه ، ومن عاند أو كفر أو لجّ فى الخصومة واعتبر مجرد الهم بالسيئة إلحادا ، وسوّى بين الفعل والهم ، فما بالك بالقتل وإزهاق الأرواح وترويع الآمنين من المصلين والطائفين والعاكفين ؟ !

فعلى المسلم المحرم بالحج والعمرة ألا يظلم فى الحرم ولا يعتدى ولا يؤذى ولا يجافى ولا يسب ولا يفسق ولا يصخب ولا يجاهر بمعصية ولا يصيد ولا يقطع شجرة ولا يؤذى نباتا ولا إنسانا ولا حيوانا ولا يؤوى قاتلا أو فارا بدم ، حتى لا يتعرض للعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين .

وعلى الوافد أن يعظم حرمات الله ، ويستشعر مقدساته الزمانية والمكانية والإنسانية .. إلخ ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ . حتى ينال رضوان الله ويفوز بمغفرته وجنته « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقال ﷺ : « من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر الله ما تقدم من ذنبه » .

فشرط القبول ومحو الذنوب مترتب على البعد عن قول الفحش والسباب والجدال والغضب والمراء والملاحاة والمخاصمة أو المجادلة وكل ما نهى الله ورسوله عنه . وحج بيت الله وزيارة مسجد رسول الله تحتاج إلى طهارة الحس والنفس والظاهرة والباطن .

روى الإمام القرطبى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن الله أوحى إلىّ : ياأخا المنذرين ، يا أخا المرسلين : أنذر قومك ألا يدخلوا بيتا من بيوتى إلّا بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة وأيد نقية ، وفروج طاهرة ، وألّا يدخلوا بيتا من بيوتى ما دام لأحد عندهم مظلمة فإنى ألعنه مادام قائما بين يدى ، حتى يرد تلك المظلمة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويكون من أوليائى وأخصائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » وإذا كان هذا يصدق على بيت من بيوت الله فكيف بالبيت الحرام ؟

وقد نهى الإسلام عن كل أنواع الاعتداء على مخلوقات الله ، فنهى عن استحلال الصيد واستحلال القتال فى الشهر الحرام ، واستحلال محارم الله ﴿ يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلّا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد * يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ .

تعاليم أخلاقية ، ومناهج تربوية تضبط سلوك المحرمين ، وتغرس فيهم معنى طهارة الظاهر والباطن ، حتى يكونوا أهلًا للوفد على الله ، وأن يكونوا ضيوفا لله ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .

فإن هم فعلوا ذلك رجعوا بحج مبرور ، وذنب مغفور . فالحج المبرور هو الذى لا يخالطه إثم ، وهو الذى قد تنزه عن المآثم) . وهذا الحج (ليس له

جزاء إلا الجنة) . رواه أحمد ومسلم والنسائى . والحج المبرور هو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله بعد الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله . قال صاحب المطالع وغيره : الحج المبرور هو الخالص الذى لا يخالطه مأثم وأصله من البر وهو اسم جامع للخير . ومنه بررت فلانا أى وصلته ، وكل عمل صالح بر ، ويقال : بر الله حجه وأبره .

وخلاصة القول : قد أجمع المسلمون على تقديس الحرمين الشريفين ، وأحبوا ذلك ، وتربوا علية ، فأصبح جزءا لا يتجزأ من عقيدتهم ، فهى عقيدة يقينية لا يتطرق إليها أدنى شك ، فبذلوا فى سبيل حماية مقدساتهم مهجهم وأرواحهم واعتبروا أى اعتداء أو همّ بالاعتداء على هذه المقدسات خروجا عن الإسلام والإيمان وإلحادا فى دين الله ، كما فهموا ذلك من صريح النصوص الصحيحة « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من ائتمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم » .

كما اعتبروا الاعتداء على حرمات الله ومقدسات المسلمين أو التعرض للآمنين القاصدين لبيت الله ومسجد رسول الله إنما هو اعتداء على ذات الله ، واستهانة بحرمات الله ، وخروجا من دين الله ، وإعلانا للحرب على الله ، لأن رسول الله يقول : « الحاج فى ضمان الله مقبلا ومدبرا » . فكيف يتجرأ من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان على الاعتداء على ضيف من ضيوف الله ، وهو فى ضمان الله مقبلا ومدبرا ؟ !

وكيف يتصور مثل هذا الاعتداء فى الشهر الحرام والبلد الحرام وعلى الدم الحرام ، فهو اعتداء ثلاثى على قدسية المكان والزمان والإنسان !

ولذا فإن ما حدث من اعتداءات على الحرمين الشريفين طوال التاريخ من فئة دأبت على الاستهانة بدين الله ، والاستهتار بحرمات الله ، والاستخفاف بأرواح عباد الله . إنها نفس الفئة الظالمة ، والطغمة الفاجرة هى هى تكرر نفس الاعتداء بنفس الأسلوب ، وفى نفس الزمان والمكان وعلى الإنسان المسلم نفسه ! كما سنوضح ذلك فيما بعد بإذن الله .

إن هذا الإجرام يمثل عدوانا صريحا على المقدسات ، وعلى حرم الله وبيت الله

وشهر الله ، إنها لجرائم تقشعر لهولها الأبدان ، وتشيب قذال الولدان وتكاد السموات ينفطرن من فوقهن .

أما يخشى المجرمون الآثمون من أن ينزل بهم سخط الله ، ويحق عليه وعده ووعيده وإنذاره وتهديده ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ ؟

ألا يعلمون غيرة الله على محارمه ، فلا يرضى بانتهاك حرمة بيته وشهره وعبيدة ! « ألا أن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه » .

فليتربصوا أن تصيبهم دائرة ، أو أن يلحق بهم ما أصاب الله به غيرهم ممن اعتدوا على حرمة بيته جزاء بما كسبوا ، نكالا من الله !

الولاية الشرعية على الحرمين الشريفين

إذا كان الله تعالى قد أوجب إقامة الأمن فى الحرمين الشريفين ، وجعله من أوجب واجبات الإمام . ولما كانت ولاية الأمن من الولايات العامة ، فإنها من هذا المنطلق اكتسبت أهمية خاصة فى دين الله ، لأن ولاية الأمن وحفظه ورعايته من أعظم مصالح الجماعة ، ومن ثم كانت الولاية عليه من قبيل الولاية على أمر من أخطر أمور الناس .

وفى هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية : (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لاقيام للدين إلّا بها ، فإن بنى آدم لاتتم مصالحهم إلّا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولابد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس حتى قال النبى ﷺ : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » فأوجب رسول الله ﷺ تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر ، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلّا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه ، من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ، ونصر المظلوم وإقامة الحدود لاتتم إلّا بالقوة والإمارة)[1] .

ثم يقول : (فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها الناس إلى الله ، فإن التقرب إليه بها لطاعته ، وطاعة رسوله من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها) . وقد جاء فى الأثر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : (إن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن) .

ومن الثابت شرعا أن للفاءة أو الكفاية شرطا فى الولايات العامة ، فيجب تولية

---

(١) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية لابن تيمية ص ١٨٤ وما بعدها ، مطبعة دار الشعب .

الأصلح فى الولايات العامة ، وفى الولايات التى تتعلق بشئون الحرمين بصفة خاصة . وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب تولية الأصلح ، ولا يجوز تولية غير الأصلح .

قال الإمام ابن تيمية : (إنه يوجب على أولياء الأمور أن يولوا كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجدونه لذلك)[1] .

فالله تعالى يقول : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ . فدل هذا على وجوب ﴿ يأمركم ﴾ إسناد الأمر إلى أصلح من يقوم به .

وقال رسول الله ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . وفى رواية : « من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى منه ، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين » .

فيجب على كل من ولى من أمر المسلمين شيئا أن يستعمل فيما تحت يده فى كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم رجلا لعصبية أو قرابة أو مصلحة شخصية وإلا كان غاشا لجماعة المسلمين وخائنا لله ورسوله ما دام يعلم أن من بين المسلمين من هو أصلح وأكفأ منه .

أهل الحرمين هم الأولى بالولاية :

استنادا لكل ما سبق ، وإلى القواعد الفقهية والمقررات الشرعية نجد أن أهل الحرمين أولى من غيرهم بالولاية الشرعية ، حيث تعتبر تلك الولاية بعد أن تخصصت فيهم من قبيل الواجب العينى عليهم لا يشاركهم فيه أحد ، فهم أصحاب هذا الحق لأنهم القادرون بالتعيين والتخصيص ، لأن المسئولية قاصرة عليهم ، فوجب على المسلمين أجمعين التسليم لهم بهذا الحق ، وعدم منازعتهم

---

(١) السياسة الشرعية ، ١٨ .

فيه ، أو مطالبتهم به ، لأن ذلك ظلم ليس بعده ظلم ، كما قال ﷺ لبنى شيبة (لا ينزعها منكم إلّا ظالم) . وأصل ذلك أن سدانة البيت الحرام لأهلها الشرعيين الذين ولاهم رسول الله ﷺ .

لقد فصلت كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ أمر سدانة الكعبة المعظمة فى الإسلام ، بل ومنذ أن كانت الحجابة والسقاية والرفادة ، ولقد تضافرت رواياتها فى هذا عن عثمان بن طلحة قال :

(كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل النبى ﷺ يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلقت له ونلت منه فحلم عنى ثم قال : « ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت » . فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت ، قال : « بل عمرت وعزت يومئذ » ، ودخل الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير على ما قال ، فلما كان يوم الفتح قال : « يا عثمان ائتنى بالمفتاح » فأتيته به ، فأخذه منى ، وفتحت الكعبة فدخلها وكبر فى جوانبها وصلى فيها ركعتين ، وأذن بلال فوقها . ولما خرج رسول الله ﷺ قام إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه – ومفتاح الكعبة فى يده – فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال النبى ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له ، فقال : « هذا مفتاحك ياعثمان ، اليوم يوم بر و وفاء » وقال : « خذوها بنى شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلّا ظالم » .

قال الإمام ابن جرير : نزلت آية ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ فى عثمان بن طلحة ، قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة فدخل فى البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية . ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .. ﴾ الآية . فدعا عثمان إليه ، فدفع إليه المفتاح ، فقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية : فداه أبى وأمى ما سمعته يتلوها من قبل ذلك . وعن الزهرى أن رسول الله ﷺ ، دفع المفتاح إلى عثمان وقال : أعينوه . وروى ابن مردوية عن ابن عباس بعد أن ذكر سبب نزول الآية من بنى شيبة قوله : من المشهورات : أن هذه الآية نزلت فى

ذلك[1] .

وروى الإمام القرطبى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ، وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال : « خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلّا ظالم » . فدل هذا الحديث الصحيح على أن ما نزلت من أجله الآية الكريمة ، وهو النص على أداء الأمانة لأهلها ومنهم بنو شيبة ، وهو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة[2] الحجبى العبدرى من بنى عبد الدار ، وشيبة كان صحابيا أسلم يوم حنين .

وفى رواية أن شيبة هو ابن عم عثمان بن أبى طلحة[3] .

وسواء أكان ابنه أم ابن عمه فإن السدانة فى بنى شيبة خالدة تالدة فيهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها عملا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . فحق بنى شيبة فى سدانة البيت الحرام ، والقيام بشئون الكعبة المشرفة حق خالد ثابت شرعا كما أخبر رسول الله ﷺ أنه لا ينزع هذا الحق منهم إلّا ظالم ، فيكون سلب هذا الحق منهم ظلما ، والظلم حرام فالله تعالى يقول فى الحديث القدسى : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... » الحديث .

وبنو شيبة أصحاب الحق الشرعى من رعايا دولة مسلمة شرفها الله تعالى بخدمة الحرمين الشريفين والقيام عليهما ، ورعاية شؤونهما ، فهى وحدها صاحبة الحق فى حماية حق بنى شيبة وصيانته والمحافظة عليه من المتربصين والطامعين .

ولأن الحرمين وبنى شيبة يقعان تحت سلطان المملكة العربية السعودية فإذن هذه الدولة هى الوحيدة التى من حقها حماية مقدساتها وحقوق رعاياها ، وذلك طبقا للمقررات الفقهية والقواعد الشرعية والقوانين الدولية . إذ تفرض مبادئ

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٥/١ طبعة الحلبى .
(٢) السياسة الشرعية ص ٢٨ .
(٣) تفسير القرطبى ٢٥٦/٥ ، وسيرة ابن هشام ٤١٢/٢ ، وصحيح البخارى ١٨٩/٤ .

القانون الدولى على الدول جميعا أن تحترم كل منها سيادة الأخرى بحيث يمثل الالتزام بذلك واجبا دوليا يقع على عاتق كل دولة ، وقد نصت على ذلك المادتان ١ ، ٢ من مشروع إعلان حقوق الدول وواجباتها الذى وضعته لجنة القانون الدولى ، حيث ورد فى هاتين المادتين ما يلى : (مراعاة أحكام القانون الدولى فى علاقة كل دولة بغيرها أو الامتناع عن التدخل فى شئون الدول الأخرى ، فالتدخل فى شئون أى دولة عمل غير مشروع)[١] .

كما تفرض مبادئ القانون الدولى أن تحترم كل دولة سيادة الأخرى وألّا تتدخل فى الشئون الداخلية لأى دولة ، فإن هذا التدخل ينطوى فى حقيقته على مساس بالسيادة ، وتعد على حقوق دولة داخل أراضيها ، وذلك كله قد يسفر عن نتائج وخيمة تعلن فيها الحروب ، ويضيع فيها الأمن والسلام . وسيادة الدولة على أراضيها تمثل ما للدولة من سلطان تواجه به الأفراد داخل إقليمها ، فتشملهم بالمنعة ، وتحمى حقوقهم ، وتواجه به الدول الأخرى بإرادتها وحدها دون تدخل من دولة أخرى[٢] .

طبيعة السيادة ومداها :

تمثل السيادة ما للدولة من سلطان تواجه به الأفراد فى داخل إقليمها ، وتواجه به الدول الأخرى فى الخارج ، ومن مقتضيات هذا السلطان أن يكون مرجع تصرفات الدولة فى مختلف شئونها إلى إرادتها وحدها ، وتعبر عن هذه الإرادة الهيئة التى تتولى الحكم فى كل دولة وفقا لنظامها السياسى .

فالدولة على هذا الاعتبار لا يمكن أن تسلم بوجود أية قوى أخرى فوق إرادتها ولو كانت قوة القانون ، وقواعد الأخلاق . فإرادتها ورغباتها هى قانونها الأعلى .

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام ص ١٧٨ ، على على منصور .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

ووجود قانون دولى يتضمن قواعد تحكم العلاقات بين الدول يستلزم إخضاع سيادة الدولة لهذه القواعد . فكما أن الفرد مقيد فى استعمال حريته بحقوق غيره من الأفراد ، كذلك الدول تتقيد فى تصرفاتها بما للدول الأخرى من حقوق يتعين عليها عدم الإخلال بها[1] .

(ومقتضى حق السيادة أن تمارس الدولة سيادتها داخل إقليمها وخارجه مع جماعة الدول ، بوحى من إرادتها دون تدخل من دولة أخرى)[2] .

وقد ترتب على إقرار الأمم المتحدة لنظرية السيادة الدولية ، أن تمارس الدولة بإقليمها المستقرة عليه كل حقوقها على أرضها ، وهو ما يسمى بلغة القانون الدولى (بالميراث الدولى) أى حق الدولة على إقليمها حق ملكية تمارس عليه سلطاتها كما يمارس المالك سلطاته على ما يملكه ، وذلك تعبير مجازى عن مدى سلطات الدولة فى ممارسة سيادتها على أرضها ، ومقدساتها دون أن يشاركها أحد غيرها . وفكرة « الميراث الدولى » وإن كانت قد نشأت فى ظل النظرية التقليدية إلّا أنها ورغم التطور الذى لحقها ما زالت هى التعبير الأقرب دلالة على ممارسة الدولة لسيادتها على تراثها وثرواتها ومقدساتها بإقليمها[3] .

وعلى هذا يكون حق ولاية الأمن أحد مظاهر سيادة الدولة على أرضها ومقدساتها . وهذا لا يتنافى مع مبادىء الشريعة الإسلامية ، التى تدعو إلى احترام العهود والمواثيق الدولية حتى درجة التقديس ، وذلك أدعى لاحترام أرضها وسيادتها عليها .

وإذا كانت المبادىء القانونية تقضى بأن الدولة التى يوجد الحرمان الشريفان فى أرضها لها حق ولاية الأمن فيها ، من منطلق حقوقها الشرعية وشخصيتها الدولية وسيادتها الوطنية ، فإنه مع كل ذلك ينسجم مع مبادىء الشريعة الغراء ، ويتمشى مع القواعد الفقهية الثابتة بالاستقراء لفروع الشريعة بأن يتولى الأمر

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام ص ١٢٤ وما بعدها بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٣) الشخصية الدولية – فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية ص ٣٣٩ ، د . محمد كامل ياقوت .

الأكفاء الصلحاء امتثالا لأمر الله ورسوله بالمحافظة على الأمانة وأدائها ، قال عليه السلام : « إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة ، قيل : يارسول الله وما إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ .

وإذا كان هذا هو حكم الله وحكم رسوله ، وهذا هو حكم المقررات الفقهية ، والقواعد الشرعية ، والقوانين الدولية ، فهل يجوز لأحد أن ينازع المملكة العربية السعودية الحق فى ولاية الحرمين الشريفين ، أو الدعوة إلى تدويل إدارتها من قبل هيئة دولية ؟

ويتضح مما سبق أن دفع الأحداث فى الحرمين الشريفين ، ورعاية حقوق الله فى رحابها من أولى الواجبات التى تناط بالإمام . ذلك أن أول مهام الإمام حراسة الدين ، فإذا حدث فى رحابهما هرج أو شغب أو عمل يؤدى إلى الفتن ، كان واجبا على الإمام أن يدفعه ليعيد السكينة للحرم ، ويقر الأمن للطائفين والعاكفين والركع السجود .

قال الماوردى : الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا[1] .

ثم قال الماوردى : وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم عليه ، ووجب له عليهم حقان : الطاعة والنصرة مالم يتغير حاله[2] .

وقال أبو يعلى : (وإذا قام الإمام بحقوق الأمة وجب عليهم حقان : الطاعة والنصرة ، مالم يوجد من جهته ما يخرج به عن الإمامة ، والذى يخرج به عن الإمامة شيئان : الجرح فى عدالته ، والنقص فى بدنه)[3] .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٥ .
(٢) الأحكام السلطانية ص ١٧ .
(٣) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ٢٨ .

والذى يشهد به الأعداء قبل الأصدقاء أن الحرمين الشريفين يلقيان من الرعاية والعناية فى عهد الأسرة السعودية مالم يحظيا به طوال تاريخهما ، فقد شهد الحرمان من مشروعات التجديد والتوسعة والإصلاح ، والخدمات ، والمرافق ما فاق الحصر وكل التصورات .

فقد تضاعفت سعة الحرمين أضعافا مضاعفة ، وتم تجهيزها أحسن تجهيز ولقى حجاج بيت الله وعماره وزوار المسجد النبوى من التيسير والراحة والأمن وسائر الخدمات المجانية مالم يشهده عصر من قبل . وبالرغم من تضاعف أعداد الحجاج سنة بعد سنة ، فقد ظل الحجاج يؤدون مناسكهم فى سهولة ويسر وراحة وأمان واطمئنان ، ويلقون من العناية والرعاية مالم يحظ به الحرمان فى أى عهد كان .

فقد شهد المسلمون جميعا – ماعدا – تلك الفئة المارقة والنحلة الخارجة عن الإسلام ، شهدوا لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وإخوانه من قبل ، بأنهم قاموا على خدمة الحرمين أحسن قيام ، ووفوا أبلغ الوفاء ، بما لا مزيد عليه ، ولا ينكره إلّا جاحد معاند مكابر !

وهذا ، وإن ولاية الأمن فى الحرمين تنطبق على هذه الأسرة السعودية أكثر من أى جهة أخرى ، طبقا لما جاء فى مصنفات السياسة الشرعية من تنظيم فقهى لولاية الأمن فى الحرمين ، تحدث عنها صاحبا الأحكام السلطانية (الماوردى وأبو يعلى) .

وقد قسم القاضى الفراء ، ولاية الحج إلى قسمين : أحدهما أن تكون على تسيير الحجيج ، والثانى على إقامة الحج . ثم قال : فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسية وزعامة تدبير ، والشروط المعتبرة فى المولى : أن يكون مطاعا ذا رأى وشجاعة وهيبة وهداية[1] .

وقد ذكر حقوق هذه الولاية[2] التى تحقق فى جملتها أمن الحرمين وحمايتهما

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٠٨ وما بعدها للفراء ، والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٢٢وما بعدها .
(٢) المراجع السابقة ص ١٢٢ وما بعدها .

ويكفل حماية الحجاج ودفع الأخطار عنهم ، وأن يحرس مسيرهم وينظمه ، ويمنع عنهم من يصدهم ، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج ، وأن يصلح بين المتنازعين ، وأن يقوم زائفهم ، ويؤدب جانيهم ، وأن يرفق بهم ويوفر لهم الماء وضرورات الحياة حتى يتحقق المقصود الشرعي لاستتباب الأمن حتى يتفرغ الحجاج لأداء مناسكهم في راحة ويسر .

وكل هذا وفوقه عشرات الأضعاف تقوم به حكومة المملكة العربية السعودية فلم يعرف الحرمان الشريفان الأمن والاطمئنان إلّا بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز وتأسيس الدولة السعودية سنة ١٣٥١ هـ . حيث تم تطهير أرض الحرمين من الأرجاس والبدع والخرافات والضلالات امتثالا لأمر الله تعالى ﴿ وطهر بيتى للطائفين ... ﴾ الآية .

وظلت السعودية ساهرة على أمن الحرمين ، حيث ضربت بيد من حديد على يد كل من يعبث بأمن الحرمين ويقطع السبيل على حجاج بيت الله الحرام وزوار المسجد النبوى .

ولم تكتف المملكة العربية السعودية وأولياء الأمر فيها بتأمين طرق الحج وسلامة الحجيج ، بل بذلت قصارى جهدها فى تيسير الحج ، فأعطت للحرمين الشريفين كل اهتمامها من توسعتهما عشرات المرات ، وتطوير الخدمات ، وشق الطرق والأنفاق وإقامة الجسور وتوفير المياه النقية العذبة الباردة والغذاء والدواء والمواصلات .. إلخ .

كما جندت الدولة جميع وزاراتها وكافة مؤسساتها الرسمية والشعبية لخدمة ضيوف الرحمن ، فكل وزارة من وزارات الدولة وإدارة من إداراتها مجندة لخدمة الحجيج وراحتهم من وزارة الداخلية ، والصحة ، والتجارة ، والبريد والهاتف ، والإعلام ، ووزارة الحج والأوقاف ، ورئاسات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، والجامعات والمعاهد والكليات .

فأصبحت هذه الجهود الخيرة سمة من سمات المملكة ، حيث يشرف عليها مباشرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وولى عهده الأمين

الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، وسائر الأسرة والدولة الذين يتشرفون جميعا بخدمة ضيوف الرحمن بأنفسهم ، خدمة خالصة لوجه الله تعالى ، لا يريدون عليها من أحد جزاء ولا شكورا ، ولا يتخذونها مادة للدعاية والإعلام .

وهذا ما شهد به الجميع ممن زار المملكة أو أدى فريضة الحج أو العمرة .

فمنذ أن دخل الملك عبد العزيز رحمه الله مكة المكرمة محرما ، متواضعا لله معظما لحرمات الله وشعائره ، معلنا السلام الشامل فى بلد السلام ، موجها نداءه الطيب الذى لا يزال يتردد صداه إلى جميع المسلمين حيث يقول :

(لقد قضينا على الظلم ، ونشرنا العدل فى ربوع البلاد ، وليس أشهى إلى قلوبنا من إقبال المسلمين على الحج من أنحاء العالم الإسلامى . الطرق مفتوحة أمامكم أيها المسلمون . ولن يتعرض أحد لكم بسوء ، فاطمئنوا كل الاطمئنان . وقد آلينا على أنفسنا أن نعيد للحج ازدهاره ومجده القديم) .

ومنذ ذلك الحين ، بدأ عهد جديد فى خدمة الحرمين الشريفين ورعايتهما وتوفير الأمن والسلام لهما . عهد جديد من التوسعات المتتابعة فى الحرمين الشريفين . فقد نهضت المملكة العربية السعودية بمسئولية توسعة الحرمين الشريفين على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ عمارة الحرمين ، حيث تضاعفت مساحات الحرمين عشرات المرات .

فمنذ عهد جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله – بدأت فكرة توسعة المسجد الحرام ، فقد كان اهتمام جلالته بتيسير أمور الحج والزيارة عظيما . وأخذ مشروع التوسعة أولى مراحله فى عهد جلالة الملك سعود – رحمه الله – منذ صدور المرسوم الملكى فى الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٧٥ هـ لبدء العمل فى مشروع التوسعة للمسجد الحرام ، وحتى وقتنا الحاضر وإلى المستقبل بمشيئة الله .

وقد بلغت قمة توسعة المسجد الحرام فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، حيث وضع حجر الأساس للتوسعة السعودية الجديدة فى الثانى من شهر صفر سنة ١٤٠٩ هـ . وهى التى رفعت التوسعة الجديدة إلى ٣٠٩ آلاف متر مربع تتسع لـ ٦٥٠ ألف مصلٍ وتتكلف توسعة الملك فهد ٦٨٥٠ مليون ريال .

وتتضمن التوسعة الجديدة الأعمال الكهربائية بتنفيذ محطتى تحويل كهربائيتين على جانبى التوسعة وشبكة إذاعية داخلية وتهوية للبدروم ميكانيكيا لتنقية الهواء من الغبار وتكييف طبيعى للأدوار وتصريف مياه الأمطار ونظام مكافحة الحريق وتوفير مصادر لشرب مياه زمزم فى جميع الأدوار .

ويعد مصنع خادم الحرمين الشريفين للمياه المبردة فى مكة المكرمة واحدا من أهم المبرات الإسلامية التى أوقفها - حفظه الله - على المسلمين كافة فى مواسم الحج والزيارة والعمرة . وسينتج هذا المصنع خلال الأعوام القادمة إن شاء الله خمسين مليون عبوة سنويا .

وقد بلغت تكاليف محطة التحلية وتوليد الطاقة الكهربائية وخط أنابيب المياه لمكة المكرمة والطائف حوالى خمسة آلاف ومائة مليون ريال .

وتأتى التوسعة الجديدة فى عهد خادم الحرمين الشريفين فى إطار الجهود الكريمة المتواصلة والرعاية الشاملة لخدمة الحرمين الشريفين فى إطار تقديم أفضل سبل العناية والحرص على راحة ضيوف الرحمن وتيسير أدائهم لمناسكهم بكل السهولة وفى غاية الطمأنينة .

وإذا كانت المملكة بقيادة المليك المفدى لم تأل جهدا ولن تدخر وسعا فى سبيل أدائها لهذا الشرف الذى تعتز به - وهو خدمة الحرمين الشريفين والعناية التامة بضيوف الرحمن - فإن المملكة ما تزال تواصل جهودها الخيرة فى سبيل توفير المزيد من هذه الخدمة وتلك الرعاية وسخرت إمكاناتها وقدراتها لإعلاء مكانة الحرمين الشريفين وما يليق بهما ابتغاء لوجه الله واستشعارا لمكانة وقداسة الحرمين وتحقيقا لهذه الأماكن وما يليق بهما إسلاميا ودوليا .

ومن هنا فإننا نقرر أن مشاريع الحرمين الشريفين ارتبط إعمارهما الكبير بتاريخ المملكة أكثر من أى مرحلة سابقة . فقد عاشت المملكة العربية السعودية والحرمان الشريفان فى ظل الأسرة السعودية - وخادم الحرمين الشريفين - عهدا جديدا فى خدمة الحرمين ليس فى مجال التوسعة فحسب ، بل عاشت عهدا جديدا فى

مجال المواصلات ، فمن أجل الوصول إلى الحرمين الشريفين وسائر المناسك والمشاعر شقت المملكة آلاف الكيلو مترات من الطرق ومهدتها تمهيدا للمشاة والسيارات ، كما أقامت الجسور وفتحت الأنفاق فى أعماق الجبال لذات الغرض .

وتعيش عهدا جديدا فى مجال الاتصالات المتطورة التى وفرتها الدولة من بريد وبرق وهاتف وتلكس حيث يستطيع الحاج الاتصال بقارات العالم جميعا بسهولة ويسر .

وتعيش عهدا جديدا فى مجال استقبال الحجاج والعمار وتسهيل إجراءات الدخول لهذه الألوف من الحجاج بسهولة ويسر برا وبحرا وجوا .

وتعيش عهدا جديدا فى مجال توفير المياه الصالحة للشرب فقد افتتح الملك فهد ابن عبد العزيز محطة كبرى لتحلية المياه ، تضخ إلى مكة المكرمة أكثر من خمسة عشر مليون جالون يوميا .

وتعيش المملكة عهدا جديدا مع خادم الحرمين الشريفين فى مجال الصحة وتوفير المناخ الصحى للآلاف من الحجاج والمواطنين فى أكثر مناطق العالم ازدحاما ، حيث ضاعفت المملكة طاقاتها الصحية - الوقائية والعلاجية - من أطباء وممرضين وأجهزة ومستشفيات ، وتوعية صحية عامة ، لكى تحافظ على عافية الحجاج وتحميهم من كل أذى ينال من عافيتهم .

وعهد جديد فى الأمن على النفس ، والمال ، والولد ، فقد حققت المملكة الأمن بمفهومه الواسع الشامل .

وهذا قليل من كثير ، وغيض من فيض مما وفره إمام المسلمين وحكومته الرشيدة للحرمين الشريفين ، وذلك كله ينبع من عقيدة يقينية بقدسية الحرمين ، ويدل على الكفاءة والقدرة والأهليةالكاملة لتحمل المسئولية ، بما لايمكن أن يقدر عليه أحد سواه ، لما يتوافر له ولحكومته من إمكانيات تلك الولاية من سيادة دولية محترمة ، وحرص دينى واضح ، وتاريخ يبعث الطمأنينة فى قلب كل مسلم ، وغيرة إسلامية ممتزجة بالمشاعر الوطنية ، وحاضر مشاهد ينطق بكفاءة لا يقدر أحد على

إنكارها ، ومن ثم كان إسناد الولاية للملكة واجبا شرعيا .

وقد ثبتت إمامة خادم الحرمين الشريفين شرعا ، كما سيأتى ذكره . فقد وضع الملك فهد بن عبد العزيز نفسه فى خدمة الحرمين الشريفين ، وتشرف بالقيام بهذا الواجب الذى اعتبره أشرف الأوسمة وأعلى الرتب وأسمى الألقاب ولذا فقد تنازل عن لقب صاحب الجلالة إلى خادم الحرمين .

فهل هناك أشرف وأعظم من القيام على خدمة الحرمين الشريفين ؟

وهل هناك مسئولية أعظم من السهر على راحة ضيوف الرحمن ؟

فمن أولى من خادم الحرمين إذن ، بولاية وإمامة الحرمين الشريفين ؟

وهو القائل : (الحمد لله الذى وهبنا من لدنه نعمة الحياة والجوار فى كنف البلد الأمين والحرم الآمن وجعل خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الحجاج والزوار والعمار أعظم مسئولياتنا وأسماها وأشرفها) .

لقد قدر العالم الإسلامى كله جهود خادم الحرمين وحكومته الرشيدة تقديرا عظيما . ولا أدل على وقوف علماء الأمة وحكامها وشعوبها فى وجه الطغمة الإيرانية الباغية والجاحدة . وعليه فقد ثبت شرعا مساندة الحكومة الراعية للحرمين الشريفين ، وهى تؤدى أشرف الواجبات فى خدمة المقدسات .

كما يجب على جميع المسلمين مساعدة ومساندة هذه الدولة الراعية للحرمين الشريفين على حسن القيام بواجبها وتفويضها فى اتخاذ كافة الإجراءات التى تراها ضرورية لتحقيق الأمن والسلامة فى ربوع الحرمين ، وأن أى مساس بحق هذه الدولة ومسئوليتها يعتبر خروجا على القواعدة الشرعية التى تقضى بإسناد الولاية إلى أهلها .

ففى ضوء ما قدمنا من الحقائق الساطعة ، والوقائع الناصعة ، لما قامت به المملكة العربية السعودية خلال العقود السبعة الأخيرة — أى منذ قيام المملكة — فإن دلت هذه الخدمات للحرمين الشريفين ورعايتهما والدفاع عنهما على شىء فإنما تدل على تعظيم ولاة الأمر فى المملكة العربية السعودية لشعائر الله وحرماته ، إذ لا يستطيع أن يخدم هذه الأماكن المقدسة حق خدمتها إلّا من يعظمها حق تعظيمها .

وهو فى الوقت نفسه يدل على إحساسهم العميق والمتصل بمسئوليتهم نحو كل مسلم يقصد هذه الأماكن المقدسة : حاجا أو معتمرا ، أو زائرا . ذلك أن المسئولين فى المملكة قد أدركوا قوة العلاقة بين أحسن الأماكن المقدسة وأمن قاصديها من حجاج وعمار وزوار ، فالمسلم لا يستطيع أن يؤدى ما عليه من واجبات فى هذه الأماكن الطاهرة إلّا إذا كان آمنا على نفسه ، وهذا هو سر دعاء أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ .

إن الرعاة الأمناء على هذين الحرمين الشريفين يدركون العلاقة الواضحة القوية بين الحرمين الشريفين والأمن ، فيجب أن تبقى هذه الأماكن المقدسة – كما أرادها الله – آمنة ، واعدة ، وادعة ، محروسة بعناية الله ، ثم بما يجريه الله سبحانه على يد عباده الذين ولاهم أمن الحرمين من أسباب الحراسة والخدمة فى كل زمان .

وإن المتتبع لتاريخ الحرمين الشريفين يدرك أن خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الدعوة إلى الله متلازمان ، فكل من يعظم شأن الدعوة يعظم خدمة الحرمين . ومن هنا كان عصر النبوة ، هو أكثر العصور تعظيما للحرمين الشريفين ويلى ذلك عهد الخلافة الراشدة ، ثم جاءت عصور مختلفة تفاوتت فيها خدمة الحرمين بتفاوت التزام تلك العهود بالإسلام ، وبالدعوة إليه . فكلما استقامت مسالك المسئولين عن الحرمين على سنة الله الكونية ومنهجه الشرعى عرفوا لهذه القدسية قيمتها ومكانتها ، والتزموا التعظيم وترجموه إلى واقع عملى مشهود . وأما الذين انحرفوا عن سنن الله الكونية ، ولم يعرفوا لهذه القدسية قيمة ولا حرمة فقد سلكوا نحو الحرمين سلوكا يعبر عن نظرتهم للحرمين الشريفين . فخدمة الحرمين الشريفين نعمة عظيمة لا يهبها الله تعالى إلّا لمن هم جديرون بها ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

لقد شهدت الأمة الإسلامية بعظمة الخدمات التى قدمتها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين ، وللحجاج والعمار ، شهد بذلك علماء الإسلام ودعاته ، وشهد بذلك الجماعات الإسلامية ، وشهد بذلك شعوب العالم

الإسلامى ودول العالم الإسلامى ممثلة فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذى انعقد مؤخرا فى الأردن . وشهد بذلك عشرات المؤتمرات الإسلامية التى انعقدت فى قارات العالم كلها .

إن رعيل الدعاة والعلماء والمفكرين المسلمين الذين عاصروا بدء النقلة فى عهد الملك عبد العزيز قد شهدوا باستتباب الأمن فى الحج والحرمين الشريفين .

ومن هؤلاء - أمير البيان شكيب أرسلان - فقد شهد هذا المفكر المسلم بالحق وقال : توالت على البلاد المقدسة قرون وأحقاب كانت فيها أشد البلاد افتقارا إلى الإصلاح وأقربها إلى الفوضى ، وأقلها أمنا وراحة سكان ، وأكثرها عبثا وفسادا ، وكانت هذه الحالة فظيعة جدا ، مخجلة لكل مسلم ممرضة لكل مؤمن .

هكذا توالت القرون والحقب والناس على هذا الاعتقاد إلى أن آل أمر الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود ، فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزأر فيها الضوارى فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، إلى مهد أمان وقرارة واطمئنان ، ينام فيها الأنام بملء الأجفان ولا يخشون سطوة عاد وغارة حاضر ولاباد ، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا الحجيج عدة قرون لم يكونوا فى الدنيا وكأن هاتيك الذئاب تحولت إلى حملان ، فلا نهب ولا سلب ، ولا قتل ولا ضرب ، ولو شاءت الفتاة البكر أن تذهب من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة أو إلى أى جهة من المملكة العربية السعودية وهى حاملة الذهب والألماس والياقوت والزمرد ما تجرأ أحد أن يسألها عما معها .

وصدق أمير البيان ، وما وفّى ولاة الأمر السعوديين حقهم فيما بذلوا ويبذلون فى خدمة الحرمين الشريفين ما يشرف كل مسلم ومسلمة ، فمن توسعة منقطعة النظير للحرمين ، إلى العناية الأمنية المكثفة ، إلى تسخير كافة إمكانات الدولة فى سبيل راحة قاصدى الحرمين الشريفين . كل ذلك فى سبيل تعظيم حرمات الله وشعائره .

حكم الدعوة إلى تدويل إدارة الحرمين الشريفين

وعلى ضوء ما سبق وما تقرر ، فإنه لا يستقيم شرعا ولا قانونا المناداة بتلك الفكرة الخبيثة (تدويل الحرمين الشريفين) فإنها باطلة شرعا ، وفاسدة قانونا ، وغير مستساغة عقلا ، ولا ذوقا . فلقد قضى الله ورسوله أن تظل حجابة الكعبة فى بنى شيبة وهم مكيون ، فعلى الأمة ألا تخالف ما قضى الله ورسوله به ، ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ .

فبنو شيبة هم أصحاب الحق الشرعى فى ولاية البيت الحرام وهم المقيمون عليه ، لا ينازعهم فيه إلّا ظالم – كما قال عليه الصلاة والسلام .

وقد نقل النووى عن القاضى عياض : أن بنى شيبة هم المقيمون على حرم هذا البيت لا ينزع منهم ماداموا صالحين . ومعيار الصلاحية : حسن الإدارة والصيانة للبيت العتيق وحرمه الآمن وتجديد مرافقه ، وتوسعته ، وتيسير أداء المناسك لمن قصده حاجا أو معتمرا .

قال شيخ الأزهر : (وهذا بحمد الله موفور ميسور مما يستوجب ثناء الأمة الإسلامية وتأييد المسلمين قاطبة لأولى الأمر فى موطن الحرم ، فقد بذلوا ويبذلون مما أفاء الله عليهم من نعمة لإعزاز الكعبة الشريفة وحرمها وزوّارها ، لقد عبّدوا الطرق ، وأقاموا الأنفاق والمعابر الموصلة إليها وإلى سائر المشاعر تيسيرا لأداء المناسك وهم يقيمون الدين بقدر ماوسعهم ، ولا يصدون عن المسجد الحرام ، ولاعن مسجد سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام) .

ثم قال فضيلته : (وإذا كان الثابت أن حجابة البيت مستقرة منذ فتح الله مكة لرسوله محمد ﷺ ، وكان حجبتها هم أولئك الذين قال لهم الرسول : « خذوها تالدة ، إنى لم أدفعها لكم ، ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلّا ظالم » صار الواجب استمرار بقائها على هذا الوجه ولا يجوز نزع هذه الولاية

الثابتة لهم بحكم الله ورسوله ، ومن ثم يكون التنادى بتدويل الولاية على الحرم إثما كبيرا ، لأنه تغيير لما وضع الله ورسوله بغير حق ولا سبب موجب ، ومن يفعل ذلك أو يدع إليه ﴿ يلق أثاما ﴾ ويكون ظالما عاصيا لله ولرسوله ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ . ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ .

حكم الدعوة إلى التدويل من الناحية الشرعية :

إن فكرة التدويل فكرة باطلة ومحرمة شرعا لأنها تنطوى على ما يهدر القواعد الفقهية ، والمبادىء الشرعية ، والمقررات الدولية ، وهى ستؤدى إلى :

١ - الخروج على سلطان الإمام القائم على أمر الحرمين ، وسلب الولاية منه واغتصاب حق من أصحابه ، وطعن دولة فى سيادتها والتدخل فى أمر من أخص شئونها .

٢ - إقامة إدارة تضم العديد من الدول لإدارة شئون الحرمين وهذا سيؤدى إلى شيوع المسئولية عن الأمن فى الحرمين الشريفين ، بما يعد مساسا به فالمسئولية تحتاج إلى إسناد دقيق يتسنى من خلاله تحديد ضوابطها وبيان الآثار المترتبة عليها ، وهذا لن يحدث مع شيوع تلك المسئولية بين أكثر من دولة .

٣ - ستكون تلك الفكرة ذريعة إلى مفاسد كبيرة ، ومدخلا لشرور كثيرة ستؤدى فى النهاية إلى ضياع مصالح الدين والدنيا فى أرض الحرمين الشريفين وستكون الربوع الطاهرة مرتعا للهوى والعبث فيضيع الأمن ويتفشى الفساد إذ تشعر الدولة صاحبة الولاية الشرعية للأمن فى الحرمين أنها قد انتهكت سيادتها ، أو مست كرامتها ، فتنشب الحروب وتندلع الفتن ، فليس من السهل على دولة اقتطاع جزء من أقدس ترابها ، ثم تسلم بذلك دون حرب يكون الضحية فيها هو أمن المسلمين فى رحاب حرم الله الآمن .

وإذا كانت كل تلك النتائج محرمة ، فإن الذريعة إليها وهى فكرة التدويل تأخذ حكمها وهو التحريم القاطع ، لما هو ثابت من أن للشىء حكم غايته[1] .

---

(١) انظر بحث الولاية الشرعية للأمن فى الحرمين الشريفين ، د . عبد اللهالنجار .

وكل هذه الأمور الثلاثة باطلة ومحرمة شرعا ، لأنها تخالف المبادىء الشرعية ، والمقررات الفقهية ، وإجماع الأمة .

أما الأمر الأول : وهو الخروج على الإمام فهو حرام بإجماع أهل السنة . وهذا ما قرره الإمام النووى فى شرحه لحديث عبادة بن الصامت رضى اللهعنه (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم) .

وفى رواية أخرى عن طريق جنادة بن أمية عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله قال : إلّا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) .

قال النووى : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الأمور فى ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم إلّا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا الحق حيثما كنتم وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين(١) .

وقال الشيرازى : لا يجوز الخروج عن الإمام لما روى ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من نزع يده من طاعة إمامه فإنه يأتى يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » . متفق عليه . وقال فى جمع الجوامع(٢) لايجوز الخروج على السلطان .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى : (ويجب على الناس نصب إمام ولا

---

(١) شرح النووى لصحيح مسلم ٢٢٨/١٢ طبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة .
(٢)الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى .

يجوز الخروج عليه)[1] .

قال الشيخ الدردير : « الباغية » : فرقة أى طائفة من المسلمين « خالفت الإمام » الذى ثبتت إمامته باتفاق الناس عليه « لمنع حق » لله أو لآدمى وجب عليها ، أو « لخلعه » أى وخالفته لإرادتها خلعه أى عزله ،لحرمة ذلك .

وقال الشافعى رضى الله عنه : (فالباغى يقاتل الإمام العادل فى مثل هذا المعنى فى أنه لا يعطى الإمام العادل حقا . إذا وجب عليه ، ويمتنع من حكمه.، ويزيد على مانع الصدقة أنه يريد أن يحكم هو الإمام العادل ويقاتله فيحل قتاله بإرادته قتال الإمام)[2] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل فى رسالته إلى مسود بن مسرهد البصرى حين سأله أن يكتب إليه فى سنة رسول الله ﷺ : (والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا تخرج عليهم بالسيف ولا تقاتل فى الفتنة)[3] .

وروى أبو يعلى فى الطبقات قال : سمعت ابن حنبل يقول :

(ومن خرج على إمام أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأى وجه كان : بالرضا أو بالغلبة ، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق)[4] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[5] رحمه الله : (من اتفق المسلمون على إمامته ثبتت إمامته ووجبت معونته ، وفى معناه من ثبتت إمامته بعهد من إمام قبله . وكذلك لو خرج رجل فقهر الناس حتى بايعوه صار إماما يحرم الخروج

---

(١) شرح الجلال شمس الدين المحلى على متن جمع الجوامع لابن السبكى ٢/٤٢٠ .
(٢) الأم ١٣٥/٤ للشافعى ، دار الشعب ، القاهرة .
(٣) المدخل إلى مذهب الإمام ابن حنبل ، ص ١٢ ، لابن بدران الدمشقى .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٢ ، ص ٢٢ .
(٥) مختصر الإنصاف والشرح الكبير للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤٧١ .

عليه كعبد الملك بن مروان ، فيدخل فى عمومه قوله : « من خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف » رواه مسلم وأحمد والنسائى .

وقد ثبتت إمامة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود خادم الحرمين الشريفين بالعهد والبيعة واجتمع الناس عليه واتفقوا على إمامته ، وأقروا له بذلك ، ورضوه وأحبوه وفدوه بأرواحهم ومهجهم .

وعلى هذا فإنه يحرم شرعا الخروج عليه ، وله على المسلمين السمع والطاعة ، والنصرة والمؤازرة . والإجماع منعقد على هذا على ثبوت إمامة خادم الحرمين الشريفين شرعًا وإن إنكار حقه أو الطعن فى إمامته ، أو محاولة الخروج عليه ، أو المناداة بسلب حقه فى إدارة الحرمين الشريفين يعد بغيا وخروجا على الإمام الشرعى ، ويحق مقاتلة هؤلاء البغاة حسب ما جاء فى المقررات الفقهية ، والمسلمات الشرعية .

الأمر الثانى :

إن المناداة بتدويل الحرمين الشريفين ، وجعل إدارتهما تحت مجلس ينتمى إلى العديد من الدول هو الفتنة بعينها ، وهو الفساد ذاته ، وهو الجريمة المخطط لها مع الإصرار والتعمد . وهو كله مخالف لروح الشريعة ونصوصها الصريحة .

فقد بينّا أنها دعوة خبيثة فاسدة ومفسدة ، تهدف إلى إشاعة الفوضى فى البلاد ، ونشر الفساد بين العباد ، بشيوع المسئولية ، لكى تعيد الأهواء والنزوات والشهوات فى ربوع الديار المقدسة . ذلك أن هذه الدعوة ما هى إلّا ذريعة لإشاعة الفاحشة ، ونشر الفساد فى البلاد .

وسدا للذرائع ودرءا لخطرها ، لابد من التصدى لها ، وتجريم من يدعو إليها وتأثيمه ، حماية للمقدسات ، وصدًّا لأصحاب الأهواء والشهوات .

كما أنه من المسلمات الفقهية أن تفريق أمر المسلمين وشق جماعتهم يستحق فاعله والداعى إليه القتل والإخراج من جماعة المسلمين .

قال القاضى أبو يعلى : (نصبة الإمام واجبة ، وقد قال أحمد رضى الله عنه :

« الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر المسلمين »)[1] .

ونقل عن الإمام أحمد : (لابد للمسلمين من حاكم ، أتذهب حقوق الناس)[2] .

ولما كانت الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا فعقدها لمن يقوم بها من الأمة واجب بالإجماع[3] .

وقال :[4] فإذا استقرت الخلافة لمن تقلدها بعهد أو اختيار لزم كافة الأمة أن يعرفوا إفضاء الخلافة إلى مستحقها .

وعلى هذا فإن الدعوة إلى تدويل الحرمين الشريفين ، فتنة تنذر بالشر المستطير ، وتؤدى إلى الفوضى ، وتصيب المسلمين فى مقدساتهم وحرماتهم .

إنها دعوة تنطوى على بغى وخروج على الإمام الشرعى ، ومخالفة للجماعة ونشر للفتنة والفساد .

وقد بينّا أن إجماع الأمة منعقد على السمع والطاعة للإمام ، ويجب على المسلمين طاعته ونصرته ما دام يقوم بحقوق الأمة .

ولذا فعلى المسلمين جميعا الوقوف إلى جانب إمامهم الشرعى ومقاتلة البغاة ودفعهم ، ودرء شرهم ، وفسادهم .

وهؤلاء الدعاة إلى التدويل حكمهم حكم البغاة عند فقهاء الأمة ، فقد عرفوهم بأنهم (القوم الذين يخرجون على الإمام بتأويل سائغ ولهم منعة وشوكة)[5] .

والإمام هو : رئيس الدولة أو حاكمها .

---

(١) الأحكام السلطانية ، ١٩ لأبى يعلى .
(٢) الأحكام السلطانية ، ٢٤ لأبى يعلى .
(٣) الأحكام السلطانية ، ٥ للماوردى .
(٤) الأحكام السلطانية ، ١٥ للماوردى .
(٥) الشرح الكبير ٤٩/١٠ .

أو (هم فرقة من المسلمين خالفت الإمام الأعظم أو نائبه لأحد شيئين : إما لمنع حق وجب عليها من زكاة أو حكم عليها من أحكام الشريعة المتعلقة بالله أو بآدمى ، أو الدخول تحت طاعته بالقول والمباشرة باليد لحاضر ، والإشهاد على الدخول لمن غاب عنه إن كان كل منهما من أهل الحل والعقد ، واعتقاد ذلك ممن لا يعبأ به ولا يعرف فإنه حق لخبر « من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . أو خالفته لخلعه ، أى إرادتها خلعه أى عزله لحرمة ذلك عليهم وإن جار)[1] .

ونستطيع أن نستخلص من تعريف البغاة الشروط التى يجب توفرها فى المجرم وعمله ليعتبر مجرما سياسيا أو باغيا .

أولا : الغرض من الجريمة : يشترط أن يكون الغرض من الجريمة إما عزل رئيس الدولة أو الهيئة التنفيذية ، أو الامتناع عن الطاعة ، فإذا توفر الغرض على هذا الوجه مع توفر الشروط الأخرى كانت الجريمة سياسية والمجرم سياسيا ، أما إذا كان الغرض من الجريمة إحداث أى تغيير يتنافى مع نصوص الشريعة ، كإدخال نظام غير إسلامى يخالف النظام ، أو تمكين دولة أجنبية من التسلط على البلاد ، أو إضعاف قوة الدولة أمام غيرها من الدول ، إذا كان الغرض من الجريمة شيئا من هذا أو مثله ، فإن الجريمة لا تكون بغيا أى سياسية ، وإنما هى إفساد فى الأرض ، ومحاربة الله ورسوله ، وهى جريمة عادية قررت لها الشريعة عقوبة قاسية[2] .

ثانيا : الشوكة : يفترض فى الباغى أو المجرم السياسى أن يكون ذا شوكة وقوة لا بنفسه بل بغيره ممن هم على رأيه ، فإن لم يكن من أهل الشوكة على هذا الوصف ، فلا يعتبر مجرما سياسيا ولو كان متأولا .

وخلاصة القول : إن الدعوة إلى التدويل بغى وإجرام سياسى يستحق الدعاة إليه المقاتلة ودرء مفاسدهم وخطرهم حتى لا تنتشر جرائمهم ويشيع فسادهم فى الأرض .

---

(١) شرح الزرقانى على مختصر خليل ٦٠/٨ .

(٢) نهاية المحتاج ٣٨٥٩٧ ، راجع : التشريع الجنائى الإسلامى ١٠٣/١ وما بعدها عبد القادر عودة .

ثالثا : إن فكرة التدويل بدعة حديثة غريبة عن الإسلام والمسلمين ، فهى حديثة حتى بالنسبة للقوانين الدولية حتى لا يزيد عمرها عن القرنين من الزمان . وقد ثبت عدم جدواها من الناحية الملية ، فقد تم تدويل بعض أراضى الكونغو سنة ١٨٨٥ م ، وألبانيا سنة ١٩١٢ م ، ثم طنجة المغربية ، وتريستا فى إيطاليا سنة ١٩٤٧ م .

حتى قال فقهاء القانون الدولى : إن الواقعات التى طبق فيها هذا النظام أعطت الدليل والبرهان على أن المشاكل السياسية لا تحل بالتدويل سواء بسبب عجز السلطات التى تتولى جانبا من السيادة ، أو بالسماح بوجود فجوات فى بناء السيادة نفسها . بحيث يصبح اتخاذ القرار أمرا مستحيلا . ومما يؤكد عدم جدوى فكرة التدويل فشلها فى شأن القدس حيث اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصية فى ١٩٤٧/١١/٢٩ م كان من بنودها (تدويل منطقة القدس) .

وكان تعقيب فقهاء القانون الدولى على هذه التوصية بأنها لا تستند إلى أساس قانونى ، وبالرغم من هذا لم تنفذ[1] .

وخلاصة القول : أن فكرة التدويل التى يروج لها البعض فكرة فاسدة ، ستؤدى إلى فتن وشرور تصيب أمن الحرمين ، وستمس المصالح الرئيسية للمجتمع الإسلامى كله ، وإنها لذلك مرفوضة شكلا وموضوعا ، كما أنها محرمة شرعا ، كما أنه ليس لهذا التنادى بتدويل الحرمين الشريفين – على ضآلة المنادين به – من سبب ولا سند فى الإسلام ، وقد نقلت كتب الصحاح أن رسول الله ﷺ قد أقر الوضع القائم ، وأمر باستمراره ، ونهى نهيا باتا عن تغييره كما جاء فى الأحاديث الصريحة الصحيحة « خذوها يابنى شيبة خالدة تالدة ، لاينزعها منكم إلّا ظالم » وفى رواية « خذوها تالدة إنى لم أدفعها لكم ولكن الله دفعها إليكم ،

(١) يراجع فى التدويل ومعناه وخصائصه : القانون الدولى العام فى وقت السلم ، د . حامد سلطان ص ١٠٢٥ . وفى الحقوق الدولية العامة ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، د . عز الدين فودة . وفى قضية القدس فى محيط العلاقات الدولية ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، سالم يوسف . وانظر بحث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى قدمه لمؤتمر الدعوة بالأزهر .

ولا ينزعها منكم إلّا ظالم » .

وهذه النصوص الشرعية الثابتة لايسوغ لأحد مخالفتها ، بل ولا مجرد الهم بذلك ، فضلا عن المناداة بها ؛ لأن فى ذلك الخروج عن المبادئ الإيمانية والمقررات الشرعية ، والمسلمات الفقهية ، والقواعد الدولية ، فضلا على أن هذه الدعوة تعد دعوة خبيثة وفكرة شيطانية ماكرة خطط لها اليهود وتلاميذهم من الباطنيين لهدم مقدسات الإسلام والمسلمين ، والتمكين لأعداء الدين من أن يعيثوا فسادا فى أطهر البقاع الإسلامية ، وهذا يعد خروجا عن الإسلام بالكلية ويعد الذين يدعون إليه من المجرمين السياسيين ، والبغاة المعتدين ، ومن المفسدين فى الأرض الذين يستحقون أقسى أنواع العقاب . ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ المائدة/٣٣ .

فهم يستحقون هذه العقوبات المقررة فى هذه الآية ، كما يستحقون أن تطبق فى شأنهم أيضا عقوبة « البغى » التى تعاقب الشريعة عليها بالقتل لقوله تعالى : ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ .

وقوله ﷺ : « من أعطى إماما صفقة يده وثمرة فؤاده فليعطه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

وقوله عليه السلام : « ستكون هنات وهنات ، ألا ومن خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا بالسيف عنقه كائنا من كان » .

وفى ذلك يقول الشهيد عبد القادر عودة[1] : (وجريمة البغى موجهة إلى نظام الحكم والقائمين بأمره ، وقد تشددت فيها الشريعة ؛ لأن التساهل فيها يؤدى إلى الفتن والاضطربات وعدم الاستقرار ، وهذا بدوره يؤدى إلى تأخر الجماعة وانحلالها ، ولا شك أن عقوبة القتل أقدر العقوبات على صرف الناس عن هذه الجريمة) .

وكل الدول اليوم تعاقب على البغى بالإعدام ، وهو نفس العقوبة المقررة للجريمة فى الشريعة .

---

(١) التشريع الجنائى ٦٦٣/١ .

مسئولية الدولة الراعية عن حفظ الأمن
وإقامة الحدود على المفسدين فى الأرض

وقياما من خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة بالمسئولية الكاملة فى الحفاظ على المقدسات الإسلامية والأمن والاستقرار وسلامة وراحة الحجيج ، فقد شرعت هذه الحكومة الإسلامية بتطبيق أحكام الشريعة الغراء وتنفيذ الحدود والعقوبات المقررة شرعا كما أمر الله تعالى ، فأصبحت المملكة بحيرة أمن وواحة سلام .

فقد دأبت المملكة العربية السعودية على تطبيق الحدود الشرعية لتحقيق الأمن والاستقرار للموطن والمقيم والوافد على قدم المساواة . فاطمأن الناس على أرواحهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم أينما ساروا على ثرى هذه الأرض المترامية الأطراف . والمملكة العربية السعودية تدرك أن تطبيق شرع الله هو الذى يحقق لها الأمن والسلامة والقوة والمنعة ، فهى ترتكز فى ذلك على العقيدة الإسلامية – كتاب الله وسنة رسوله – الذى يتسع لحل جميع مشكلات الإنسانية .

ومن هنا فقد قرر مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية تطبيق حد الحرابة على كل من يرتكب جرائم تخل بالأمن الخاص أو العام بقصد الإرهاب والإفساد فى الأرض ، واستندوا فى قرارهم هذا إلى الأدلة الشرعية الصريحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله .

وهذا القرار يتناسب مع مسئولية المملكة فى حفظ أمن وسلامة الحجاج وقدسية الحرمين الشريفين ، فإن كل من يقوم بأعمال التخريب والقتل منتهكا حرمات الله فيزهق الأرواح ويعتدى على الأموال ويروع الناس يستوجب تطبيق حد الحرابة عليه .

فإن من يعتدى على أمن الجماعة فيفسد فى الأرض ويفجر الألغام فى

الممتلكات العامة والخاصة ويشيع الرعب فى المجتمع وينشر وسائل الدمار الأخلاقى يستوجب على ولى الأمر إيقاع العقوبات الرادعة بفاعليها أو مرتكبيها . فليس أمنع ولا أردع للجريمة من العقوبة التى شرعها الله عز وجل فى آية الحرابة ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... ﴾ الآية .

وليس أضر على الأمة ولا أشد فتكا بأمنها وأخلاقها من أن تعطل هذه العقوبة ، وهى ترى هذه الجرائم تكاد تمشى على الأرض بأرجل وتبطش بأيد وترى بأعين وتسمع بآذان .

وهذا القرار (تنفيذ حد الحرابة) يعد الأصل الذى تستند إليه السلطة التنفيذية فى المملكة العربية السعودية فى إيقاع العقوبة على الذين يعتزمون مثل تلك الأعمال التخريبية المفسدة . ويعد هذا القرار أيضا رادعا وزاجرا ومانعا شديدا لمن تحدثهم نفوسهم باقتراف مثل هذه الأعمال ، وهذا من حكمة التشريع الإسلامى وسموّه وعظمته .

فمن حكمة التشريع أن العقوبات روادع وزواجر وجوابر ، فهذا القرار الحكيم جاء ليدعم مبدأ أمن الوطن والمواطن ، فهو رادع لكل من تسول له نفسه أن يسعى بالإفساد فى الأرض ، ويحاول المساس بحرمة المقدسات الزمانية والمكانية والإنسانية ، فأى إفساد فى الأرض أعظم من الاعتداء على حرمة الحرمين الشريفين فى الشهر الحرام والبلد الحرام ؟ وأى اعتداء وإفساد أكبر من الاعتداء على المال المصون والدم المصون دم الطائفين والعاكفين والركع السجود فى حرم الله ، فى شهر الله ؟ .

إن الإسلام منهج واقعى جدى حركى متوازن لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية . إنه يواجه الحياة بمنهج ربانى يكافئ واقعيتها ، فالإسلام أعظم الأديان رعاية للحرمات وصيانة للمقدسات ولكنه فى الوقت نفسه لا يسمح أن تتخذ الحرمات شعارات لمن ينتهكون الحرمات ويؤذون الطيبين ، ويقتلون المصلين والطائفين والعاكفين والركع السجود ، ويفتنون المؤمنين والمؤمنات ، ويعيثون فى الأرض فسادا باسم الدين !

فهذا كتاب الله يصرح فى حسم قاطع أن لا حرمة لمن يتترس بالحرمات

ليضرب من ورائها الحرمات ، فيقرر حرمة الأشهر الحرم ، ويقرر أن القتال فى الشهر الحرام كبيرة ، فيقول عز من قائل : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ لمن كفر بحرمة المسجد الحرام وانتهك قدسيته ، فقال سبحانه ردا على السائلين : ﴿ وصد عن سبيل الله وكفربه والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ .

ففى بيت الله الحرمات كلها مصونة ، حرمة العقيدة والعرض والدم والمال والعهد والميثاق والهدنة والسلام : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ . فتعظيم حرمات الله يقتضى عدم المساس بها أو الاقتراب منها أو والهمّ بالاعتداء عليها .

ومن هنا فقد كان قرار تطبيق حد الحرابة على المخربين والمفسدين قرارا حكيما وهو مستمد من لب أحكام الشريعة الإسلامية السمحة .

وقد تناول الفقهاء حد الحرابة بشيء من التفصيل يدل على سعة فهمهم وغزارة علمهم . وقد توسعوا فى مفهوم الحرابة ليشمل كل أنواع الفساد فى الأرض .

فالمحارب عند المالكية كل من يخيف السبيل ويسعى فى الأرض فسادا سواء أكان واحدا أم جمعا ، وسواء أكان فعله فى المدن أم فى الصحراء بشرط انعدام الغوث . (انظر الشرح الكبير للدردير ، وحاشية الدسوقى ٣٤٨/٤) . واعتبر المالكية مخادع الصبيان ومسقى المخدرات محاربا وإن كان فعله فى المدن لأنه ساعٍ فى الأرض فسادا كما نص الخليل فى مختصره (الإكليل فى شرح مختصر للشيخ الأمير ص ٤٤٨) .

ونص ابن عرفة كذلك على هذه الحالات التى تتحقق جريمة المحاربين بها ، وإن توفرت واحدة منها لأن العلة التى تتحقق جريمة المحاربين بها هى السعى فى الأرض بالفساد (انظر شرح الخرشى ٣٤٥/٥) .

أما الشافعية : فقد قال الماوردى : (كل طائفة من أجل الفساد اجتمعت على شهر السلاح وقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل النفوس ومنع السابلة) (الأحكام السلطانية ص ٦٢) .

وتوسع الأحناف أيضا فى مفهوم الحرابة فعدوا جرائم السعى فى الأرض فسادا من مفاهيم الحرابة وإن حدثت فى غير الطريق العام كما لو اعتاد مجرم خنق الصغار أو الكبار فإن جريمته موجبة لحد الحرابة إذا خنق أكثر من واحد فى المدن ، كما ذكر ملاخسرو والمرغنانى وابن عابدين وابن نجيم . (انظر درر الحكام فى شرح غرر الأحكام ١٠٩/٢ ، والهداية ١٣٤/٢ ، وحاشية رد المختار ١١٨/٤ ، والبحر الرائق ٧٥/٥) .

وقد توسع الحنابلة أيضا فى مفهوم الحرابة ، فلم يشترط صاحب « كشف القناع » الحنبلى مكانا للحرابة ، بل اتسع مفهوم الحرابة لتشمل الصحراء والمدن والبحر فقال : (إنها التعرض للناس بسلاح فى صحراء أو بنيان أو بحر لغصب أموالهم قهرا مجاهرة أو يقتلونهم لأخذ أموالهم) (انظر كشف القناع ٨٩/٤) .

وقال « النجار » إن جريمة الحرابة تتحقق إذا اقترفت فى البحار ؛ لأن الضرر متحقق سواء أكانت الحرابة فى الصحراء أو فى البحار والأنهار (منتهى الإرادات ٤٩٠/٢ ، والروض الندى ص ٤٧٥) .

ونخلص إلى القول : لقد توسع الفقهاء رحمهم الله فى الحالات التى تتحقق بها جريمة الحرابة إذ جعلوا كل من يسعى فى الأرض فسادا محاربا ، على أية صورة من صور الفساد والإفساد وهو يوافق قوله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم ... ﴾ الآية .

فالقاتل باستعمال المخدرات ، والمروج للمخدرات يعد محاربا ، والمتاجر بالمخدارات بأنواعها يعد مفسدا فى الأرض ومن المحاربين لله ورسوله ، والذى يقطع الطريق ويعتدى على الأعراض يعد محاربا ، والذى يختطف السفن والطائرات يعد محاربا ومجرما يسعى فى الأرض فسادا .

فالحرابة باعتبارها جريمة ذات خطورة خاصة فى الفقه الإسلامى – وهى محاربة الله ورسوله والسعى بالفساد فى الأرض – يستوى وقوعها فى المصر والصحراء ليلا أو نهارا ، ويستوى أن يكون المحارب مسلحا بأى أداة للاعتداء (حتى ولو كانت حجارة) أو غير مسلح . وسواء أكان الغوث ممكنا أو متعذرا (المحلى ٣٠٨/١١) .

ويستوى أن يكون المحارب مسلما أو ذميا مادام قطع الطريق وأخذ المال مغالبة من المجنى عليه . وسواء أخذ المال أو اعتدى على العرض أو حقق هدفا سياسيا

أو لم يحقق أى هدف فهو محارب مادام قد قطع الطريق وأخاف السبيل ، مهما كان هذا الطريق بحريا أو جويا أو بريا . حتى ولو قطع طريق المواصلات السلكية واللاسلكية ، فهو قاطع طريق يستحق عقوبة المحارب ، لإشاعة الفساد فى الأرض . فمرتكب هذه الأعمال من وجهة نظر الشريعة الإسلامية مجرم يسعى فى الأرض فسادا ، وهو محارب يستحق عقوبة المحارب التى نصت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وعليه فإن على المسئولين فى المملكة العربية السعودية عدم التهاون فى تطبيق هذا الحد الرادع على كل من يخالف تعاليم الدين بقصد الإفساد فى الأرض والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة والعامة .

وعلى هذا فنوصى بتأييد المملكة فى هذا القرار الحكيم وأن تسلك الأمة الإسلامية فى جميع أقطارها السبيل الذى سلكته المملكة العربية السعودية فى تطبيق أحكام الشريعة الغراء ، لا سيما إذا علمنا علم اليقين أن المملكة بتطبيقها الحدود وإنفاذها العقوبات الشرعية المقدرة قد استأصلت شأفة الجريمة والمجرمين إلّا ما ندر . ذلك أن العقوبات الشرعية قد وضعت على أسس نفسية مبنية على دوافع الجريمة ، وضعها خالق البشر الذى يعلم السر وأخفى ﴿ أفلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ .

وبعد : فقد رسم القائمون على أمر الحرمين الشريفين سياستهم فى رعاية الحجيج والحفاظ على قدسية الحرمين على أساس مبادئ الدين الإسلامى الحنيف ، وذلك بالتيسير الكامل على ضيوف الرحمن ، وبذل الجهود المضنية للقيام على راحتهم وأمنهم وسلامتهم ، والقضاء على أية محاولة للعبث أو الشغب أو الفساد إلى جوار الحرمين الشريفين ، حتى تتحقق الغاية المرجوة من الحج ، وحتى يتمكن الحجاج والعمار والزوار من أداء الشعائر فى سهولة ويسر وراحة وأمان واطمئنان دون خوف أو رعب ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وقد شهد للمملكة وولاة الأمر فيها الجميع ، ونطقت الأفعال وشهدت قبل الأقوال ، فليس من رأى كمن سمع ، وإن شذت شرذمة قليلة لاوزن لها ولا قيمة فأنكرت جهود المملكة ، وتجاوزت خطيئة الجحود والنكران إلى الفساد والطغيان .

نعم ، الإفساد فى هذه الأماكن المقدسة بالفتن ، والمظاهرات ، والخروج على النظام العام ، والتحرشات وسفك الدماء وتهريب المتفجرات والمخدرات بكميات كبيرة تكفى لإزهاق أرواح آلاف المؤمنين وتروع الآمنين ، وتقطع الطريق على الحجاج والمعتمرين وتصد عن سبيل الله ، وتصرف الناس عن الحج إلى بيت الله .

يقول الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر سابقا وعضو مجمع البحوث الإسلامية واللغة العربية : (لقد حاولت بعض الدول أو بعض الأنظمة أن توجه فريقا من الناس إلى الخروج من آداب الحج بإثارة شغب أو إشعال فتنة أو المناداة بشعارات سياسية أو نشر آراء تدعو إلى الخلاف والشقاق وتبعث العداوة والبغضاء وتؤدى إلى الفرقة والخصام . فهذا هو الظلم والطغيان والفسوق والعصيان فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام والمسجد الحرام . وقد قال تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ... ﴾ .

نعم ، لقد أنكرت إيران الخدمات التى تقدمها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين والحجاج والعمار وجادلت فى ذلك مجادلة باطلة تنقصها حقائق التاريخ ، ووقائع الحاضر ، وتنسخها شهادة أهل القبلة ممن حج ، أو اعتمر ، أو زار ، أو بلغه ذلك من عدول .

أحداث ووقائع تاريخية

على الرغم من قداسة الحرمين الشريفين وحرمتهما بنص الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، على الرغم من كل أنواع التهديد والإنذار والوعيد من الله تعالى لكل من تُسول له نفسه بإرادة أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة بسوء ، حتى ولو كان مجرد (الهم) كما جاء ذلك صريحا فى قوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ وقوله ﷺ : « من أراد أهلها بسوء ... » .

إن مجرد الإرادة ، أو مجرد التفكير بالإساءة إلى حرمة الحرمين أوجب على صاحبه لعنة الله ورسوله وملائكته والناس أجمعين . كما مر معنا .

إن مجرد التفكير فى إلحاق الأذى بمكة المكرمة – مسجدها ، أو كعبتها ، حجرها الأسود ، شجرها ... الخ يخرج المفكر من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر .

فماذا يمكن أن يقال فيمن يخططون لتدمير المسجدين العظيمين ؟ وماذا يمكن أن يقال فى الجرأة على حرمة الحرمين وإلحاق الأذى بعباد الله الطائفين والعاكفين والركع السجود .

يحدثنا التاريخ أن صفحاته قد ملئت بأبشع الحوادث من تكرار فئة من الناس دأبت على محاولة تدمير الحرمين ، وترويع الآمنين وتقتيل المسلمين . وقد تكررت هذه الحوادث والوقائع عبر التاريخ من الفئة نفسها وبنفس الأسلوب وفى نفس المكان ونفس الزمان ونفس الهدف .

فمن هى تلك الفئة الظالمة (إنها الحركة الباطنية الشيعية) فماذا يقول التاريخ : لقد شهد التاريخ أن الشيعة ما فتئوا يكررون محاولاتهم للاستيلاء على مكة والمدينة ، فى جرأة عجيبة . وقد ألحقوا بالمدينتين المقدستين الخراب والدمار ، وأهانوا المسلمين وحقروهم وقتلوهم فى حرم الله الآمن فى أكثر من مرة .

وقد تعاقبت ثورات الشيعة منذ أقدم التاريخ . وسأذكر طرفا من هذه الثورات التى استهدفت الحرمين الشريفين .

١ – ففى زمن أبى جعفر المنصور ظهر ما يعرف (بالنفس الزكية فى مكة) واختفى بها . وترأس هذه الفكرة (الثورة) على العباسيين رجل اسمه محمد بن عبد الله بن الحسين بن على بن ابى طالب .

ولم يجد هذا العلوى فى تلك الأثناء من القوة ما يجعله يعلن ثورته على العباسيين فاكتفى بعدم البيعة عن نفسه ثم اختفى .

ورأى الخليفة المنصور ألّا يتهاون فى شأن النفس الزكية وأخيه إبراهيم خصوصا وقد وافته أنباء استئناف نشاطهما . فانتدب لولاية المدينة رباحا بن عثمان وأمره أن لا يرحم علويا من بنى هاشم .

وتعقب النفس الزكية وأخاه فلم يجد له أثرا وكان الأول لا يزال مختفيا فى المدينة . أما إبراهيم فقد فر إلى البصرة ليدعو منها إلى أخيه . فأعلن النفس الزكية الثورة من المدينة ثم سار بجيشه إلى مكة فافتتحها فى عام ١٤٥ وامتدت الثورة إلى اليمن فاستخلصها من حكم العباسيين كما اتصل خبرها بالبصرة فأسرع إبراهيم بحركته فيها وامتلكها .

ونشط المنصور لقمع الفتنة فسير جيشا عظيما إلى بلاد الحجاز فهاجم المدينة واحتلها وقتل محمدا (النفس الزكية) فى ١٤ رمضان سنة ١٤٥ ثم مضى إلى مكة فتفرق العلويون يبغون النجاة وتركوها .

وسير المنصور جيشا إلى البصرة فقضى على حركة إبراهيم ثم عاد فتتبع ذيولها فى خراسان واليمن والجزيرة العربية وبلاد المغرب ومصر حتى قضى على كل نامة تدل على حياة العلويين فى أمضار الإسلام[١] .

فهذه هى ثورة العلويين الأولى . وقد بدأت من مكة والمدينة وانتشرت فى سائر الأقطار والأمصار الإسلامية .

---

(١) الطبرى ٢٥٩/٩ ، وانظر البداية والنهاية ٨٤/١٠ .

ثورة العلويين الثانية :

لم تخمد جذوة العلويين بالرغم من نشاط العباسيين فقد أهل عام ١٦٩ هـ بحوادث جديدة استأنف فيها العلويون حركتهم فى المدينة فى مثل العنف الذى مضى أو أشد بزعامة رئيسهم الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على .

واستولى الحسين فى المدينة على دار الإمارة بعد أن طرد صاحبها وهجم أنصاره على السجون فكسروها وأخرجوا المجرمين لينضموا إلى الثورة . ثم قصدوا مكة فلقيهم جيش العباسيين بفخ - هو وادى (الشهداء) فى طريق مكة ويبعد عنها يومها بستة أميال - وفى هذا المكان تقرر مصير العلويين حيث قتل الحسين بن على ومعه أكثر من مائة من أصحابه فى نهاية سنة ١٦٩ هـ .

وهكذا قضى العباسيون على ثورة العلويين الثانية . إلّا أنه نجى منهم رجلان أحدهما ، يحيى بن عبد الله . والثانى ، أخوه إدريس بن عبد الله . حيث مضى يحيى إلى بلاد (الديلم) حيث حشد له فيها أنصارا دعوا إلى خلافته وأنشأ منهم قوة كلفت الرشيد خمسين ألف محارب للقضاء عليها . وأما إدريس فقد أسس دولة الأدارسة فى المغرب .

الثورة العلوية الثالثة: بقيادة الأفطس (الحسين بن الحسن بن على سنة ١٩٩ هـ):

ذكر المؤرخون أن الحسين سار بجيشه إلى مكة حتى وصل إلى (النوارية) - مكان بين التنعيم ووادى فاطمة - فلما علم والى العباسيين بقدومه أخلى مكة حتى لا يستحل فيها العلويون القتال فى الشهر الحرام . فدخلها الحسين الأفطس مساء يوم التروية ثم ما لبث أن دفع إلى عرفة فوقف بها ليلا وكان الحجاج قد وقفوا بهانهارا من غير إمام ولا خطيب ثم مضى الأفطس إلى المزدلفة ثم منى ثم مكة فأقام بها ثم مضى إلى جدة فاحتلها وسطا على أموال الأهلين فيها(١) .

---

(١) أخبار مكة ، ١٤٣ للسباعى .

ولما أهل المحرم سنة ٢٠٠ هـ عمد إلى خزانة الكعبة فجردها مما فيها من الأموال(١) وقسمها فى جيشه .

ولقد عاث فى الأرض فسادا فنفر الناس من قسوته وغلظته . ولذا فقد أرغم أحد العلويين على قبول ولاية مكة وهو (محمد بن جعفر الصادق) حتى لا يثور الناس عليه فقبل الصادق البيعة من الناس مكرها لعلمه بسخط الناس وعدم رضاهم عن العلويين . وكانت تلك البيعة سنة ٢٠٠ هـ . فظل شهورا فى الولاية ليس له من الأمر شيئا إنما ذلك كله للأفطس ، وسار هذا الأفطس بالناس أقبح سيرة . ولما زاد طغيانهم واستبدادهم سيّر إليهم المأمون جيشا عظيما قاتلهم قتالا شديدا عند بئر ميمون ثم أجلاهم عن مكة فى جمادى الآخرة سنة ٢٠٠ هـ(٢) . وفر والى مكة العلوى إلى منازل جهينة شمالى ينبع فجمع منها جيشا أراد أن يهاجم به المدينة فلم يظفر فقدم إلى مكة يطلب الأمان .

ويقول المؤرخون فى استغراب : كيف يخرج العلويون على المأمون وقد عرفوه من أميل الناس إليهم ، وقد تودد إليهم وزوج عليًّا بن موسى ابنته أم حبيب ، وجد فى توليه العهد بعده كما خطب له على المنابر وضرب باسمه الدراهم وأمر فى سنة ٢٠١ هـ بطرح السواد ولبس الخضرة شعار العلويين(٣) وبذل لهم العطايا والأموال واستقدم بعض كبرائهم من مكة والمدينة وأكرمهم ، وكان يفضل أن يتنازل عن الخلافة لهم ومع هذا فقد أبوا أن يدينوا له بالطاعة أو ينسوا فى سبيله حقوقهم التى يعتقدونها فى الخلافة(٤) .

نعم : إذا عرف السبب بطل العجب . فالشيعة جميعا يعتقدون أنهم الأولى بالخلافة وغيرهم لا يستحق ذلك مهما كان بل هو مغتصب يجب قتله وأخذ الحق منه .

---

(١) البداية والنهاية ٢٤٠/١٠ .
(٢) بئر ميمون فى الطريق إلى منى .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٩/١٠ .
(٤) أخبار مكة ، ١٤٤ .

الثورة الرابعة : سنة ٢٠٢ هـ :

ما لبث أن هاجم مكة سنة ٢٠٢ هـ من اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم وأخوه على الرضا الذى ولاه المأمون ولاية العهد فاحتل مكة وقتل عاملها وقتل خلقا كثيرا .

وهكذا ظلت مكة مسرحا وهدفا للثورات العلوية المتلاحقة فما كاد النفس الزكية يفر من مكة سنة ١٣٢ هـ حتى استأنف ظهوره فى المدينة سنة ١٤٥ هـ معلنا ثورته باسم العلويين . ثم جاءت سنة ١٦٩ هـ بثورة علوية ثانية ثم أعقبتها الثالثة فى سنة ١٩٩ هـ ثم الرابعة سنة ٢٠٢ هـ على الخليفة المأمون أكثر الناس إحسانا إليهم (وفى ذلك عبرة لأولى الأبصار) ولكن ما أكثر العبر وأقل الاعتبار ؟ وهكذا ظلت مكة والمدينة عرضة للفتن والثورات ، والقلق وعدم الاستقرار ، عانت منها المدينتان الكثير الكثير .

الثورة الخامسة :

كانت بقيادة إسماعيل بن يوسف ويرتفع نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب وقد استولى على مكة سنة ٢٥١ هـ واغتصب ما فى خزائن الكعبة من الأموال . وأقام بها خمسين يوما ثم زحف إلى المدينة فهرب عاملها وفعل بها الأفاعيل ثم رجع إلى مكة واستأنف حصارها حتى مات بعض أهلها جوعا وعطشا وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم كما بلغ سعر الرطل من اللحم أربعة دراهم وشربة الماء ثلاثة دراهم ثم مضى إلى جدة فاحتلها واغتصب أموال تجارها وأصحاب المراكب فيها .

ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف فى عرفة أحد سواه وجيشه . ثم رجع إلى جدة مرة أخرى وعاث فيها فسادا . وقد مات إسماعيل سنة ٢٥٢ هـ بالجدرى[1] .

---

(١) أخبار مكة ، ١٦٥ .

الثورة السادسة : ثورة الزنج :

استطاع على بن محمد بن أحمد أن يحتل كثيرا من بلاد العباسيين وأن يعيث فيها فسادا وقد اتصل بمكة فاحتلها وولى أمرها محمد بن عيسى بن المخزومى وهى ثورة سادسة شهدتها مكة للعلويين . وقد قاست مكة فى هذه الفتنة ضيقا شديدا فبلغت قيمة الأوقتين من الخبز درهما .

وقد امتدت هذه الثورة إلى بقية الأمصار الإسلامية فى نواحى العراق والبصرة والبحرين والأحساء حيث عاثوا فيها فسادا من سنة ٢٥٥ هـ إلى سنة ٢٧٠ هـ[1] .

الثورة السابعة :

استغل محمد بن سليمان من أبناء العلويين فرصة انشغال العباسيين بالفتن فثار بمكة واستقل بإمارتها فى عام ٣٠١ هـ وخطب لنفسه فى موسم الحج .

واستمرت الثورات الشيعية وانتشرت فى معظم البلاد الإسلامية فهناك : ثورات للزيدية وأخرى للموسوية وأخرى للعلوية والإسماعيلية والإمامية الاثنى عشرية . وهناك فتن القرامطة : قرامطة العراق ، والشام ، والبحرين ، والقطيف ، وقرامطة اليمن وهناك الكتاميون فى المغرب والفاطميون فى مصر .

وقد استطاعوا أن يستقلوا عن دولة الخلافة الإسلامية وأن يقيموا لأنفسهم دويلات مستقلة . وأنشأ بعضهم دولا صار لها صيت كبير كالفاطمية فى مصر .

ويقول المؤرخون : إن هذه الثورات كانت تتزيًا بالتشيع لآل البيت وتخفى أغراضها الحقيقية فى الدعوة إلى الفارسية المجوسية من هؤلاء مثلا (ميمون بن القداح) الذى كان إسماعيليا باطنيا شعوبيا يدعو إلى إعادة النفوذ الفارسى وقد مهد بذلك لابنه عبد الله بن ميمون ، وقد أسسوا لهم مراكز فى الشام والعراق عرفوا بقرامطة الشام والعراق .

وانتقلت دعوة القرامطة إلى البحرين والقطيف على يد الحسين بن بهرام فاستغل أمرها

---

(١) الآداب السلطانية ص ٢٧٧ ، وابن الأثير ٧٥/٧ ، وشفاء الغرام ١٩٠/٢ .

وقويت شوكتها ، واشتهر من قوادها أبو طاهر القرمطى الذى عرف بالطغيان والكفر وانتهاك حرمات الله ونهب قوافل الحجاج(١) .

وقد سار أبو طاهر بجيشه إلى مكة لانتزاعها من العباسيين فانتهى إليها فى ٧ ذى الحجة سنة ٣١٧ هـ فخرج إليه أمير مكة يومها ابن محارب فى جماعة من الأشراف يسألونه أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فهزمهم ووضع سيفه فى الطائفين والمصلين والمتفرقين فى مكة وشعابها وصاح به الناس : أتقتل جيران الله ؟ !

وظل كذلك حتى قتل ما يربو على ثلاثين ألفا دفن كثيرا منهم فى بئر زمزم كما دفن بعضهم فى المسجد الحرام بغير غسل ولا تكفين ولا صلاة ، ونهب جيشه أموال الحجاج وأهل مكة(٢) .

قال صاحب درر الفوائد المنظمة : (وقتل القرمطى فى المسجد الحرام ألفا وسبعمائة وقتل ثلاثة عشر ألفا من الرجال والنساء وهم يتعلقون بالكعبة ، وردم بهم زمزم ودفن بعضهم فى المسجد) .

وقد قتل العلماء والفقهاء والقضاة وهم معلقون بأستار الكعبة ثم نهب القرامطة أموال العلماء والفقهاء ولم يبقوا لأهل مكة شيئا حتى أصبح أهل مكة يستعطون الناس(٣) .

وركض أبو طاهر وهو سكران شاهرا سيفه راكبا فرسه ودخل فطاف فبالت فرسه وراثت وصعد إلى باب الكعبة وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا .

وقد أقام بمكة أحد عشر يوما .

وفى ١٤ ذى الحجة قلع الحجر الأسود من مكانه وذهب به إلى

---

(١) الخطط ٢٥٠/١ للمقريزى .

(٢) شفاء الغرام للناس ٢١٨/٢ .

(٣) أخبار مكة ١٧١/١ . وكان ممن قتل بمكة أميرها ، والحافظ الجارودى أخذته السيوف وهو متعلق بباب الكعبة .

كما أخذ القرامطة معهم أكثر من سبعمائة من الفتيات الأبكار زيادة فى النكاية والأذى وإلحاق العار .

بلاده هجر[1] وبقى موضعه خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك نحو اثنين وعشرين سنة ثم أعاده القرامطة بعد ذلك قائلين أخذناه بقدر الله ورددناه بمشيئة الله .

وما لبث أبو طاهر أن كتب للخليفة الفاطمى فى المغرب بما أحدث فى المسجد الحرام . وهذا يدل على صلة القرامطة بشيعة الفاطميين ويفسر لنا علاقتهم المذهبية بهم .

وقد ظل سبيل الحج مقطوعا بتأثير القرامطة حتى كتب أبو على عمر بن يحيى نقيب العلويين فى الكوفة سنة ٣٢٧ هـ إلى طاهر أن يطلق السبيل للحجاج على مكس يأخذه منهم فامتثل أبو طاهر وجعل يأخذ المكس من الحجاج فى طريقهم إلى مكة . وقد عانت مكة من جراء هذا كثيرًا من الضيق واستبد الفقر بأكثر الأهالى فيها سنوات طويلة .

وهنا يحسن أن نتوقف قليلا لنقول إن هذه الثورات الشيعية ظلت مستمرة لتحقيق أهدافها الدينية بكل العنف والضراوة والقسوة ضد المسلمين السنة واستهدفت مكة والمدينة ولم تراع حرمة لهما ولو فى مرة واحدة .

وتلاحظ أن الشيعة على اختلاف فرقهم كانوا يتجمعون لمحاربة المسلمين السنة فقد اتفق الشيعة الموسوية والإسماعيلية والاثنا عشرية والقرامطة والكتامية والفاطمية كلهم جميعا فى الشرق والغرب على تدمير المسلمين وتدنيس حرمة الحرمين والاستيلاء على مكة والمدينة .

وظل الحال كذلك إلى أن جاء دور الدولة الفاطمية حيث تلقى عبد الله المهدى أول الخلفاء الفاطميين أصول المذهب الشيعى على أساطين من علماء الإسماعيلية . ثم جاء إلى مكة مندوبا من القائمين بأمر الدعوة الشيعية ليدعو له سرا وقد اتصل ببعض حجاج المغرب من كتامة فى الجزائر على مقربة من قسنطية فاستحالهم إلى دعوته ورحل معهم فى سنة ٢٨٨ هـ وظل يجمع القلوب حوله فى

---

(١) الاسم القديم للبحرين ويعرف بالأحساء وقد يخصص لمدينة الهفوف .

(كتامة)[1] .

وفى سنة ٢٩١ هـ هجم عبيد الله على المدن المغربية وأسس دولته فى القيروان ونادى بنفسه أميرا للمؤمنين وسميت دولته (الكتامية) ثم سميت (الفاطمية) .

وفى سنة ٣٠١ هـ سير جيشه إلى مصر بقيادة أحد أبنائه فاستولى على الإسكندرية وبعض قرى الوجه البحرى .

وفى سنة ٣٥٨ هـ استأنف المعز الخليفة الفاطمى الثالث الحملة على مصر بقيادة جوهر الصقلى . وأسس جوهر القاهرة وحكم جوهر مصر أربع سنوات حتى سلم مقاليدها إلى المعز على أثر وصوله من المغرب .

وامتدت فتوحات الفاطميين بعد ذلك إلى بلاد الشام وفلسطين ثم الحجاز . وما لبث الفاطميون أن أضافوا إلى الأذان عبارة (حى على خير العمل) وقد ظل القرامطة يعيثون فى الأرض فسادا حول القطيف والبحرين ويقطعون السبل على الحجاج .

وقد استغل أحد العلويين ويدعى (جعفر بن محمد بن الحسين) من أحفاد موسى الجون ، الفرصة فاستقل بحكم مكة فى عام ٣٥٨ هـ ونادى بسقوط الإخشيد فى السنة نفسها التى سقطت فيها مصر فى يد الفاطميين وزال سلطان الإخشيد عنها كما زال حكم العباسيين من قبل .

ويبدو أن هذا الشيعى (حاكم مكة) شعر بحاجته إلى مهادنة الفاطميين أصحاب الحكم الجديد فى مصر ، ولعله كان أخشى ما يخشاه عدوان القرامطة الذين كانوا لا يزالون يعيثون فى الأرض فسادا حول القطيف والبحرين ويقطعون السبل على الحجاج . فرأى أن يدعو على منبر مكة للخليفة الفاطمى المعز ففعل ابتداء من سنة ٣٥٨ هـ[2] وما لبث الشيعة فى مكة إثر اتصالهم بالفاطميين أن

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى ١٩٨/٣ .

(٢) اتعاظ الحنفاء ، ١٤٥ للمقريزى .

أضافوا إلى الأذان عبارة (حى على خير العمل) وهو تقليد كان يتبعه الفاطميون وبذلك حذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة فى مكة وكذلك فى المدينة . وقد أشار ابن خلدون إلى أن أشخاصا من بنى الحسين بن على بن أبى طالب كانوا يتحينون الفرص لاستقلالهم بالمدينة كما فعل الموسويون من بنى الحسن فى مكة حتى وافاهم طاهر بن مسلم من أحفاد الحسين واستقل بالمدينة سنة ٣٦٠ هـ على غرار ما فعل السليمانيون فى مكة وبذلك دعا للمعز الفاطمى .

وقد ابتدع والى مكة الشيعى (جعفر بن محمد) المكوس على الحجاج ، وأرهق الناس بظلمة وتعسفه .

وتولى أمر مكة بعده ابنه (عيسى بن جعفر) سنة ٣٨٠ هـ وفى عهده أرسل المعز أحد العلويين بجيش عظيم للاستيلاء على مكة لضمان استمرار الدعاء له فى الخطبة . وحاصر مكة حصارا شديدا مدة طويلة ، وقد عانت من جراء ذلك عناء شديدا واشتد فيها الغلاء والبلاء .

وتفاديا لسوء العاقبة قبل عيسى باستمرار الدعاء للفاطميين[١] وبعد هلاك عيسى تولى أمر مكة أخوه (أبو الفتوح) وتطلع أن تفتح المدينة ويضمها إلى حكمه مكة فاحتلها ، وذلك بسبب ما بلغه من منع الدعاء للفاطميين كما يقول (الفاسى) .

ونقل الشيخ عبد الله غازى[٢] أن الحاكم الفاطمى فى مصر طلب من أبى الفتوح أن يحتل المدينة وينقل جثمان النبى ﷺ منها إلى مصر فأطاعه . ولكنه عدل عن نبش قرب النبى ﷺ أخيرا لأسباب خاصة .

ولم يكتف الحاكمَ الفاطمى بذلك بل أرسل لأبى الفتوح سجلا بأسماء بعض الصحابة كى يأمر خطيب الحرم بانتفاصهم على المنبر . فتداعى الحجاج والعرب حوالى مكة من هذيل وغيرهم واجتمعوا بالمسجد يريدون كسر المنبر على

---

(١) ابن خلدون ٤/١٠١ .

(٢) إفادة الأنام للشيخ عبد الله غازى ، مخطوط .

صاحبه . وكان يوما عظيما حافلا .

وفى عهد أبى الفتوح منع الحج فى أكثر السنين نتيجة المنازعات والفتن فى مكة وقطع الطريق على الحجاج .

وجاء بعد وفاة أبى الفتوح ولده شكر بن أبى الفتوح فحارب المدينة وضمها إلى مكة ، ومنع الحج العراقى فى سنوات لسوء صلته بالعباسيين (السنيين) .

ويشير المؤرخ (الفاسى) إلى وقوع الكثير من الحوادث والقتال الشديد فى مكة ، ويذكر أن السنيين وهم أتباع بغداد ، والشيعيين وهم أتباع الفاطميين فى مصر اشتبكوا عدة مرات فى موسم الحج . وكان كل فريق يحاول استخلاص الخطبة له . وعانت مكة كثيرا من الضيق والغلاء والشدة نتيجة طبيعة الصراع والنزاع الذى جرته الدعوة على منبر هذا البلد الضعيف بين قوتين عظيمتين[1] .

ويبدو أن العلوية التى جاهدت طويلا فى سبيل انتزاع الخلافة من العباسيين صادفها شىء من النجاح تجلى فى انتصارات الفاطميين (شيعة على) على معظم البلاد التابعة للعباسيين ، وأنشأوا حكومة مماثلة لهم فى اليمن ، وأخرى باسم القرامطة فى البحرين ما عدا الحركات الصغيرة التى صادفت بعض الفوز فى أنحاء شتى من البلاد الإسلامية كما فعل أبو الفتوح على أثر وفاة أبيه حين ادعى لنفسه الخلافة فى الحرمين (مكة والمدينة) . لقد مزقت الفتن والصراعات مكة والمدينة .

ويقول الرحالة ناصر خسرو :

وتركت الفتن أثرها فى السكان فقد قاسوا كثيرا من الجوع والقحط . ويذكر ناصر خسرو أنه هاجر فى بعض السنوات نحو ٣٥ ألفا من سكان مكة ولم يزد تعداد القاطنين بها فى سنة ٤٢٢ هـ عن ألفى نسمة ..) ويقول ناصر خسرو مصورًا سوء أحوال مكة وانقطاع الحجيج (وقد بلغنا مكة يوم الأحد السادس من ذى الحجة ونزلنا عند باب الصفا وكان بمكة قحط ، فكانت الأربعة أمنان من الخبز

(١) شفاء الغرام لتقى الدين الفاسى ١٩٧/٢ ، والعقد الثمين للفاسى مخطوط ، وأخبار مكة ، ٢٠٥ .

بدينار نيسابورى وقد هاجر منها المجاورون ولم يفد عليها حاد من أى بلد . وقد خرج من الحجاز خلق كثير مما أصابه الجوع والفقر فى البلاد)[1] .

وقد نشر الفاطميون عقائدهم الشيعية فقدسوا إمامهم وأحاطوه بهالة من الجلال والتنزيه والتأليه . فأثر ذلك فى الناس الذين طبعهم الفاطميون على تقديس خلفائهم وأمعنوا فى ذلك حتى عم الغلو فى تقديس كل من ينتسب إلى الشيعة . واستمر هذا الإمعان فى التقديس للحكام حتى جاء الوقت الذى بات الرجل منهم يعتقد أنه يستحق الميزة الشرعية على سائر الخلق .

وعرفت مكة فى هذا العهد أعيادا جديدة تحتفل بها علاوة على ما كانت تحتفل به من الأعياد الدينية ، فعيد المولد النبوى ، وعيد مولد السيدة فاطمة ، ومولد السيدة خديجة والسيدة آمنة ، ومولد على وأمثال ذلك كيوم عاشوراء وآخر أربعاء من صفر . لقد فرضت كل هذه الأعياد الشيعية على مكة ، وما كانت مكة تعرفها من قبل . وقد ظلت هذه العادات جارية إلى أن دخل السعوديون مكة سنة ١٣٤٣ هـ فأبطلوها[2] .

وظلت مكة عرضة للصراعات بين السنة والشيعة . وقد قاست مكة فى تضاعيفها من الأهوال والمصائب مالا يوفى حصره . من ذلك مثلا ما حدث سنة ٦٥٢ هـ حين سفكت الدماء بالحجر داخل المسجد الحرام .

وفى عهد الأمير زيد صدر الأمر العثمانى بمنع حاج العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٢ هـ[3] . ذلك أن العجم قد هاجموا بغداد فى سنة ١٠٣٣ هـ وأجلوا العثمانيين عنها ، وقد ظلت فى حيازتهم إلى سنة ١٠٤٢ هـ حيث أجلتهم عنها جيوش السلطان مراد .

وفى سنة ١٠٨٨ هـ أصبح الناس فإذا الكعبة ملطخة بمايشبه العذرة فاتهم

---

(١) سفر نامة ص ١٠٤ - ١٤٠ ترجمة د/ يحيى الخشاب ص ١١١ وكانت تلك الحجة التى يتكلم عنها سنة ٤٣٩ هـ .

(٢) أخبار مكة ، ٢١٦ .

(٣) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٧٥ .

الناس الشيعة . وهكذا اشتدت حمية الأتراك المجاورين والحجاج فقتلوا بعض الشيعة .

وينقل السيد دحلان عن العصامى فى تاريخه أنه رأى بعينه ما تلوثت به الكعبة من القاذورات[1] .

ويبدو أن هذا الإجرام من اعتقادات الشيعة ، أنه لا يتم حجهم إلا إذا لوثوا الكعبة .

وقد تكررت هذه الجريمة مرات ومرات من ذلك ما حدث سنة ١١٤٤ هـ حيث وضع الشيعة نجاسة فى الكعبة المعظمة[2] .

والسؤال الذى يفرض نفسه : لماذا يحرص الشيعة على مكة والمدينة ويصرون على احتلالهما ، ويستبيحون فى سبيل ذلك حرمتهما ؟

الجواب : إن ذلك يرجع إلى عقيدة الشيعة فى الإمامة والخلافة وهى انضمام الحرمين شرط من شروط الخلافة ، وإن نفوذ الخلافة لا تكمل عناصره فى نظر الأمم الإسلامية مالم تؤيده خطبة الحرمين وتنطق داعية باسمه .

ولهذا حرص الشيعة منذ أقدم التاريخ على الاستيلاء على الحرمين لاستكمال شروط الإمامة والخلافة . ولأسباب أخرى تنبع من أصل عقيدتهم ، والتى من بينها أن الإمامة والخلافة محصورة فيهم ولا تجوز لغيرهم ، وأى إنسان ينازعهم فى ذلك فهو مغتصب يجب قتاله . وهكذا .

هذا بالإضافة إلى منزلة الحرمين فى نفوس المسلمين أجمعين ، فالذى يستولى عليهما يحظى بتأييد إسلامى عالمى ، ومن هنا كثرت اعتداءاتهم ومحاولاتهم للاستيلاء على الحرمين فى موسم الحج - كما رأينا - .

وقد ظلت هذه المحاولات مستمرة طوال التاريخ حتى لا تكاد تنقطع ، فلا تهدأ إلا إذا استولوا على الحرمين ، أو قهرهم المسلمون وأخرجوهم منهما ، ولم تهدأ

---

(١) خلاصة الكلام ، ٩٧ . والعصامى ٥٢٩/٤ المطبعة السلفية بمصر . وفيه تفصيل عمن قتل يومئذ .
(٢) خلاصة الكلام ، ١٨٤ زينى دحلان .

الأحوال ويستتب أمن الحرمين إلا بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز وتأسيس الدولة السعودية سنة ١٣٥١ هـ ، وتم تطهير أرض الحرمين من الأرجاس والبدع والخرافات والضلالات الشيعية التى سبق التنويه عنها .

وظلت السعودية ساهرة على أمن الحرمين ، حيث ضربت بيد من حديد على كل من يعبث بحرمة الحرمين ويقطع السبيل على حجاج بيت الله الحرام .

فأصبحت هذه الجهود الخيرة سمة من سمات المملكة ، حيث يشرف عليها مباشرة خادم الحرمين الشريفين وولى عهده الأمين ، الذين يتشرفون جميعا بخدمة ضيوف الرحمن بأنفسهم ، خدمة خالصة لوجه الله ، لا يريدون عليها من أحد جزاء ولا شكورا ، ولا يتخذونها مادة للدعاية والإعلام .

فظل الحج مناسبة طيبة للعبادة ، وظل الحجاج يؤدون مناسكهم فى سهولة ويسر ، ويلاحظون زيادة الخدمات والتسهيلات عاما بعد عام ، يتحدث بذلك العدو قبل الصديق .

فمنذ تأسيس المملكة وإلى سنة ١٤٠٠ هـ لم يحدث فى الحرمين ما يعكر صفوهما ولم يرفع فيهما إلا شعائر الحج إلى أن كانت الثورة الخمينية ، وما ترسله بما يسمى « بالحجاج » .

وكأن الشيعة قد أحزنهم أن يبقى للحرمين حرمتهما وقداستهما وهيبتهما فى نفوس المسلمين ، كما أن حب المسلمين للسعودية ولخادم الحرمين وتعلق القلوب بهما جعل ثوار الخمينى يحسدون المملكة ويطمعون كما طمع أسلافهم فى الاستيلاء على الحرمين – لا سمح الله – وأخذوا يخططون لذلك ويدبرون المؤامرات الخبيثة ، والتى بدأت بافتعال الأحداث ورفع الشعارات والصور والهتافات والنداءات بأصوات منكرات ، وحركات مقززات ، وأحداث تزداد عاما بعد عام حتى أدخلوا المتفجرات سنة ١٤٠٦ هـ التى لا توجد إلّا لدى الجيوش العسكرية والتى بلغ وزنها أكثر من خمسمائة كيلو جراما .

وظلت المملكة العربية السعودية تتحلى بضبط النفس ، ومعالجة الأمور بحكمة وروية ، لعل ذلك يجدى مع الجبابرة والطغاة !

ولكن غلاة الشيعة الخمينية استمروا فى مؤامراتهم الإجرامية التى بلغت قمتها

فى فتنة الحرم المكى الشريف ، والتى روعت العالم أجمع ، والتى أثبتت بما لا يدع مجالا للشك النوايا الخومينية فى الاستيلاء على الأمة الإسلامية وتأسيس الإمبراطورية الشيعية والذى لا يتم إلّا إذا استولى على الحرمين ونودى له بالخلافة فيهما ودعا له المسلمون على منبر الحرم – لا سمح الله – وهو فى هذا يكرر ما فعله من قبله من الشيعة ويحذو حذو النعل بالنعل . ولم يستعمل الخمينى (التقية) ويخفى نواياه الشريرة هذه بل أعلن ومن غير تقية : أن معركته الحقيقية مع المملكة العربية السعودية أكثر من العراق . وأن تحرير الأقصى يبدأ بتحرير الحرمين ، وأن الحجاز هى الطريق إلى تحرير الأقصى . !

ولذا أصدر الخمينى تعليماته وتوجيهاته الإلهية إلى من يسميهم بالحجاج والذين يزدادون عاما بعد عام بأن يخلعوا ملابس الإحرام ويتوضأوا بدم المسلمين ، وأنه سيعطيهم مفاتيح الجنة .

وقد تم اكتشاف تفاصيل هذه المؤامرة الخمينية البشعة حيث حصلت جريدة (عكاظ)[1] على معلومات وتفاصيل مذهلة بالوثائق والأرقام واستنادا لروايات شهود العيان حول المؤامرة الإيرانية ضد المقدسات الإسلامية ، والمخطط الذى سعت إيران لتنفيذه على مدى سبع سنوات لتدمير وتخريب الأماكن المقدسة وسفك دماء المسلمين فى أطهر بقعة وأقدس مناسبة إسلامية ، فى الشهر الحرام والبلد الحرام .

وتقول الصحيفة :

رصدت المعلومات مجموعة من الحقائق والوقائع المتعاقبة فى (مسلسل المؤامرة) على الوجه التالى :

١ – زاد عدد الحجاج الإيرانيين من ٩٠٩و٣٤ حاجا فى سنة ١٣٩٧ هـ إلى ٩٦٣و٤٧ حاجا فى عام ١٣٩٩ هـ وهو عام الثورة الإيرانية إلى أن بلغ فى حج هذا العام ١٥٥ ألف حاج . وجاءت الزيادة كمؤشر للبدء فى مخطط « بشع »

---

(١) جريدة عكاظ السنة السابعة والعشرون العدد ٧٧٠١ الثلاثاء ١٠ ذى الحجة سنة ١٤٠٧ هـ .

يستهدف فى البداية مكة المكرمة ومقدسات الأمة الإسلامية .

٢ - اكتشفت السلطات المعنية الكثير من المتفجرات والمواد الناسفة أكثر من مرة .

٣ - كما ضبط رجال الجمارك والأمن مع الحجاج الإيرانيين كميات هائلة من المخدرات . وكشفت التحقيقات أن هذه المخدرات ليست عملا فرديا أو تجاريا وليست مصادفة وإنما هى عملية مدبرة لإفساد أخلاق المسلمين وانحرافهم عن عقائدهم .

وكشفت التحقيقات أن المخدرات استهدفت أيضا استدراج المسلمين من دول أخرى للانضمام إليهم فى تدميرهم للمنشآت وقتلهم للحجاج ونشر الفوضى فى أرجاء البيت الحرام .

٤ - كما اكتشفت الأجهزة المسئولة مع بعض الحجاج الإيرانيين أدوات حادة ومواد سامة يمكن استخدامها لقتل أكبر عدد ممكن عن طريق تسميم خزانات المياه وتسميم الأغذية .

٥ - كما اكتشفت معهم مواد حارقة تلتهب بفعل الحرارة وتشتعل فى أماكن التجمعات الكثيفة بسهولة وسرعة ولا يتمكن الحجاج من الهرب أو الخلاص من المصير القاتل .

٦ - واكتشفت السلطات خططا وخرائط ومعلومات تهدف إلى إلحاق الضرر بأماكن تجمع الحجاج .

٧ - لجأ الإيرانيون إلى تكتيك مختلف بعد إحباط كل المحاولات السابقة ، وذلك بإرسال مئات الآلاف إلى الديار المقدسة تحت مظلة الحج .

وقد اكتشفت السلطات المختصة بالمملكة أن ٢٥٪ منهم من الحرس الثورى و ٤٠٪ من المتطوعين الانتحاريين و ١٣٪ ممن يسمونهم جيل الثورة و ٢٢٪ منهم فقط حجاج حقيقيون !

٨ - وضعت السلطات الأمنية يدها على مخطط رهيب عندما اكتشفت على متن طائرة حجاج إيرانية ٩٥ حقيبة تحمل ما يقرب من ٥١ كيلو جراما من المواد شديدة الانفجار كانت كفيلة - فيما لو نفذت المؤامرة - بقتل الآلاف من الحجاج .

٩ - وجاء الفصل الأخير للمؤامرة فى الوقائع التى جرت يوم الجمعة السادس من ذى الحجة سنة ١٤٠٧ هـ لتتكشف تفاصيل أخرى رهيبة حيث كانت خطة المسيرة الغوغائية الدموية الرهيبة تقضى بالتالى :

أولا : إغلاق أبواب الحرم ومنافذه على المصلين من الحجاج والمواطنين كخطوة أولى .

ثانيا : المناداة بالخمينى - إماما مقدسا على المسلمين - حسب تعبيرهم الشيعى .

ثالثا : إرغام الحجاج والمصلين على مبايعة رؤوس المؤامرة نيابة عن « الخمينى » .

رابعا : إعلان مدينة (قم) الإيرانية بلدا مقدسا يحج إليه ويزوره المسلمون بدلا من مكة والمدينة وسائر المقدسات .

خامسا : قتل إمام الحرم المكى الشريف وأية عناصر تقاوم هذا الإجراء وتحول دون استمرارهم فى المؤامرة .

سادسا : حرق أجزاء من الكعبة المشرفة إمعانا فى الإهانة للأمة الإسلامية وإلحاق الأذى بكرامة المسلمين وصرف المسلمين إلى غير الكعبة المشرفة .

إن هذا ليس بغريب على شيعة إيران فهو تاريخ متصل الحلقات وسيظل مستمرا ما دام هؤلاء يأنسون من أنفسهم قوة ، وما دام يجدون من المسلمين تسامحا ، فلا يمنعهم من الاستمرار إلّا القضاء عليهم .

فليس بالغريب أن تصدر ثورة الخمينى الخراب والدمار حتى إلى البلد الحرام فى الشهر الحرام وتقتل وتجرح أكثر من ١٠٥١ حاجا من حجاج بيت الله الحرام ، من ضيوف الرحمن . فلم يراعوا حرمة مسلم ولا دم مسلم ولا أماكن المسلمين المقدسة . لم يراعوا حرمة إنسان ولا شرف مكان ولا فضل زمان .

فكيف يدعون القربى إلى الله وهم شرار الخلق عند الله ؟ !وكيف ينتسبون إلى الإسلام ولا نراهم يقاتلون ويقتلون إلّا من شهد الشهادتين فأى دين هذا الذى يبيح القتل والنسف والتدمير ؟ وأى دين هذا الذى يبيح دماء الأطفال

والنساء والشيوخ ؟ وأية عقيدة هذه التى تبيح حرمات الله وأقدس مقدساته ؟ فأى رب تعبدون ياطغاة طهران ؟ أى رب سمح لكم بتدنيس البلد الحرام فى الشهر الحرام ؟ وأى قرآن نزل عليكم – غير قرآن ربنا – أباح لكم الإفساد فى الأرض وإهلاك الحرث والنسل ؟ فما بالكم تلاحقون المسلمين حتى فى المسجد الحرام فى الكعبة المشرفة وحتى فى مقام إبراهيم ، وأنتم تقرأون فى كتاب الله وصيته لإبراهيم وإسماعيل ﴿ أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ أهذا هو فهمكم لتطهير البيت ؟ أيعنى تطهير البيت للطائفين والعاكفين تطهير البيت منهم بقتلهم وترويعهم حتى لا يقدم على حج هذا البيت أحد بعد عامه هذا ، وحتى تتوقف جموع المسلمين الذين يأتون من كل فج عميق عن حج هذا البيت لتتجه إلى طهران وقم ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ﴾ ؟ أيكون تقديس البيت وصيانة حرمته برفع صور دجالكم وتقديسه ، أهذا يتفق مع حرمة الحرمين ؟

ونحن لا نستطيع أن نتصور مدى الكارثة التى كان متوقعا أن تلم بالحرم المطهر وبوفوده المشغولين بذكر ربهم لو أن حماة الأمن فى المملكة قد تخلوا عن مسئوليتهم فتركوا لجموع المتظاهرين أن يصلوا إلى الحرم عنوة فى صفوف المصلين والطائفين والراكعين ؟ فجزى الله رجال الأمن ما يستحقون من الأجر على ما قدموا من تضحيات ودفعوا من أثمان من دمائهم وأشلائهم للمحافظة على حرمة البيت وحرمة الحجاج وأرواحهم .

أولا : لقد كشف المخطط الخمينى الإجرامى النوايا الإيرانية فى إقامة إمبراطوريتها الشيعية على أنقاض الأمة الإسلامية ، وهذا لا يحتاج إلى دليل فأدلته كثيرة ومتعددة يرجع بعضها إلى أصول عقائد الشيعة الثابتة المقررة فى كتبهم المتداولة بينهم منذ أقدم التاريخ وإلى اليوم . والتى أعلن عنها وصرح بها (إمام الزمان) كما يسمى نفسه (الخمينى) فى كتابه « الحكومة الإسلامية » ، وكتابه « كشف الأسرار » بأنه استنادا إلى أصول المذهب الشيعى : لابد من إقامة دولتهم الشيعية ، وأن يكون هو إمام أهل الأرض كلها وأن يقضى على جميع الحكام من غير الشيعة ؛ لأنهم مغتصبون للإمامة . وقد استعرضنا الحوادث التاريخية لمحاولات الشيعة للوصول إلى هذا الهدف.

ثانيا : لقد كشفت الوثائق عن أهداف الفتنة الخمينية فى الحرم الشريف والتى كان من بينها : (المناداة بالخمينى إماما مقدسا) يعنى الإمام المعصوم يعنى النائب عن المهدى المنتظر (إمام آخر الزمان) وهو ما يسميه (ولاية الفقيه) والتى ضمَّنها لدستور إيران الدائم . كما كشفت المؤامرة عن استغلال المتظاهرين الإيرانيين على إغلاق باب الحرم على جموع المسلمين وإرغامهم على أخذ البيعة (للخمينى) كإمام عام للمسلمين ليأخذ الصبغة الشرعية من مسلمى العالم حتى تكون وثيقة بيده لمحاربة جميع حكام المسلمين والبلاد الإسلامية[1] .

ثالثا : كشفت المؤامرة عن نية الشيعة فى انتهاك حرمة الكعبة بحرقها وتدنيسها وصرف الناس عن الحج إلى مكة ليتجهوا إلى العتبات المقدسة فى طهران (وقم) . وهذه ليست الأولى من نوعها فقد فعلها جميع الشيعة عبر التاريخ ؛ من القرامطة (وما فعلوه) من نزع للحجر الأسود ، ومن تحويل القبلة إلى المسجد الأقصى ... إلخ ، وكما فعل الشاه عباس الصفوى الذى أراد تحويل الحج من مكة إلى (مشهد) حيث حج من أصبهان إلى (مشهد) حافيا مشيا على الأقدام مسافة أكثر من ١٣٠٠ كم لتنفيذ هدفه وصرف الناس عن الكعبة .

إن محاولات صرف المسلمين عن مكة والمدينة تكررت من الشيعة عبر التاريخ - كما قدمنا نماذج لذلك - فكم منعوا الحج وكم قطعوا الطريق على الحجاج وكم فرضوا من (المكوس) وكم نهبوا الحجاج وقتلوهم ، وكم نهبوا الكعبة ودنسوها ولطخوها بالقاذورات ؟ وكم فعلوا الشىء نفسه فى المدينة ؟ وحاولوا نقل الجثمان الطاهر من المدينة . أما مسألة قتل المسلمين فهى من صميم عقيدتهم ؛ لأن المسلم عندهم مستباح الدم والعرض والمال على اعتبار أنه من (النواصب) الذين ناصبوا الشيعة العداء ، فهو حربى بلغة الفقهاء .

---

(١) راجع كتاب الحكومة الإسلامية للخمينى ، وهو يشير إلى ضرورة إقامة حكومة شيعية للمقهورين على حد تعبيره ، وهم اليوم أكثر من مائتى مليون شيعى . ثم اقرأ ما كتبه أحمد مغنية فى كتابه (الجبهان سليل الشيطان) ص ٤٤ . (واليوم ممن يخاف على ، فعلى هو هو ، وذو الفقار هو هو ، والهاشميون ، وقسم كبير من أبطال المسلمين ، يتطلعون من قريب ، وبعيد إلى بنانه ، لكى تشير وتعلن الحرب ، التى تطالب بخلافة المسلمين) . فياترى على من يريد إعلان الحرب ؟ وأية خلافة يريد ؟

رابعًا — إن شيعة إيران يخططون تخطيطا شاملا لإقامة إمبراطورية شيعية كالدولة الفاطمية ، والبويهية والصفوية ، وممارستها المعاصرة فى لبنان سواء ضد اللبنانيين من أهل السنة فى بيروت أو الفلسطينيين فى مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة والحرب التى تتعرض لها المخيمات الفلسطينية والحصار التى تفرضه عليها جبهة أمل الشيعية شاهد على ما أقول .

وبات حلم إيران وشيكا بأن تصبح لبنان كلها شيعية بعد هذا الحرب الأهلية الطاحنة التى خططت لها إيران وإسرائيل وأمريكا وغيرها ، فليس لاستمرار هذه الحرب معنى سوى تصفية جميع العناصر المناوئة لتشييع لبنان .

وأما الدليل الثانى : فهو إصرار إيران على استمرار حرب الخليج رغم كل النداءات الإسلامية الدولية ، فقد صرحوا بعدم توقف الحرب حتى يتم النصر بإقامة حكم شيعى إيرانى مجوسى فارسى فلما طالبت العراق باستعادة الجزر العربية الثلاثة التى اغتصبها شاه إيران السابق سخر قطب زاده من الطلب وعقب عليه بقوله بأن (العراق نفسه فارسى)[(١)] فإيران مصممة على استمرار الحرب حتى تضم العراق إلى وإيران الفرس وتضع يدها على الأماكن المقدسة عند الشيعة فى النجف وكربلاء وكاظمين وسامراء والموصل والبصرة وهى ما يسمونه[(٢)] بالعتبات المقدسة . وحتى ينفتح الطريق أمامها إلى الخليج (الخليج الفارسى) كما يصرون على تسميته فى وسائل إعلامهم ، ثم الجزيرة العربية رمز الإسلام ، والتى

---

(١) فى محاضر جلسات مجلس النواب الإيرانى سنة ١٩٦٩ م . حيث رفع النواب عقيرتهم بأن العراق مقاطعة إيرانية تحكمها أقلية عربية وطالبوا الشاه بإعادتها إلى الوطن الأم فارس . وما لم يجرؤ الشاه على الجهر به حاول الخمينى وضعه موضع التنفيذ .

(٢) هذا هو الشيء نفسه الذى فعله الشاه إسماعيل الصفوى مؤسس الدولة الصفوية حيث كرس حياته فى سبيل تحقيق هدفين ؛ الأول : هو الاستيلاء على إيران وتوحيدها تحت حكمه ثم بسط نفوذه وسيطرته على أكبر مساحة ممكنة من العالم الإسلامى . والثانى : هو نشر المذهب الشيعى الاثنى عشرى بالمفهوم الصفوى فى إيران مع تصديره إلى العالم الإسلامى . وهو فى سبيل تحقيق هذين الهدفين سلك طرقا متعددة واتسم سلوكه بالقسوة المفرطة والعنف والبطش والحروب فضلًا عن لجوئه إلى رجال الدين للدعوة ورجال الأدب والسياسة للدعاية وجند فى ذلك كل الإمكانات التى أتيحت له ابتداء من الموارد المادية الهائلة والإمكانات البشرية الكثيرة .

لا زال الحقد الفارسى يغلى عليها ، فهى التى صدرت الفاتحين الذين كسروا ظهور الأكاسرة الفرسولن يهدأ لهم بال حتى يوقدوا النار المجوسية على كامل البلاد الإسلامية . فمن يبقى أمامهم إذا سقطت بغداد لاسمح الله غير السعودية ودول الخليج التى يهددونها صباح مساء ويرسلون إليها الصواريخ والمدفع والمتفجرات ، والإرهاب وخطف الطائرات واحتجاز الرهائن .

وهذا يفسر إصرارهم على مواصلة القتال مع العراق وفى لبنان فلم يبق على تحقيق حلمهم إلّا القليل - كما يزعمون - فسقوط بغداد يعنى سقوط عمان والخليج فتتصل أجزاء الإمبراطورية الشيعية من إيران إلى العراق إلى الأرون إلى سوريا (الشيعية الباطنية) إلى لبنان الذى شيعوه ... إلخ .

وأود التأكيد أن المخطط الشيعى لإقامة الإمبراطورية الشيعية على أساس التحالف والتعاون بين عدد من الأنظمة الشيعية المعاصرة وهى النظام السورى النصيرى الباطنى والنظام الإيرانى الاثنا عشرى والنظام الليبى العبيدى الفاطمى والنظام العدنى القرمطى ، وتعاون معهم أبناء مذهبهم من الدروز والبهائيين والقادنانيين وغيرهم .

٥ - تعاونت إيران مع إسرائيل والصهيونية العالمية لتحقيق مخططاتها فى لبنان وفى حرب العراق حيث أمدتها بالأسلحة والخبراء والمستشارين والمعولما مما يزيد على الخمسة مليارات من الدولارات . كما يقول العلامة موسى الموسوى . ودور إسرائيل فى لبنان واضح ومشكوف فى تصفية اللبنانيين السنة والمقاومة الفلسطينية (السنة) أيضا .

٦ - تعونت إيران مع روسيا الشيوعية وأمدتها كل ما تريد عن طريق حلفائها من السوريين والليبيين والعدونيين وغيرهم .

٧ - تعاونت إيران مع أمريكا فى عهد الخمينى أكثر من تعاونها أيام الشاه ، فما الخمينى إلّا شاه أمريكى مطور عن الشاه المخلوع . صحي أن الخمينى ونظامه يكيل الشتائم لأمريكا صباح مساء حتى فى الحرمين ومناسك الحج ، ولكن الواقع يكذب ذلك ويفضحه وما فضيحة (إيران جيت) عن الأذهان ببعيد وليست هى الشاهد الوحيد .

٨ – فهل كان من قبيل المصادفة أن تسعى إيران الخمينى للاستيلاء على الحرمين والدعوة إلى تدويلهما على الأقل ، وأن تعمل إسرائيل على حرق المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل المزعوم ؟

وهل كان ذلك فلتة عابرة أن تتكرر محاولات اليهود لتدنيس مقدسات المسلمين وتدميرها ، ومحاولات الشيعة فعل الشىء نفسه ؟ ألا يعيد ذلك إلى الأذهان أن عقيدة القوم واحدة ؟ فمؤسس هذا الدين هو عبد الله بن سبأ اليهودى ، فالأصل واحد والمعتقد واحد !

مقارنة بين أعمال الدولة الصفوية والدولة الخمينية

لقد أثبتت الدراسة العلمية الموضوعية أن النظام الحاكم فى إيران قد استقى معظم أسسه ومبانيه من نظام الحكم الصفوى وأفكاره وعقائده وسياسته وأعماله ، فقد حذا حذوه النعل بالنعل والقذة بالقذة ، فجاء صورة مكرورة تماما للنظام الصفوى ، مع استبدال اسم الشاه إسماعيل الصفوى مؤسس تلك الدولة باسم آية الله روح الله الخمينى مؤسس الجمهورية الإيرانية الحديثة .

لقد تم الإعلان عن قيام الدولة الصفوية سنة ٩٠٦ هـ الموافق ١٥٠٠ م ، ومنذ الإعلان عن قيامها الرسمى سنة ٩٠٧ هـ ، ١٥٠١ م أعلنت أن المذهب الرسمى للدولة هو المذهب الشيعى الاثنا عشرى وكان هذا الإعلان بمثابة نقطة تحول رهيبة فى تاريخ إيران ، حيث ألغى هذا الإعلان حقوق الغالبية العظمى من سكان إيران « السنة » الذين كانوا يشكلون حسب الإحصائيات الفارسية نسبة ٦٥٪ .

وكان هذا التجاهل لحقوق المسلمين السنة بداية نشاط عقائدى طائفى متعصب ومتعطش يسعى للانتشار فى العالم الإسلامى كله .

وهو الشيء ذاته الذى فعله الخمينى منذ إعلان دستور إيران الدائم ، فقد جاء فى المادة الثانية عشرة من دستور جمهورية إيران الإسلامية (الخمينية) الدائم ما نصه :(الدين الرسمى لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفرى الاثنا عشرى وهذه المادة تعتبر غير قابلة للتغيير إلى الأبد) .

وجاء فى المادة الثانية من مواد هذا الدستور : (الجمهورية الإسلامية نظام يقوم على الإمامة) .

وجاء فى المادة الخامسة ما نصه : (تكون ولاية الأمر والأمة فى غيبة الإمام المهدى عجل الله فرجه فى جمهورية إيران الإسلامية للفقيه العادل التقى .. الخ) يعنى الخمينى نفسه حسب الشروط التى وضعها فى هذه المادة .

معاملة الشاه عباس للمسلمين السنة

لقد اتسمت معاملة الشاه عباس للمسلمين السنة بالقسوة المتناهية ، ولم تشهد البشرية تعصبا مذهبيا أشد من تعصب عباس الصفوى ضد أهل السنة .

ففى عام ١٠١٣ هـ حدثت فتنة كردية (قبائل سنية تقطن منطقة كردستان) ضد الحكام الصفويين . استولى فيها الأكراد من قبيلة (مكرى) على بعض القلاع الحصينة فى منطقتهم ، فأمر الشاه عباس جنوده بالتحرك صوب المنطقة الثائرة والاستيلاء على القلاع الحصينة بها ، والبطش بضراوة وقسوة بهؤلاء الأكراد ، فتقدم الجيش الصفوى وحطم قلاع الأكراد وأشاع فيها القتل والتشريد حتى أصبح الرجال طعمة للسيوف ووقعت النسوة والصبية فى ذل الأسر[١] .

وقد حاول الأكراد المكريون استعطاف الشاه عباس بعد أن آمنهم على حياتهم ، وتقدم زعيمهم قباد خان ومعه مائة وخمسون فارس إلى الشاه عباس وذلك لإظهار خضوعهم وتقديم فروض الطاعة للشاه ، ولكن ما إن وصلوا إلى بلاطه حتى فتك بهم جميعا[٢] .

ولم يكتف الشاه عباس بالتنكيل بهم فى ديارهم ، وإنما أقدم على اتخاذ خطوة أشد ، وهى تهجير عدد كبير منهم بالقوة إلى مناطق أخرى ، لكى يعيشوا فى ذل الغربة والاستكانة ، وقد أمر بنقل خمسة عشر ألف أسرة كردية ، من كردستان إلى شرقى خراسان ، ليكونوا فاصلا بشريا بين الإيرانيين الأوزبك فيما وراء النهر[٣] ، ولعله أراد بهذا الإجراء أن يجعل هؤلاء الأكراد السنيين أول من يتلقون

---

(١) ملحقات تاريخ روضة الصفا ٣٧٢/٨ ، ٣٧٣ .

(٢) عالم آراى عباس ص ٥٧٥ .

(3) History of Persia Vol P . 174 .

ضربات الأوزبك السنيين ، وبهذا يتخلص من كليهما معا ويستريح من فتن الأكراد فى إيران ومن أى هجوم أوزبكى مفاجىء على حدوده الشرقية .

ولم يكتف الشاه عباس بما فعله معهم حتى الآن بل فرض عليهم ضرائب باهظة ووضعهم تحت رقابة صارمة ، وحكم حديدى .

وعلى النقيض من هذه المعاملة البالغة القسوة عامل الأرمن المسيحيين حيث كان بهم برا عطوفا ، وحرص على التقرب منهم والتودد إليهم ، حتى إنه بنى لهم ضاحية جديدة عرفت باسم (جلفا) وزودها بكل ما يلزمها ، وبنى لهم فيها كنيسة كبيرة[1] .

ولعلنا ندرك أن المعاملة السيئة التى عامل بها الأكراد الإيرانيين مرجعها إلى تبعية هؤلاء الأكراد للمذهب السنى ، وعدم قبولهم الدخول فى المذهب الشيعى ، مما جعلهم هدفا لغضبه وحقده .

ومن مظاهر تعنته مع أهل السنة ما فعله مع سكان قلعة (اندخود) بما وراء النهر ، وكان الشاه عباس قد فتح هذه القلعة عام ١٠١١ هـ وأمن أهلها من السنة على حياتهم وممتلكاتهم ، وطمأنهم بأن لن يتعرض لهم بالسوء بسبب اعتناقهم المذهب السنى ، ولكن حدث فى سنة ١٠١٢ هـ وهو عائد من محاصرة مدينة بلخ أن مر بقلعة اندخود هذه ، وفجأة وبلا سبب أمر جنوده بالإغارة عليها وأسر جميع أكابرها وأعيانها وقاضيها وعظمائها ، وأن يسوق كل جندى أمامة أسير من أهل هذه القلعة حتى يصلوا إلى منطقة أصفهان . وقد علق إسكندر بك منشى على هذه الحادثة بقوله :

(فى طرفة عين خربت تلك القصبة ، ووقع العديد من النساء والصبيان فى ذل الأسر ، وقلة من الجنود هم الذين جاءوا وليس فى معيتهم أسرى من قلعة اندخود)[2] .

---

(١) زندكانى شاه عباس أول ١٨٨/٣ .

(٢) عالم آراى عباس ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وكان الشاه عباس غالبا قاسى القلب خشنا مع الأسرى العثمانيين والأوزبكيين – وهم من أهل السنة – وكان أقل عقاب يوقع عليهم إن لم يقتلوا هو سمل عيونهم ، ولم يكن يصفح عن أى أسير منهم إلّا إذا أعلن تخليه عن المذهب السنى ودخوله فى المذهب الشيعى[1] .

وقد ذكر جلال الدين محمد اليزدى المنجم الخاص للشاه عباس فى كتابه (تاريخ عباس) العديد من مظاهر تعنت عباس مع أهل السنة ، ومما ذكره ما يلى :

(نزل الشاه عباس فى عام ١٠٠٨ هـ ببلدة سمنان ، وبسبب تطاول حاكمها عليه وعدم امتثال أهلها لقوانينه ، تم اعتقال عدد كبير من السنيين بها وأمر الشاه بإطعام جهالهم بآذان علمائهم وأنوفهم ، ثم حصل ثلاثمائة تومان منهم تكفيرا لجرمهم) .

وفى سنة ١٠١٨ هـ بلغه أن حاكم مدينة همدان ويدعى محمود الدباغ وهو سنى المذهب يظلم الشيعة هناك ، فأمر بإلقاء القبض عليه والفتك به ، ولكن محمود اختفى فأصدر الشاه أمرا مؤداه : (إذا لم يظهر محمود الدباغ فى ظرف ثلاثة أيام فسيتم قتل كل أفراد القبائل السنية فى المدينة ، ويتم الاستيلاء على أموالهم ونسائهم وأطفالهم ، وأخيرا ألقى القبض على الدباغ وأعدم) .

معاملة الشاه عباس للمسيحيين :

وعلى النقيض من معاملته للسنيين ، كانت معاملته للرعايا الإيرانيين الذين يعتنقون الديانة المسيحية ، وكذلك لرعايا الدول المسيحية الذين يفدون إلى إيران ، وكان الشاه عباس يحيطهم برعايته وعطفه وتشجيعه والسماح لهم بحرية التبشير والتجوال فى كل الأراضى الإيرانية . وهذا نص الأمر الملكى :

(من اليوم يسمح لمواطنى الدول المسيحية ومن يدينون بدينهم بالحضور إلى أى بقعة من وطننا ولا يسمح لأى شخص بأى حال من الأحوال إهانتهم ، ونظرا

---

(١) زندكانى شاه عباس أول ٣٨/٣ .

لما بيننا وبين الملوك المسيحيين من علاقات ود ومحبة ، فيسمح للتجار المسيحيين بالتجول فى جميع أجزاء إيران ، ومزاولة نشاطهم التجارى فى أى بقعة من الوطن ، دون أن يتعرض لهم بالإيذاء أى شخص سواء أكان حاكما أو أميرا أو خانا أو موظفا أو تابعا لدولتى ، كما تعفى جميع أموال تجارتهم التى يحضرونها معهم من ضرائب المال ، وليس لأى شخص مهما بلغت مكانته أن يزاحمهم أو يكلفهم المشاق ، وليس من حق رجال الدين مهما كانت وظائفهم التجرؤ على الإضرار بهم ، أو التحدث معهم بخصوص العقائد المذهبية)(1) .

ولم يكتف الشاه عباس بإصدار هذا الأمر وتنفيذه ، بل كان حريصا على التعاطف مع المسيحيين فى كل مناسبة ، والاشتراك معهم فى احتفالاتهم الدينية ، ففى سنة ١٠١٨ هـ أرسل إلى بلاد الكرج فى إحضار عدد من الخنازير ليقدمها هدية لمسيحى جلفا فى عيدهم ، ثم ذهب بعد ذلك لتهنئتهم .بالعيد ، وشاركهم احتساء الخمر ، وأمر جميع مرافقيه من رجال البلاط الصفوى باحتساء الخمر مشاركة للمسيحيين فى هذه المناسبة ، على الرغم من توافق ذلك العيد المسيحى مع اليوم الخامس عشر من شهر رمضان ، فاضطر أفراد الحاشية إلى شرب الخمر والإفطار على محرم)(2) .

ومما لاشك فيه أن عداء عباس للمذهب السنى وحماته العثمانيين ، هو الذى دفعه للاتصال بملوك أوربا المسيحيين ، ومحاولته عقد معاهدات للتعاون المشترك بينه وبينهم من أجل تقويض دعائم الدولة العثمانية السنية المذهب حتى ولو قدم للأوربيين العديد من التنازلات ، كما رأينا فى الأمثلة القليلة التى ذكرناها .

تعصب الشاه عباس للمذهب الشيعى :

كان الشاه عباس شديد التعلق بالمذهب الشيعى ، حريصا على إرساء

---

(١) إيران درزمان صفوية /١٠٣ .
(٢) زندكانى شاه عباس أول ٢٦٤/٢ .

دعائمه ، وقد بذل قصارى جهده فى ترويج المذهب الاثنى عشرى الشيعى ، ومن مظاهر هذا الاهتمام الزائد حرصه على الاحتفال بكل المناسبات الشيعية مثل أعياد ميلاد جميع أئمة الشيعة ، وكذلك إقامة العزاء فى ذكرى وفاتهم أو استشهادهم ، ومن مظاهر اهتمامه كذلك إبقاؤه على صيغة الأذان التى استنها جده الشاه إسماعيل الأول ، هذه الصيغة تضيف إلى الصيغة الإسلامية المألوفة فى البلاد السنية المذهب ، عبارتى : أشهد أن عليا ولى الله ، وحى على خير العمل(١) .

وكان الشاه عباس حريصا كذلك على الإكثار من زيارة أضرحة مشايخ الشيعة وأئمتهم ، والقيام بخدمتها ، كما سبق أن ذكرنا .

فبعد أن تمكن من فتح بغداد سنة ١٠٣٢ هـ واستولى على العتبات المقدسة لدى الشيعة والموجودة فى كل من كربلاء والنجف والكوفة ، نجده يسارع بزيارتها ، فقضى عشرة أيام فى ضريح على بن أبى طالب فى النجف ، حيث قام بخدمة زواره وبكنس أرض المقبرة(٢) .

وإمعانا فى إعلان تبعيته لآل على بن أبى طالب ، وتمسكه بالمذهب الشيعى لقب نفسه بـ (كلب عتبة على) أو (كلب عتبة الولاية) ونقش هذا اللقب على خاتمه لكى يستعمله فى المراسلات الرسمية(٣) .

وقد رأينا كيف زار ضريح الإمام الرضا فى (مشهد) سيرا على الأقدام من أصفهان إلى مشهد (١٣٣٣ كم) إمعانا فى صرف الناس عن الحج من مكة إلى مشهد وتقديسا لأئمة الشيعة .

---

(١) لفت نامه ، شماره ص ٧٦ .
(٢) زندكانى شاه عباس أول ١٩/٣ .
(٣) زندكانى شاه عباس أول ١٩/٣ .

حروب الشاه مع العثمانيين

استمرت الحروب بين العثمانيين السنة والصفويين الشيعة طويلا مما سبب فى تعويق الفتح الإسلامى وعدم انتشار الدين فى أوربا كلها حتى قالوا (لولا الشاه لدخل الإسلام كل بيت فى أوربا) .

وكثيرا ما كانت الجيوش العثمانية الفاتحة تعود من قلب أوربا لترد على الهجمات الصفوية الشيعية على البلاد الإسلامية ؛ مما أضطرها فى أكثر من مرة إلى توقيع معاهدات للصلح - مع أنها كانت منتصرة وتستطيع التوغل فى الأراض الإيرانية ، وذلك لكى يتفرغوا لحروبهم مع المعسكر المسيحى فى أوربا ، ووقف الحملات العدائية التى كانت الدولة الصفوية الشيعية تشنها ضد المذهب السنى ، وضد الخلفاء الراشدين الثلاثة وصحابة رسول الله . فقد اعتبر العثمانيون أنفسهم خلفاء الخلفاء ، وأن أى معاداة لهؤلاء الخلفاء تعتبر معاداة لهم أيضا ، ومن واجبهم الشرعى التصدى لمثيرى هذه المعاداة .

ومن نصوص تلك المعاهدة التى عقدت فى نيروز سنة ٩٩٨ هـ أى فى ٢٢ مارس سنة ١٥٨٠ م :

(أن تتوقف إيران عن سب الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ، وسب السيدة عائشة)[(١)] .

(وأن يبقى حيدر مرزا بن حمزة ميرزا أخى الشاه عباس فى إسطنبول كرهينة حتى لا ينقض الشاه عباس هذه المعاهدة) . وقد ظل رهينة حتى سنة ١٠٠٥ هـ .

وظل الشاه حريصا على إظهار وده تجاه السلاطين العثمانيين ، وأن يسلك معهم طريق التودد والخنوع بدلا من القوة والنخوة ، حتى إنه إذا أرسل رسالة إلى السلطان العثمانى كان يكتب فى مقدمتها ما يقرب من أربعين سطرا بين نثر ونظم فى تعداد مناقب السلطان المرسل إليه الرسالة ، كما كان عباس يحاول التظاهر

---

(١) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص ١٧٦ ، ولفت نامه شمارة ٧٦ .

بأنه يعاضد العثمانيين فى حروبهم ضد أوربا ولكنه فى نفس الوقت يحاول الاتفاق مع زعماء المسيحيين الأوربيين للتعاون فيما بينهم وبينه ضد السلطان العثمانى .

وبعد أن أنشأ الإنجليز له مصنعا للأسلحة النارية وزودوا جيشه بالمدافع نقض هذه المعاهدة سنة ٩٩٨ هـ ، وجاهر العثمانيين بالعداء .

ولما وفد إليه سفير من قبل السلطان محمد الثالث ، وطلب منه إعادة النظر فى اتفاقية سنة ٩٩٨ هـ ، وطلب السفير من الشاه أن يرسل ابنه الأكبر ليكون رهينة فى البلاد العثمانية بدلا من حيدر ميرزا الذى توفى سنة ١٠٠٥ هـ فما كان من الشاه عباس إلّا أن أمر بنتف لحية ذلك السفير العثمانى وأن ترسل لحيته على شكل هدية للسلطان العثمانى[١] .

ونلحظ مدى اقتداء الخمينى بالشاه إسماعيل والشاه عباس الصفوى فى التعصب ضد المسلمين السنة وتجاهل وجودهم ، بل العمل على إبادتهم والقضاء عليهم نهائيا .

فقد عمل الصفويون ، ومن نهج نهجهم من الإمامية الاثنى عشرية على إزالة المسلمين السنة من الوجود بكل الوسائل ، حيث نجحوا فعلا فى تحقيق هدفهم كما دلت على ذلك الإحصائيات الرسمية :

قالت صحيفة (هيرالد تريبيون) الصادرة فى ١٩٧٩/٢/٢٠ م بأن نسبة الفرس ٥٠٪ من عدد السكان . وحسب إحصائية سنة ١٩٧٠ م فإن نسبة الشيعة ٦٢٪ والسنة ٣٦٪ .

وهذه النسبة توافق إحصائية نشرتها مجلة المستقبل فى العدد /١٢٣ بتاريخ ١٩٧٩/٦/٣٠ م .

ومما يجدر ذكره أن نسبة المسلمين السنة فى إيران كانت تزيد على ٦٥٪ فى عهد الصفويين أى قبل ثلاثة قرون تقريبا ، وما زالت تنخفض تحت اضطهاد وتأثير الشيعة .

---

(١) زندكانى شاه عباس أول ١٣/٥ ، ١٤ .

إذن : سعى إسماعيل الصفوى منذ استيلائه على السلطة فى إيران إلى أن جعل إيران كلها شيعية على المذهب الجعفرى الاثنى عشرى مما خفض نسبة السنة فى إيران إلى أكثر من النصف ولقوا كل أصناف الاضطهاد والتعذيب والتجاهل لكل أنواع حقوقهم ، وهو ما فعله الخمينى بمجرد استيلائه على السلطة ، حيث أعلن مبادىء ثورته الشيعية الاثنى عشرية التى تقوم على (ولاية الفقيه) وضمن كل ذلك الدستور الدائم لإيران .

ثانيا : جعل إسماعيل الصفوى الهدف الثانى من أهداف دولته هو نشر المذهب الشيعى الاثنى عشرى وتصديره للعالم الإسلامى ، واستعمل كل الوسائل المتاحة فى عصره ، وكانت السمة البارزة على دعوته لنشر مذهبه هى الوحشية والقسوة المفرطة والعنف والبطش والحروب وسفك الدماء (السنية) .

واستعمل عددا كبيرا من رجال الدين الشيعى لترويج مذهبه داخل وخارج إيران فى أنحاء العالم الإسلامى . وهو الشيء نفسه الذى يفعله « الخمينى » ، حيث ملأ الأرض بآياته وأرواحه وتلاميذهم الذين يجوبون أنحاء العالم الإسلامى لنشر مذهبهم .

كما استعمل الشاه إسماعيل الصفوى رجال الأدب والسياسة للدعاية لمذهبه الاثنى عشرى ، وجند كل إمكانات الدولة الطبيعية والبشرية لنشر دينه الشيعى . وهو الشيء ذاته الذى سار على نهجه فيه « الخمينى » ، فلم يترك وسيلة من وسائل الدعاية والإعلام بكل أنواعه والسفارات فى الخارج وإنفاق الأموال الطائلة فهو ينفق على الدعاية والإعلام مثل ما ينفقه على الحروب ، ويشكل هذا الإنفاق كل ميزانية الدولة تقريبا ؛ فقد أسس حتى الآن أكثر من ست جامعات فى مختلف البلاد الإسلامية لنشر مذهبه ، كما قدم آلاف المنح الدراسية للطلاب ، فقد قدم لأفريقيا وحدها أكثر من أربعة آلاف مليون دولار للدعاية لمذهبه ولتشيع المسلمين السنة .

ثالثا : لقد شكل الشاه إسماعيل الصفوى النشاط البشرى فى إيران بالشكل الذى يساعده على المضى قدما فى تنفيذ خطته لنشر مذهبه ، فأوجد مؤسسة عسكرية مذهبية خاصة (غير الجيش) تسيطر على مجريات الأمور فى عموم إيران

وتوجه شعبها لخدمة سياستها وأفكارها .

وهو الشيء نفسه الذى فعله (الخمينى) حين شكل ما يسمى (بالحرس الثورى) و (جيل الثورة) وغيرها من التنظيمات العسكرية لخدمة أغراضه السياسية والمذهبية .

رابعا : تذكر الكتب التركية أن الشاه إسماعيل الصفوى كان يحرض الشيعة فى الأناضول على الفساد والتمرد ضد الدولة العثمانية .

وهو ما قام به « الخمينى » فى محاولته لبث القلاقل وإسقاط نظام الحكم فى « العراق » تلك البلاد التى آوته وعلمته ووفرت له كل أنواع الرعاية والحماية ولكن أطماعه التوسعية جعلته يتدخل فى شئونها الداخلية و يحاول فرض سيطرته عليها بالقوة ، وإثارة الشيعة ضد دولتهم فى العراق ، وهو ما فعله فى تحريض « الأكراد » وغيرهم ، ولم يكتف بالعراق ، بل امتد تحريضه إلى دول الخليج فى الكويت والسعودية والإمارات وغيرها ، بل امتد شره وخطره إلى جميع البلاد الإسلامية فى تركيا ، وباكستان ، وأندونيسيا ، وأفريقيا ، وماليزيا وحتى أفغانستان لم تسلم من شره .

خامسا : كما حاول الشاه إسماعيل وضع يده على الأماكن المقدسة عند الشيعة فى النجف وكربلاء وكاظمين وسامراء والموصل والبصرة (العتبات المقدسة) ، بل حاول وضع يده على العراق كله مما أدى إلى اشتعال نار الحرب بين الصفويين والعثمانيين[1] .

وهو الشيء ذاته الذى عمله (الخمينى) فقد تطلع للاستيلاء على العراق منذ استلم زمام السلطة ، وهذا ما يفسر إصراره على القتال فى هذه الحرب الطويلة المشئومة التى لم يعرف التاريخ كله حربا أطول منها ، وقد بلغت خسائرها البشرية والمادية أكثر من الحربين العالميتين الأولى والثانية . ولا زال (الخمينى) مصرا عليها لأنها هدف استراتيجى لنشر مذهبه ، وتحقيق أطماعه التوسعية ، كما فعل الشاه إسماعيل الصفوى والشاه عباس الصفوى من قبل . إن يكفر فقد كفر أخ له من قبل .

---

(١) عثمانى تاريخى ٤٢١/١ ، أحمد راسم ، طبع إستانبول سنة ١٣٣٠ .

سادسا : لقد سجلت المصادر التاريخية والأدبية المختلفة نماذج من الأعمال التى قام بها ملوك هذه الدولة وحكامها بما لا يتسع المجال لذكره ويكفى أن نذكر منها نموذجا واضحا ، حيث تذكر الكتب الصفوية نفسها أن الشاه إسماعيل عندما وصل فى السنة السابعة من حكمه إلى بغداد واستولى عليها قام بنبش قبر الإمام أبى حنيفة النعمان وأخرج عظام الإمام وأحرقها ودفن مكانها كلبا .

وكان لهذا العمل القبيح الذى يدل على ما يكنه الشيعة الإمامية وغيرهم للسنة وعلمائهم وعقيدتهم وفقهائهم ، لقد أثار هذا العمل الإجرامى غضبة الأمة الإسلامية ، والدولة العثمانية « السنية » حيث أرسل سلاطينها تهديدا إلى ملوك الصفويين . وانتهى الأمر باشتعال نار الحرب نتيجة لتبادل التهديد والصلف والعجرفة والعربدة الصفوية ، وانتصر فيها العثمانيون على الصفويين فى موقعة (جالديران) سنة ٩٢١ هـ ١٥١٤ م .

ومن بين الرسائل التى أرسلها سلاطين العثمانيين إلى ملوك الصفويين رسالة السلطان سليم الأول العثمانى إلى الشاه إسماعيل الأول الصفوى والتى يقول فيها ما ترجمته :

(ما هذا العمل القبيح الذى صدر منك ؟ لا تسب الخلفاء الثلاثة بعد ذلك لأنه كان لهم فى حياتهم شرف ملازمة حضرة الرسول ﷺ ، وهذا يعرفه كل العالم ، ولماذا تنسبون الكفر والزندقة إلى عظماء الدين والدنيا وهم يسكنون إلى جوار القبر المبارك لنور العالم وعظيمه)[(١)] .

ومسألة نبش قبور علماء هذه الأمة وعظمائها يبدو أنه أمر طبيعى فى عقيدة القوم ، درج عليه السلف والخلف ، فقد رأينا كيف أنهم لم يتورعوا عن نبش قبر الرسول ﷺ ، كما أورد الشيخ عبد الله غازى فى مخطوطته (إفادة الأنام) حيث يقول : إن الحاكم الفاطمى فى مصر طلب من أبى الفتوح أن يحتل المدينة وينقل جثمان النبى ﷺ إلى مصر . فكيف لا يسيغ لهم نبش قبر أبى حنيفة ؟

---

(١) عالم آر اى صفوى ص ٤٤٧ ، ٤٧٨ .

وها هو الخمينى وزمرته اليوم ينبشون قبور الصحابة فى البقيع ويحاولون نقلها من مكانها إلى بلادهم ، وينبشون بعض هذه القبور حقدا على أصحابها وتشفيا منهم ، وينبشون البعض الآخر رغبة فى نقل الرفات إلى ديارهم لكى يحجوا إليه ويزوروه ويتوسلوا إليه ، ويتقربوا إليه بسائر القربات والعبادات الشركية .

لقد درج الشيعة على التعرض لقبور صحابة رسول الله ﷺ وكان آخر محاولاتهم نبش قبر السيدة فاطمة الزهراء . ذكرت ذلك مجلة (المجلة)[1] تحت عنوان (محاولة نبش قبور الصحابة فى المدينة المنورة) وقدمت تحقيقا مصورا بالألوان لتلك المحاولة البشعة الخبيثة .

قالت المجلة : (لقد بدأت تصرفات بعض الحجاج الإيرانيين فى البقيع تثير تحفظات العديد من المسلمين إلى جانب الهيئات المشرفة على هذه المنطقة ، خاصة أن الأمر وصل ببعضهم إلى درجة نبش قبور أهل البيت .

ففى الأعوام الماضية وخلال موسم الحج دخلت مجموعات كبيرة من الحجاج الإيرانيين مقبرة البقيع ، وأخذ أفرادها نبش القبور وخاصة قبر السيدة فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين . وكانوا يأخذون الأتربة ويضعونها فى جيوبهم . وتدخلت الجهات المسئولة أكثر من مرة لإيقاف هذه الممارسات وإعادة الأتربة إلى مكانها ، وبعد أن ظهر أن بعض هؤلاء كان يقصد فى حقيقة الأمر الوصول إلى الأعماق والعبث بالرفات الطاهرة لموتى أهل بيت رسول الله ﷺ .

وتورد المجلة شهادة الحارس : (ويقول محمد غالب – الحارس –) وهو فى العقد الرابع من عمره ويحرس البقيع منذ أكثر من عشر سنوات : إن الحجاج الإيرانيين يحاولون دائما الإساءة إلى قبور أهل البيت ، وذلك بنبش التراب عنها فى محاولة للحصول على بعض بقايا أجسامهم الطاهرة . ويتركزون عند زيارتهم البقيع فى الجزء الذى يضم قبور أهل البيت . ويتبركون بالتراب .

وفى الوقت الذى أوقفت فيه أجهزة المقدسات الإسلامية الطلائع الأولى من

---

(١) العدد ٤٢٧ تاريخ ٢٦ شعبان ١٤٠٨ الموافق ١٣ إبريل ١٩٨٨ ، ص ١٥ .

الحجاج الإيرانيين بعد نبش قبر السيدة فاطمة ، كانت هناك جموع أخرى منهم فى طريقها إلى البقيع للغرض نفسه ، ولولا الحيلولة دون ذلك – كما ذكر أحد المسئولين عن الأمن – لكانت النتائج أكثر خطرا ، خاصة لو تمكنوا من تنفيذ غاياتهم .

وأوضح مصدر إسلامى أن هذا التراب واقتناءه مقدمة للوصول إلى أعماق القبور للحصول فى النهاية على بقايا الأجساد الطاهرة ونقلها إلى مدينة (قم) مقر الخمينى . ويستدل هذا المصدر على قوله بما فعله حجاج الخمينى الذين أحاط بهم « حراس النظام » لحمايتهم عند قبر السيدة فاطمة الزهراء فقد لوحظ أنهم أزاحوا التراب عن الجوانب ، وتعمقوا فى حفر القبر ، فلو كان التراب هدفهم الرئيسى لكانوا سيحرصون على جمع جميع ذراته . ولكنهم أرادوا الحصول على بقايا الجسد من عظام وغيرها .

وإذا كان الحجاج الإيرانيون ينبشون قبور أهل البيت بهدف الحصول على التربة ، أو الحصول على بقايا الأجساد الطاهرة ، فإنهم يتخذون موقفا مغايرا من قبور بعض الصحابة ، فينبشونها بغرض الإيذاء ، وإزالة المعالم وفى مقدمة هذه القبور المستهدفة قبر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك لصعوبة الوصول إلى قبرى الخليفتين الأول والثانى ، أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . حيث تحوى الروضة الشريفة فى المسجد النبوى الشريف رفاتهما إلى جانب الرسول ﷺ . ومع ذلك فهم لا يتورعون عن إيذائهما برمى القاذورات على الحاجز الخارجى للروضة .

وأوضح بعض الأدلاء أن أتباع الخمينى حاولوا الإساءة إلى قبر ذى النورين عثمان بن عفان ، ولا يستغرب هذا الموقف منهم إذا علمنا أن الخمينى يرمى أبا بكر وعمر وعثمان بالكفر والزندقة) .

وقد أوضح أحد الذين يقومون بحراسة الروضة الشريفة أن حجاج (خمينى) يقومون فى كل موسم حج بتكرار المحاولات نفسها من إثارة الفوضى حول المنطقة المحيطة بالروضة من الحرم النبوى ، ويحاولون الاقتراب من الحاجز الحديدى الذى يحيط بقبر النبى ﷺ وقبرى صاحبيه أبى بكر وعمر وذلك لتدنيسهما بما يحملونه معهم من القاذورات .

وقد سبق أن ذكرنا أنهم يفعلون الشيء نفسه مع الكعبة المشرفة ويلطخونها بالقاذورات الآدمية إمعانا فى الأذية ، وإظهارا للحقد والعداوة والبغضاء .

أما مسألة سب الصحابة رضوان الله عليهم وتكفيرهم ونسبة الزندقة والفسق إليهم فهى مسألة قديمة حديثة دائمة لأنها جزء من عقيدة القوم لا ينفكون عنها ولا يترددون فى إطلاقها ، بل يتقربون إلى الله بلعن الصحابة وتكفيرهم .

وهاهى كتب القوم ومراجعهم المعتمدة القديمة والحديثة تنضح بهذا ولا يخلو منها مرجع أو كتاب قديما أو حديثا .

وهاهو « الخمينى » ينهج نهج سلفه وأستاذه (إسماعيل الصفوى) الذى استقى منه ومن نظام دولته جميع أفكاره وعقائده وسياسته .

روى الكلينى (بخارى الشيعة) فى كتابه الكافى عن على رضى الله عنه قال فى قوله عز وجل ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم إزدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ﴾ قال : نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان . آمنوا بالنبى ﷺ فى أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبى ﷺ وآله : من كنت مولاه فعلى مولاه ، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ثم كفروا حين مضى رسول الله ﷺ وقال : « فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شىء »[1] .

وقد اخترع الخمينى وغيره من الآيات دعاء خبيثا ينضح بالشنآن ، والبذاءة والإسفاف ، ويفيض بسوء الأدب مع صاحبى رسول الله ؛ أبى بكر ، وعمر وابنتيهما الطهورتين ؛ عائشة ، وحفصة أسماه هو وشيعته بدعاء (صنمى قريش) .

هذا الدعاء الذى يتوارى الضلال حياء منه ، ويخنس الشيطان لعجزه أن يأتى بمثله ، هذا الدعاء الضال يتواصى الشيعة فيما بينهم على ترديده والإكثار من قراءته ، ويمنحون بركاتهم لكل من ردده . رووا ذلك فى صحيح أخبارهم وصادق أحاديثهم ، من ذلك ما رووه :

---

(١) الكافى فى الأصول ١/٤٢٠ طبعة إيران .

عن السجاد ، من قال : اللهم العن الجبت والطاغوت كل غداة مرة واحدة ، كتبت له سبعين ألف حسنة ، ومحى عنه سبعين ألف سيئة ... الخ .

وأما دعاء « صنمى قريش » الذى وقع على اعتماده روح الله الخمينى مع عدد من الآيات والأرواح فقد جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صل على محمد ، وآل محمد ، اللهم العن صنمى قريش وجبتهما . وطاغوتيهما ، وإفكيهما ، وابنتيهما ، اللذين خالفا أمرك . وأنكرا وحيك ، وجحدا إنعامك ، وعصيا رسولك ، وقلبا دينك ، وحرفا كتابك ، وأحبا أعداءك ، وجحدا آلاءك ، وعطلا أحكامك ، وأبطلا فرائضك ، وألحدا فى آياتك ، وعاديا أولياءك ، ووواليا أعداءك ، وخربا بلادك ، وأفسدا عبادك ،

اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ، ومحبيهما ، فقد خربا بيت النبوة ، وردما بابه ، ونقضا سقفه) .الخ .

وهذا الدعاء الكافر الفاجر طويل جدا (سأرفق صورته فى ملحق هذا الكتاب) .

وهذه عقيدة القوم قديما وحديثا ، فى سب ولعن وتكفير الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الثلاثة .

جاء فى (الروضة) للإمام الكلينى ص ١١٥ .

قال الإمام الباقر (إن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وهاهو « الخمينى » يعلن بصراحة لا تعرف (التقية) عن عقيدته فى صحابة رسول الله ﷺ فى أخطر كتبه جميعا وهو كتاب (كشف الأسرار) المكتوب بالفارسية ويقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة وتمت ترجمته إلى العربية ترجمة الدكتور أحمد الخطيب وهو منتشر فى كل مكان الآن .

يقول الخمينى تحت عنوان (مخالفة عمر لكتاب الله) ما نصه بالحرف الواحد : (وهذا الكلام يدل على أنه – أى الفاروق – قد أعلن صراحة عن

كفره وزندقته بمخالفته للقرآن الكريم)[1] .

ويقول فى حق الشيخين :

(يفهم من الأمثلة التى قدمناها عن مخالفة الشيخين – أبو بكر وعمر – أنما خالفا الأحكام القرآنية الصريحة علانية فى وجود المسلمين . وهذه المخالفة لم تكن بالنسبة لهما أمرا هاما أو غير عادى ، وفى ذلك الوقت كان أمام المسلمين – أى الصحابة – خياران : إما أن ينضموا إلى حزبيهما ويشتركوا معهما فى تحقيق هدفهما من أجل الحصول على السلطة ، ويتعاونوا معهما لتحقيق ذلك ، وإما أن يخرجوا عن حزبيهما ولا يكونوا معهما ، إلّا أنهم لم يجرؤا على الحديث ضد هذين المنافقين المتسلطين الظالمين اللذين ظلما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ)[2] .

وقال أيضا فى حق عمر رضى الله عنه (قام عمر بهدم باب بيت فاطمة فأفقدها بذلك طفلها الذى كان فى بطنها ، والذى سماه الرسول (محسن) .

وقال أيضا[3] (إن عمر آذى رسول الله فى آخر حياته ، فأثر ذلك على رسول الله ، وكان صدمة عجلت برحيله عن هذا العالم) .

وقال[4] (إن عمر أشعل النار فى بيت رسول الله) .

وقال بعد كل هذا بصراحة (إن هذا الإيذاء من جانب عمر إنما كان تعبيرا ظاهرا بالكفر والزندقة التى يبطنها عمر بداخله ، ويتضح من هنا أن عمر كان فى باطنه كافرا زنديقا)[5] .

وقال فى الشيخين[6] : (لم يؤمن الشيخان أبو بكر وعمر إيمانا نابعا من

---

(١) كشف الأسرار ص ١١١ .
(٢) كشف الأسرار ص ١١٧ .
(٣) كشف الأسرار ص ١١٩ .
(٤) المرجع السابق ص ١١١ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٢١ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

القلب ، بل قبلا الإسلام فى الظاهر فقط طمعا فى الحكم والسلطة . وقد التصقا بالرسول ﷺ) .

ثم قال أيضا فى حق عثمان رضى الله عنه وباقى الخلفاء[1] : (نحن نعبد إلهًا نؤمن به أقام كل شيء على العقل والحكمة ، وليس الإله هو الذى يقيم عباده عبادته وعدالته ودينه ، ثم يحاول بعد ذلك أن يهدمها ، فيرسل هؤلاء الظلمة يزيد ومعاوية وعثمان ، ليتولوا الإمارة والحكم) .

وقال فى حق عثمان أخيرا : (أنا لا أوافق الله على توليته الخلافة لعثمان)[2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) جريدة المسلمون العدد ١٤١ فى ٢٩ صفر ١٤٠٨ .

نظرة الصفويين إلى الحرمين الشريفين

يعتقد الصفويون كما يعتقد جميع الشيعة أن مكة المكرمة هى مقر تواجد صاحب الزمان (الإمام الغائب) (محمد بن الحسن العسكرى) الذى اختفى منذ سن طفولته وهو ابن الرابعة أو الخامسة فى سرداب فى سامراء منذ سنة ٢٦٥ هـ وقد مضى على غيبته أكثر من ألف سنة ، وما زال الشيعة يعتقدون بأنه حى يرزق ، وأنه إمام آخر الزمان ، وهو الحاكم الشرعى الوحيد للعالم كله ، وأنه سيظهر بالقرب من مكة ، وهم يتنبأون بخروجه ، وقرب التفريج عنه فى كل عصر .

فقد كان الصفويون يعتقدون بظهوره فى زمانهم ، كما يعتقد « الخمينى » وشيعته اليوم ، وأنه سيظهر بين الركن والمقام . وأنه ... ، فقد روت كتبهم عن شاهد عيان هو (دده محمد) الذى كان من أتباع حاجى بكتاش درويش القسطنطينية ثم صار بعد ذلك من أتباع الشاه إسماعيل الأول .. أن هذا الملك قد أخذ الأمر بالخروج لفتح البلاد وإقامة الدولة من صاحب الزمان فى بلاطه بالقرب من مكة ، وهناك جرت مراسم تتويج الشاه مذهبيا ، وتسلم من الإمام سيف الفتح والظفر[1] .

وهذا يفسر سر إصرار الشيعة قديما وحديثا على الاستيلاء على مكة المكرمة كما سبق أن بينا فى عرضنا التاريخى الموجز ، حيث بينا استمرار الصراع بين السنة والشيعة حول الحرمين الشريفين ، وما أريق فى سبيل ذلك من دماء ، وما أزهق من أرواح ، فهم يعتقدون أنه لابد من الاستيلاء على مكة المكرمة وتطهيرها من المشركين (يعنى السنة) ومن الكفرة والنواصب الذين غصبوا أهل البيت حقهم ، وبدون تطهير هذه البقعة من السنة فلن يظهر (إمامهم – إمام آخر

---

(١) عالم آراى صفوى ٤٧٨ وما بعدها .

الزمان) وهم يستندون فى ذلك إلى تأويلات خرافية لا أساس لها من الصحة ، فيقولون إن رسول الله ﷺ لم يحج ولم يدخل مكة قبل تطهيرها من رجس الشرك ودنس المشركين ، فما أدى فريضة الحج إلّا بعد أن منع المشركين من دخول المسجد الحرام والطواف بالبيت ، وإعلان البراءة منهم ، وقد تم ذلك بأمر من رسول الله ﷺ إلى الإمام على رضى الله عنه – وسنتحدث عن ذلك بشىء من التفصيل – فيما بعد إن شاء الله .

هذا من ناحية أخرى فإن الشيعة يعتقدون أنه لابد من الخطبة والدعاء لإمامهم على منبر الحرم المكى ، ولابد من مبايعته فى المسجد الحرام ، وكل هذه أمور تتعلق بالعقيدة ، ولا يجوز التهاون فيها ، أو التردد فى إعلانها ، والقتال من أجلها . حتى لو أدى الأمر إلى انتهاك حرمة المسجد الحرام ، وقتل الأرواح البريئة .

دلت الوثائق الصفوية على أن الصفويين لم يعطوا للبيت الحرام أى عناية أو اهتمام ولم يقدروه حق قدره ، بل استهانوا به واحتقروا شأنه . ومن ثم فقد استهانوا بفريضة الحج والعمرة ، واعتبروا زيارة قبر من قبور أئمتهم أفضل من ذلك بمئات المرات .

ظهر ذلك فى كتبهم ورسائلهم ووثائقهم التاريخية ، بالنصوص الفارسية من ذلك رسالة أرسلها الشاه إسماعيل الصفوى إلى (شيبك خان زعم الأوزبك) وحملها له شيخ زاده ، بين له فيها أن زيارة قبر إمام من أئمة الشيعة فى قبره تساوى سبعين حجة نافلة حيث يقول ما ترجمته :

(وعندما تنوى زيارة بيت الله الحرام التى هى من شعائر الإسلام ، فإنه يمكنك أن تدرك بهذه الوسيلة شرف زيارة ثامن الأئمة الهادين عليهم وعلى إمامهم الصلاة والتحية كما قيل فى الشعر : (إن طواف بابه يساوى سبعين حجة نافلة حسب قول الرسول المدنى)[1] .

---

(١) إسناد نامه هاوى تاريخى ، ص ٩٨ .

لقد وصل تعصب الشاه عباس الأول للمذهب الشيعى الاثنى عشرى وعدائه للمذهب السنى لدرجة أنه حاول إقناع الإيرانيين بالتخلى عن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج ، والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن على بن موسى الرضا فى مشهد[1] . ذلك لأن الواجب القومى يحتم عدم سفر الإيرانيين إلى مكة عبر أراضى الدولة العثمانية ، حتى لا يدفعوا لهذه الدولة المعادية رسم عبور ولكى يرغبهم الشاه فى التوجه إلى مشهد ، كان يكثر من التردد عليها وزيارة قبر الإمام الثامن لها كما كان سيره على الأقدام من أصفهان إلى مشهد مسافة ١٣٣٣ كم كان وسيلة من وسائل ترغيبهم فى تقليده والحج إلى ذلك المزار المشهدى ، بدلا من التوجه إلى الكعبة المشرفة) .

وقد ذهب خلفه الشاه عباس الأول الصفوى إلى أبعد من ذلك وغلا غلوا عظيما عندما أعلن تعصبه وتطرفه ضد المسلمين (السنة) واعتبرهم خبثاء لاحج لهم ، وإن حجوا فحجهم باطل .

فقد أعلن صراحة (بدون تقية) : أن الحق فى الحج للشيعة وحدهم وأن أهل السنة حجهم باطل باعتبار أن الشيعة أنقى نفسا من أهل السنة حيث جاء فى رسالة للشاه عباس الأول الصفوى أرسلها إلى الشيخ سعد الدين مستشار السلطان مراد الثالث العثمانى ما ترجمته :

(إن زيارة بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة تستلزم خلوص النية وتزكية النفس والحذر من الحرص والشره والميول الشيطانية ، وبناء على ذلك فإن عقيدة الأشخاص الذين لا يهتمون بتهذيب الأرواح وصفاء الضمير والباطن تكون ضعيفة وغير ثابتة ولا يصح لهم حج)[2] .

وإمعانا فى تطبيق المبادئ والعقائد ، واستهانة من الصفويين بالحرمين الشريفين وفريضة الحج وأداء المناسك والشعائر فيهما ، فقد حول الشاه عباس

---

(1) History Of Persia Vol 11 - P . 181 -

نقلا عن كتاب (الشاه عباس الكبير ص ١٠١ وما بعدها) . طبعة دار النهضة العربية الحديثة ، بيروت ، سنة ١٩٨٠ م .

(٢)إسناد نامه هاى تاريخى ، ص ٢٨٨ – ٢٩١ .

الصفوى صرف الناس عن الحج إلى مكة بأن حج حافيا مشيا على الأقدام من مدينة أصفهان إلى مدينة « مشهد » مسافة ١٣٣٣ كم لزيارة ضريح الإمام الرضا فى مشهد ، حتى يقتدى به جماعته وينصرفوا عن الذهاب إلى مكة .

وقد بدأ الرحلة يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الأولى ١٠١٠ هـ ، ووصل إلى مشهد فى الرابع عشر من جمادى الآخرة من نفس العام ، وقضى ثلاثة أشهر يقوم بالخدمة[1] للقبر .

ويبدو هذا واضحا من تصرفات الشاه عباس الصفوى إزاء قوافل الحجاج القادمة من آسيا عبر إيران والعراق ، فقد كان يشجع القبائل الموالية له على قطع الطريق وسلب أموال الحجاج والاعتداء على أرواحهم وأعراضهم .

وكل ذلك واضح جلى مثبت فى الوثائق الفارسية للدولة الصفوية .

ونكتفى بعرض نموذج واحد من الرسائل المتبادلة بين السلاطين العثمانيين والشاه عباس بهذا الشأن ، فقد كتب زعيم الأوزبك ، عبد المؤمن سلطان إلى الشاه عباس الأول الصفوى ما ترجمته :

(إن جماعة التركمان الذين هم إستراباد وتلك النواحى أمثال كريالى وغيرها كلهم من قطاع الطرق وناقضى العهد وأساس الفتنة والفساد وقد فروا بمجرد سماعهم نبأ قدوم جيوشنا المنصورة لتأديبهم ، وبالضرورة سيلجأون إليكم للمحافظة على مالهم وعيالهم ، ولما كان التجار والزوار يتخذون تلك الطرق للتشرف بزيارة الكعبة زادها الله شرفا ، فمن الضرورى اتخاذ التدابير المرضية حتى يأمن قاصدو الحرم المحترمون والتجار ، ومنها القضاء على جماعة قطاع الطرق وأولئك الأشرار من الناس الذين

---

(١) انظر كتاب (الشاه عباس الكبير) د . بديع جمعة ص ٩٦ ، حيث يقول : ويعلق رضا قليخان هدايت على هذه الرحلة بقوله : (يدرك علماء التاريخ أنه لا يوجد حاكم سلك مثل هذا الطريق الذى سلكه الشاه عباس ، وإذا كان هرقل قد سار من القسطنطينية إلى بيت المقدس ، فقد فرشوا له أرض الطريق بالورود والرياحين ، فى حين سلك الشاه عباس الطريق على الحصى والرمال دون أن يعبد أو يمهد ، وقد آثر أن يسير حافى القدمين) انظر ملحقات تاريخ روضة الصفا ٣٣١/٨ .

هم سبب الشر وأساس الفساد وباعث الخراب فى البلاد)[1] .

وقد رد الشاه عباس الأول على رسالة عبد المؤمن سلطان برسالة تدل على استهانته بأرواح حجاج بيت الله ، وتأييده لقطاع الطريق الذين يصدونهم عن أداء فريضتهم فى أثناء مرورهم بالأراضى الإيرانية . جاء رد عباس على عبد المؤمن سلطان ما ترجمته :

(أما فيما يتعلق بفساد تركان إستراباد وكرايلى الذى أشرتم إليه وضرورة القضاء عليهم من أجل راحة وأمن حجاج بيت الله الحرام ، فلا يخفى عليكم أنهم من جملة المنسوبين إلينا والملازمين لبلاطنا ، وعندما يتعرض هؤلاء للقتل والضرر فإنه من الضرورى لهم أن يدفعوا عن أنفسهم الشر والضر ومعظم هذه الأمور من إصلاح البين)[2] .

وفحوى الرد الصفوى ينم عن سوء الأدب ، وخبث النية ، والاستهانة بحجاج بيت الله ، وتشجيعه لقطاع الطرق الذين يعتدون على أموال ودماء وأعراض الحجاج ، ووقوفه إلى جانبهم لحمايتهم والذود عنهم إذا تعرضوا لمن يؤدبهم .

وإذا كان الاعتداء بالقول أو بالفعل على حجاج بيت الله أمرًا يدل على مدى استهانة الصفويين بالحرم وقداسته وحقوق حجاجه وعماره ، فإن هذا النوع من العدوان لا يمثل شيئا يذكر أمام التخريب الذى ألحقوه بفريضة الحج ذاتها من تغيير جذرى لمفهوم الحج ، أدى فى النهاية إلى تشويه صورة الحج وإخراجه تماما من إطاره الإسلامى إلى مهزلة لا تمت للحج الصحيح بأية صلة فقد أحدثوا بدعا شيعية خاصة لا تتفق مع حقيقة الحج ولا روح الإسلام ، وأيدوا بدعهم بنصوص تعتمد على مصادرهم الشيعية وتأويلاتهم الباطنية التى تحقق لهم رغباتهم وأهدافهم فى تخريب هذه الفريضة (الحج) .

وسنعرض هنا لأهم التغييرات والبدع التى استحدثها الصفويون لإلغاء مفهوم الحج وإخراجه عن صورته الحقيقية .

---

(١) نقاوة الآثار ، ص ٤١٦ ، محمود بن هدايت الله ، طبع طهران سنة ١٣٥٠ هـ . ش .

(٢) المرجع السابق .

أ - إعلان البراءة من المشركين :

قرر علماء الشيعة الصفويون أن من شروط الحج إعلان البراءة من المشركين ، وأن هذه البراءة ينبغى أن تعلن من خلال مسيرات وهتافات اقتداء بعمل الإمام على بن أبى طالب وابنه الحسين ، حيث تؤكد المصادر الشيعية أن الإمام الحسين هو أول من أقام مسيرات الحج للدعوة إلى عدم بيعة يزيد بن معاوية والبراءة من أنصار يزيد(١) .

وأن الذى وضع هذه الفكرة وأصل أصولها وقعد قواعدها وفرع فروعها هو أحد كبار علماء الدولة الصفوية وهو (محمد باقر المجلسى) شيخ الإسلام والمسلمين فى عهد الملكين الصفويين سليمان وسلطان حسين .

والشيخ المجلسى هو مؤلف الموسوعة المذهبية الضخمة الشهيرة تحت عنوان (بحار الأنوار) . وكتب الكثير من الرسائل الذائعة الصيت حول الفكر الشيعى فى مختلف المسائل الدينية والدنيوية .

وقد عمل المجلسى على أن يكون لرجال الدين الشيعى الصدارة فى الحكم والإدارة وأن يكونوا وحدهم المتصرفين فى شئون السياسة والحكم والإدارة وفقا لأصول المذهب الشيعى الذى يعطى للعلماء والفقهاء الشيعة تلك المكانة الخاصة .

ومن هنا فقد ركز رجال الدين فى العهد الصفوى على إعطاء (الحج) مفهوما سياسيا وبعدا شيعيا . جديدا لا يمت للحج بأية صلة ، بل اعتبروا هذا الحج بلاهة وسذاجة وغباء لأنه لا يحقق الغرض من الحج ومشروعيته - حسب زعمهم - .

ويقول الشيخ بهاء الدين العاملى شيخ الإسلام فى عهد الشاه عباس الأول الصفوى فى رباعيته يغمز فيها أهل السنة العثمانيين البلهاء :

حاجى بطواف كعبة اندرتك وبوست
وسعى وطواف هرجه كرادست نكوست
تقصير وى آنست له أورد ذكرى
قربان سازديجاى خود دررة دوست(٢)

---

(١) رسالت / محمود حقيقى ١٧ شهريور سنة ١٣٦٦ هـ . ش .

(٢) ديوان بهائى ص ١٢٥ طبع رجبى بطهران . نقلا عن بحث الدكتور /محمد السعيد عبد المؤمن (الاعتداءات الصفوية على الحرم المكى) ، ومعظم النصوص الصفوية التى أوردتها فى هذا البحث معتمدة على هذا البحث .

وترجمتها :

(إن الحاج منهمك فى طواف الكعبة وإن كل ما فعله من سعى وطواف هو عمل طيب . ولكن تقصيره فى أنه أحضر غيره ليذبحه فى سبيل الحب بدلا منه) .

ولا نستطيع المضى قدما مع التغيير الصفوى للحج وإعطائه أبعادا سياسية شيعية خاصة . والذى يعنينا فى هذا المقام أن نوضح أصل فكرة البراءة من المشركين من خلال المسيرات والهتافات ، نشأت فى العهد الصفوى ، وصممها ووضع أصولها (محمد باقر المجلسى) وهو الذى أعجب به (الخمينى) إعجابا ملك عليه حسه ونفسه حتى اعتبره أستاذه ومرشده وموجهه فى كل أعماله وأفكاره ومنطلقه الفكرى ، فبعد أن نجح الخمينى فى القضاء على الملكية تابع خطوات (المجلسى) خطوة خطوة ابتداء من وضع السلطة الفعلية فى يد رجال الدين الشيعى وانتهاء بتنظيم المسيرات والهتافات فى الحج وإعلان البراءة من المشركين .

وهذا شأن الخمينى فى جميع المعتقدات الشيعية الإمامية ، فهو مجدد شيعى متطرف اعتمد الغلو والتعصب أساسا لفكره ومنهجا لحياته ، فالمتتبع لآرائه ومعتقداته يجد أنها ترجع إلى الأصل الشيعى الإمام يأخذها ويبالغ فيها ويظل يغلو ويغلو حتى يصل بها إلى أعلى درجات الغلو والتطرف .

فقد أقام دولته وثورته كلها على أساس فكرة (ولاية الفقيه) . تلك الفكرة التى ظن كثير من الناس أنها جديدة وأنها من مخترعات الخمينى ، وفى حقيقة الأمر أنه لم يأت بجديد غير المبالغة والغلو والتطرف ، فالفكرة بتمامها مأخوذة من أستاذه / محمد كاشف الغطاء الذى منحه لقبه الدينى .

كما أن فكرة إعلان البراءة من المشركين وتنظيم المسيرات والهتافات هى من أفكار (محمد باقر المجلسى) وعلماء الشيعة فى العهد الصفوى ، ولكن الخمينى طورها وبالغ فيها حتى جعل من الحج وجميع المناسبات الدينية الشيعية فرصة لتصدير فكره وإذاعة معتقداته والدعاية لنفسه ، فصلاة الجمعة والأعياد وعاشوراء

وغيرها أصبحت مناسبات سياسية مهمة ينتظرها الخمينى ورجال دولته لإعلان مفاهيمهم السياسية التى يودون إذاعتها فى الناس ليكون لها القبول ، خاصة وأن العاطفة الدينية تكون متأججة فى هذه المناسبات فيسهل قبول تلك الأفكار ، ومما يساعد على ذلك تفشى الجهل والأمية فى السواد الأعظم من المسلمين (سنة وشيعة) فلا يجرؤ أحد على مناقشة هذه القضايا الدينية والمذهبية لاسيما وأنها صادرة من كبار رجال الدين الذين وصلوا إلى مرتبة (المرجعية) والنيابة عن الإمام الغائب ، فهؤلاء لا يسألون عما يفعلون ، ولا يراجعون ، والرد عليهم كالرد على الله – حسب المعتقد الشيعى .

أعود إلى القول : إن الخمينى أكد من خلال دستور جمهوريته الإيرانية على أن يكون المذهب الشيعى الاثنا عشرى مذهبا رسميا للدولة ودينا لها على الدوام لا يجوز تغييره أو تبديله إحياء للفكر الصفوى بكل أبعاده واتجاهاته ومنطقه ، فقد عرفنا أن الخمينى حذا حذو الدولة الصفوية فى إعلانها عن مذهبها الرسمى (الاثنى عشرى) دينا للدولة ، وضمنه دستوره الدائم .

وها هو يحذو حذوها فى إعطاء الحج مفهوما سياسيا يخرجه عن حقيقته الإسلامية ، وما شرع من أجله ، حيث يرى الخمينى : أن الحج معناه الهجرة إلى الله ورسوله وهو الحج الإبراهيمى المحمدى الذى ظل معناه غريبا مهجورا لسنوات من النواحى المعنوية أو السياسية أو الاجتماعية ، وأن على جميع الحجاج المسلمين أن يخرجوا بيت الله من غربته عن طريق إقامة المؤتمر السياسى والاجتماع لمنافع الناس والقيام بالقسط والاستمرار فى تحطيم الأصنام .

ولذلك فإن ترديد البراءة أمر واجب فى الحج ولمس الحجر الأسود بيعة الله ، كما أن السعى بين الصفا والمروة هو سعى للقاء الحبيب وقطع العلائق الدنيوية ، وبذلك صارت الكعبة رمزا لمركز الثورة وتعبئة الجماهير المسلمة معنويا ، وصارت الصفا والمروة تجسيدا للحركة الإسلامية الدائبة فى مساعدة المظلومين ، وصار رجم مواقع الشيطان رجما للقوى الاستكبارية العظمى فى العالم[1] .

---

(١) رسالة الخمينى إلى الحجاج أول ذى القعدة ١٤٠٦ نقلا عن صحيفة اطلاعات رقم ١٧٩٥١ بتاريخ ١٩٨٦/٨/٧ .

ويؤكد « الخمينى » فى رسالته للحجاج كل عام على ضرورة الهتاف بالبراءة من المشركين والظالمين فى كل وقت ومكان ، وأن يكون الحجاج الإيرانيون دعاة حق ومبلغى إسلام قولا وعملا عن طريق ترديد الهتافات والقيام بالمسيرات وعدم شراء السلع المعروضة فى الحجاز لأنها من أمريكا وأعداء الإسلام ، ومؤكدًا على أن إعلان البراءة من المشركين هو الخطوة الأولى لتحقيق أهداف الدين .

كما يؤكد زعماء النظام أن أيديولوجية النظام نبعت من اعتبار الإنسان الموحد هو الشخص الذى يهاجر من سوى الله إلى الله . وأن الخطوة الأولى فى هذه الهجرة هو إعلان البراءة من المشركين والمنافقين وجميع الكفار والمستكبرين ، لذلك كان إعلان البراءة من أركان التوحيد ومن الواجبات السياسية للحج ويكون هذا الإعلان هو المرحلة الأولى للكفاح ضد الظالمين .

ومن هنا نلحظ الفارق الكبير فى مفهوم الحج التقليدى (الإسلامى الصحيح) وبين مفهوم الحج الصفوى الخمينى السياسى .

فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين – وتحرص – على التأكيد على الحج الصحيح ، وأن يكون الحج مناسبة للعبادة والتقرب إلى الله ، بأداء أركان الحج وشروطه المعتبرة شرعا دون زيادة أو نقصان ، ودون بدع ومخترعات صفوية أو خمينية ، فالحج عبادة خالصة لله ، ولا مكان فيها لغير الله ، ولا يجوز أن يذكر فيها اسم مع اسمه ، أو وصف مع وصفه سبحانه .

فمنذ أن فرض الله تعالى الحج لم يرفع – خلال مواسم الحج – شعار سوى شعار (الله أكبر) ولم يذكر إلّا (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) إلّا أنه منذ سنة ١٤٠٠ هـ ، بدأت ظاهرة الحج الإيرانى الخمينى ، حيث جاء الحجاج الإيرانيون بأعداد تزداد عاما بعد عام – كما بينا – حتى وصل تعدادهم حوالى ١٧٠٫٠٠٠ ألف حاج ، جاءوا الأراضى المقدسة لتطبيق الحج الخمينى الصفوى حاملين صورا لحكام طهران ، والآيات والأرواح من نعرف ومن لا نعرف . جاءوا يرددون النداءات والهتافات ، ويصنعون الملصقات على الجدران والسيارات وفى كل مكان .

جاءوا بشعار (لبيك يا خمينى) بدل (لبيك اللهم لبيك) !

جاءوا يحملون « المتفجرات » بكميات تكفى للقضاء على معظم المسلمين فى الحج .

جاءوا يحملون معهم (مفاتيح الجنة) ، وأن يخلعوا ملابس الإحرام ويتوضأوا بدم المسلمين السنة ، ولهم فى مقابل ذلك جنات « الخمينى » !

ولما وصلت التجاوزات الخمينية الإيرانية ، والمظاهرات الغوغائية ، ورفع الصور والشعارات حدا لا يمكن الصبر عليه ، بعث الملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – برقية إلى الخمينى بتاريخ ١٤٠١/١٢/١٢ هـ الموافق ١٩٨١/١٠/١٠ م يقول فيها إن هذه التظاهرات السياسية تتنافى ومكانة الشعب الإيرانى ويطلب من الخمينى أن يقتصر نشاط الحجاج الإيرانيين على أداء مناسك الحج فقط .

فرد الخمينى ردا قبيحا يكشف عن سوء نيته ، ورغبته فى تحويل الحج من معناه الحقيقى الذى شرعه الله من أجله إلى حج سياسى لتصدير أفكاره وثورته ، وكسب ولاء الشعوب الإسلامية لكى يأخذ الحجاج البيعة له فى الحرمين الشريفين كإمام للمسلمين أجمعين نيابة عن الإمام الغائب !

وهنا نثبت رده بالنص الحرفى فى برقيته للملك خالد يرحمه الله ، جاء فيها ما يلى :

(حضرة الملك خالد بن عبد العزيز ملك العربية السعودية) .

لقد تلقينا رسالتكم ... إن ما ذكرته سفارة الجمهورية الإسلامية هو الصحيح فأنا أرى أن جميع مشاكل ومصائب المسلمين وحكومات الأقطار الإسلامية هى فى اختلافهم والنفاق الموجود بينهم .

وإن الأقطار الإسلامية بسكانها الذى يبلغ مليار نسمة ، وهى تملك ثروات كبيرة تحت الأرض ، وعلى نحو خاص بحار النفط التى تشكل الشريان الأصلى للقوى العظمى . وقد حباها الله بأحكام القرآن الكريم ، والتعليمات العبادية والسياسية للنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم التى تحث المسلمين على

الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة ، والتمزق ، ولها ملاذها وملجؤها فى الحرمين الشريفين ، اللذين كانا فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم ، مركزين للعبادة والسياسة الإسلامية ، وبقيا كذلك فترة طويلة بعد وفاة النبى الأكرم ، وكان يتم التخطيط للفتوحات والسياسات من هذين المركزين السياسى والعبادى(...)

فلماذا يجب أن تجرى الأمور فى صدد الأغراض والدعايات الواسعة للقوى الكبرى إلى اعتبار المشاركة فى الشئون السياسية والاجتماعية التى تعتبر من أهم شئون المسلمين داخل الحرمين الشريفين جريمة ، الأمر الذى دفع بالبوليس السعودى إلى دخول المسجد الحرام ، المكان الآمن للجميع ، وحتى للمنحرفين طبقا لأحكام البارى تعالى وما جاء فى كتابه الكريم ، ومهاجمة المسلمين بالأحذية والسلاح وضربهم وسوقهم إلى السجون ؟

فهل أن جريمة هؤلاء أنهم هتفوا ضد أمريكا وإسرائيل عدوتى الله ورسوله ، فأنا لا أعلم إن كانت تصلكم تقارير صحيحة عما يجرى من مسائل وأمور فى بلادكم والحرمين الشريفين أو أنهم حرفوا وشوهوا شعارات الإيرانيين التى كانوا يهتفون بها ، وهى مشهورة فى كل مكان ، ورفعوا تقارير مشوهة بها إليكم .

وأنا لا أعلم ما هو استنتاج (...) أئمة الجماعة للحرمين الشريفين من الإسلام وكذلك من حج بيت الله الحرام المسئول كله بالسياسة (...)

فأين هذه الآثار الشيعية الإمامية وأين منها الخمينى فى ادعاءاته أن مسيراته لها أصل شرعى ؟

وماذا يقول فى قول أبى عبد الله عليه السلام (سبق ذكره) : إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيرا وقلة الكلام إلّا بخير ، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلّا من خير ..) .

أيعتبر التهريج والغوغائية ورفع صوره وإلصاقها على الجدران والحيطان من الخير ؟ .

أيعتبر سفك الدم الحرام فى الشهر الحرام وأن يتوضأ شيعته بدماء إخوانهم السنة من الخير ؟

أيعتبر ترديد هتافات (لبيك ياخمينى) من الخير ؟

ومن هم المشركون الذين يعلن الخمينى وحجاجه البراءة منهم ؟ هل يحج المشركون ويدخلون مكة والمدينة ؟

هل يوجد يهود وأمريكان ووثنيون فى الحرمين الشريفين حتى يعلن الخمينى البراءة منهم ؟

لقد أعلنت البراءة من المشركين فى السنة التاسعة من الهجرة بعد نزول آيات سورة (براءة) التى يقول الله تعالى فيها : ﴿ براءة من الله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ الآية ، وقد عهد رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآيات للإمام على رضى الله عنه بإبلاغها للناس فى موسم الحج ، وكان أبو بكر رضى الله عنه قد سبقه إلى الحج أميرا عليه فألحقه رسول الله ﷺ به لنزول الآيات بعد سفره بقافلة الحج من المدينة . فركب الإمام على رضى الله عنه ناقة رسول الله حتى وصل إلى منى وخطب الناس عند جمرة العقبة وغيرها من المواضع حيث يتجمع الحجاج مسلمهم ومشركهم لأن الناس جميعا كانوا يحجون (سواء أكانوا مسلمين أم مشركين) .

فكان ينادى بكلمات أمره رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمناداة بها : فيقول (أيها الناس إنى رسول رسول الله إليكم بألا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى مدته ، ومن لا عهد له فله أربعة أشهر وتلا عليهم ثلاث عشرة آية من سورة براءة)[1] .

وكان بداية لاتباع الناس للقسط والعدل وإزالة المظالم وأعمال النهب وهى السياسة العامة للأنبياء العظام وخاصة لسيدنا خاتم النبيين صلوات الله عليه وآله .

وماذا فهم أئمة الحرمين من كل ذلك حتى يمنعوا حجاج الحرمين الشريفين وباسم الإسلام من التدخل فى السياسة والهتاف ضد إسرائيل وأمريكا (...) وهذا المنع مخالف لسيرة النبى العظيم صلوات الله عليه وآله ، والمسلمون (كذا)

---

(١) مجمع البيان فى علوم القرآن للطبرى ٨/٥ وهذا تفسير شيعى تعمدنا أخذ النص منه .

فى صدر الإسلام .

لو أن حكومة الحجاز (كذا) قد استفادت من فريضة الحج العبادية والسياسية باشتراك الملايين من المسلمين لما كانت تحتاج إلى أمريكا ، وطائرات (أواكسها) وسائر القوى الكبرى ، ولكن يمكن حل مشاكل المسلمين) .

نعود الآن إلى توضيح ما يدعيه الخمينى من كل قضية من هذه القضايا .

أولا : قضية البراءة من المشركين :

لو عدنا إلى قصة « البراءة » من المشركين فى كتب السنة والشيعة على السواء التى يقول الصفويون والخمينيون أن لها أصلا شرعيا ، فإننا لن نجد أية إشارة إلى هذه البراءة من الذكر الذى أوجبه الله فى مناسك الحج حتى اعتبر الخمينى أن منع الهتافات بالبراءة مخالف لسيرة النبى ﷺ ، والصدر الإسلامى الأول ، واعتبر الحرمين الشريفين مركزين للعبادة والسياسة زمن النبىّ ﷺ ، واعتبر الهتافات السياسية ضد أمريكا وإسرائيل داخل الحرمين الشريفين من أهم شئون المسلمين ؟

وهل لهذه الهتافات والغوغائية والاعتداءات والتجاوزات أصل فى الشريعة الإسلامية ؟

لقد استعرضنا النصوص فى حرمة الحرمين الشريفين ، ووجدنا تهديدا شديدا لمن يحدث فى الحرمين أى حدث مهما كان حتى مجرد النية السيئة .

ولقد رجعت إلى كتب الشيعة الإمامية لعلى أجد فيها نصا أو إشارة لهذه البدعة « الخمينية الصفوية » فلم أجد شيئا ، بل وجدت عكس ذلك ، إلّا إذا كانوا يكتبون شيئا ، ويضمرون شيئا آخر ، يسرونه فيما بينهم على مبدأ (التقية) وهى أساس عقيدتهم ومذهبهم .

لقد تضافرت النصوص والآثار على أن الحرمين الشريفين محل سكينة ووقار وذكر لله سبحانه وحده ، وتعظيم لشأنه ، وتلاوة لكتابه ، وصلاة وسلام على رسوله ﷺ فى تواضع وأدب .

وهل نسينا قول الله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ وماذا يقول المفسرون الشيعة والأئمة من آل البيت فى كل هذا ؟

وهنا يحسن أن نورد طائفة من فقه الشيعة الإمامية فى آداب دخول الحرمين الشريفين .

جاء فى « فروع الكافى » عن أبان بن تغلب قال : كنت مع أبى عبد الله عليه السلام مزاملة بين مكة والمدينة ، فلما انتهى إلى الحرم ، نزل واغتسل وأخذ نعليه بيديه ثم دخل الحرم حافيا ، فصنعت مثل ما صنع ، فقال يا أبان من صنع مثل ما رأيتنى تواضعا لله ، محا الله عنه مائة ألف سيئة وكتب له مائة ألف حسنة ، وبنى الله عز وجل له مائة ألف درجة ، وقضى له مائة ألف حاجة .

وفى المرجع ذاته عن معاوية بن عمار عن أبى عبد الله – عليه السلام – قال : (إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافيا على السكينة والوقار والخشوع) . وقال : ومن دخله بخشوع غفر الله له – إن شاء الله – قلت : وما الخشوع ؟ قال : السكينة لا تدخله بتكبر ، فإذا انتهيت إلى باب المسجد فقم وقل : (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) .

وفى المناقب أن زين العابدين عليه السلام – رأى الحسن البصرى عند الحجر يقص فكان مما قال له : أفللّه معاذ غير البيت ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن الطواف ، ثم مضى . قال الحسن البصرى : مادخل مسامعى مثل هذه الكلمات من أحد ، أتعرفون هذا الرجل ؟ قالوا : هذا زين العابدين فقال الحسن : ذرية بعضها من بعض .

وفى فروع الكافى عن معاوية بن عمار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ قال : كل ظلم إلحاد وضرب الخادم فى غير ذنب إلحاد .

وفى المصدر ذاته عن معاوية بن عمار : سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن رجل قتل رجلا فى الحل ثم دخل الحرم ؟ فقال : لا يقتل ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد ، قلت : فما نقول فى رجل قتل فى الحرم أو سرق قال : يقام عليه الحد فى الحرم صاغرا إنه لم يرد للحرم

حرمة . وقال الله تعالى : ﴿ فلا عدوان إلّا على الظالمين ﴾ وقال : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

وفى الخصال عن على عليه السلام فى حديث الأربعمائة قال : لا تخرجوا بالسيوف إلى الحرم ولا يصلين أحدكم وبين يديه سيف فإن القبلة أمن .

وفى تفسير مجمع البيان للطبرسي[1] : لقوله ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ يذكر جميع الروايات التى وردت فى كتب السنة . فيقول : الإلحاد : العدول عن القصد واختلف فى معناه ، فقيل : هو الشرك وعبادة غير الله قاله قتادة . فكأنه قال : ومن يرد فيه ميلا عن الحق بأن يعبد غير الله ظلما وعدوانا ، وقيل هو : استحلال الحرام والركوب للآثام (عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد) ، وقيل : هو كل شيء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم ، وقيل : هو دخول مكة بغير إحرام (عن عطاء) .

وجاء فى الفروع قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيرا وقلة الكلام إلّا بخير ، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلّا من خير ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فمن فرض فيهنّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ .

وفى تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ . أن المعنى المراد : إذا قضيتم ما وجب عليكم من أفعال الحج فاذكروا الله . واختلف فى الذكر على قولين :

أحدهما : أن المراد به : التكبير المختص بأيام منى ، لأنه الذكر المرغب فيه المندوب إليه فى هذه الأيام .

والآخر : أن المراد به سائر الأدعية فى تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل من غيرها .

---

(١) مجمع البيان ٢/٧٢ ، ٧٣ .

﴿ كذكركم آباءكم ﴾ معناه : ما روى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام – أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج – يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأياديهم الجسيمة ، فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه ، فكان ذكرهم آباءهم فى هذه المواضع .

﴿ أو أشد ذكرا ﴾ أو يزيد على ذلك بأن يذكروا نعم الله ويعدوا آلاءه ويشكروا نعماءه ، لا آباءهم – وإن كان لهم عليهم أياد ونعم – فنعم الله عليهم أعظم وأياديه أفخم ، ولأنه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم .

وقد وردت فى كتب الشيعة الإمامية العديد من النصوص والآثار الصحيحة فى تحريم حرم المدينة ، قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » أى توبة ولا فدية .

كما وردت العديد من الآثار فى الترغيب فى زيارة المدينة وفضلها وحرمتها ، فيرجع إليها لزيادة الفائدة .. ولم نجد أثرا واحدا ولا حتى مجرد الإشارة لبدعة الخمينى ومن سبقه من الصفويين فى هذه البراءة والمسيرات والهتافات .

جاء فى تفسير العياشى عن أبان بن تغلب قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ قال : جعلها اللهلدينهم ومعاشهم .

ففى الحج وحدة المسلمين وتعارفهم وتشاورهم وتعاونهم على البر والتقوى ، وتناصحهم فى أمور الدين والدنيا ، إنه وفادة إلى الله عز وجل مستغفرا مما كان مستقبلا لما يكون .

وهذه الآثار قليل من كثير فى مناسك الحج وشعائره ، وفى حرمة الحرمين الشريفين ، ليست فيها أية شعارات ولا هتافات ولا نداءات ولا صور ولا ملصقات ليس فيها إلّا ذكر الله وشكره ، واستغفاره والإنابة إليه ﴿ كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ .

ولذا فقد قال الإمام الأكبر شيخ الأزهر : (إن رفع أية شعارات ، أو المناداة

باسم أى شخص .. أو القيام بالمسيرات إنما هو صد عن سبيل الله وعن شعائر الحج التى فرضها الله ..) .

وهذا النص متفق عليه بين علماء المذاهب الإسلامية جميعا لأنه مضمون نص الآيات القرآنية الواردة فى شأن عهود المشركين من الآية الأولى من سورة براءة إلى الآية الثامنة والعشرين من نفس السورة .

وواضح أن هذا البلاغ الذى أذاعه الإمام على رضى الله عنه وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وأبو هريرة رضى الله عنه وغيرهم ليس من مناسك الحج ولا من شعائره ، ولم يقل أحد من علماء السنة ولا الشيعة أنه من شروط الحج .

فهل بعد هذا يجوز أن يحتج الخمينى بهذه البراءة وأن يقيم المسيرات والهتافات والنداءات ؟

ولكنه التأويل الصفوى الخمينى الفاسد البعيد عن معانى القرآن ، فادعى الخمينى فكرة البراءة من المستكبرين والظالمين ، والهتاف بذلك فى مظاهرات صاخبة ، تفسد كل معانى الحج ، وتذهب بحرمة الحرمين الشريفين ، مدعيا أنه بذلك يقتدى برسول الله ﷺ ، ويتمسح بهذا التأويل الفاسد لكسب ولاء البلهاء والسذج والعوام الذى لا علم لهم ولا دراية .

وحجة الخمينى هذه كحجج الشياطين المفسدين فى الأرض ،لما كانت براءة الله ورسوله من المشركين فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة إلّا مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل الله ، ولخلوص الجزيرة العربية من الشرك والمشركين لتكون القاعدة الصلبة النقية الطاهرة من أى دين غير دين الله ، دين الوحدانية ، فهو خطوة فى تنظيم الدولة الإسلامية الجديدة القائمة حينئذ بالمدينة المنورة ، وبسط سلطانها على الحرمين الشريفين ، بعد تطهيرهما من رجس ودنس المشركين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة رجالا ونساء .

ولذا جاء البلاغ والإعلان العام يوم الحج الأكبر للناس كافة مسلمهم ومشركهم (فلا يحجن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان) ، وبالتالى لا يرتفع أى اسم غير اسم الله ، ولا يذكر أحد بأى اسم أو وصف غير (لبيك اللهم

لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) ولا يتردد صوت فى أرض الحرمين إلّا بكلمة التوحيد الخالص .

والأمر لم يزد على هذا ، ومن شاء التأكد فليراجع كتب التفسير عند السنة والشيعة على حد سواء ،ومن أراد التفصيل فليراجع كتابنا العلاقات الدولية فى الإسلام على ضوء الإعجاز البيانى لسورة التوبة .

فالأمر لم يعدُ أن يكون مجرد آيات نزلت من القرآن الكريم لتحديد العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين ، ولم تكن مظاهرة ولا مسيرة ولم يهتف بهذا البلاغ غير أبى بكر وعلى وأبى هريرة رضى الله عنهم ، ولم يكن هناك اختراق لآداب الحج ، وتعديا على حرمة الأماكن المقدسة ، ولا حتى مجرد الاقتراب من البيت الحرام ،ولم يسمع الناس غير (لبيك اللهم لبيك) فأين هذا من هتافات حجاج خمينى ومظاهراتهم الصاخبة المرهبة المرعبة التى تملأ جنبات الحرمين الشريفين عجيجا وضجيجا بمكبرات الصوت ، والمتظاهرون يسيرون بطريقة جنونية كالسيل العرم لا يبقى على شيء مر عليه ، ولا تصل أيديهم إلى شيء إلّا دمروه وأحرقوه ، وعبثوا به حتى ولو كان الحرم الشريف .

ويعلل الخطيب البغدادى[1] من قديم اعتداءات الشيعة القدماء على الحرم الشريف بأن الغرض منها تدعيم الفكرة الشيعية الباطنية المجوسية من إبطال الحج وهدم الكعبة .

وصدق البغدادى فى معرفة هدف الشيعة من إبطال الحج ، وهدم الكعبة — وقد ذكرنا — ذلك فى الوثائق التاريخية لأهداف الاعتداءات الخمينية على الحرم الشريف فى حج عام ١٤٠٧ هـ .

وإذا كان الخمينى قد علل ما يقوم به حجاجه وحرسه الثورى فى الحرمين بأنه لإعلان البراءة من المشركين ، فإنه يقصد بذلك التبرى من المسلمين السنة لأنه

---

(١) انظر كتاب (نشأة الفكر الفلسفى ٤٧٣/٢ للدكتور على سامى النشار) . وكتاب (كشف أسرار الباطنية ص ٦٤ لليمانى) .

لا يوجد فى أرض الحرمين الشريفين مشرك واحد لا من أمريكا ولا من إسرائيل ولا من غيرها . فالجميع مسلمون وضيوف للرحمن يرجون رحمته ويخافون عقابة .
وبالطبع إن اعتبار السنة مشركين هذا من صميم عقيدة الخمينى ، لأن السنة من العوام ، والنواصب ، وهم كفار تستباح دماؤهم وأعراضهم ومقدساتهم[1] .

وقديما تعلل القرامطة فى اعتداءاتهم على الحرم الشريف سنة ٣١٧ هـ وقتلهم نحو ثلاثين ألف حاج وردم بئر زمزم بجثثهم ، ودفن الباقى فى أرض الحرم من غير غسل ولا صلاة ولا تكفين وانتزاع الحجر الأسود ، كل ذلكم وغيره كما مر معنا - مستساغ وله علة وأسباب وحجج شيطانية كحجج الخمينى .

فقد برر أبو طاهر سليمان الجنابى فى سنة ٣١٧ هـ اعتداءاته هذه بقوله : (بأنه ما فعل ذلك إلّا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس ، وإن طوائف منهم) أى أهل السنة ادعوا أنهم أبرار ، ومعاينتى لهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله ، ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

فهذا القرمطى الشيعى يخاف الله رب العالمين ، ويحرص على تطبيق شرع الله ، وتنفيذ حكمه ، فقتل من قتل وفعل ما فعل تقربا إلى الله فى الشهر الحرام والبلد الحرام ؟ ! !

وقد برر هدمه لمساكن المسلمين السنة فى رده على الخليفة العباسى المقتدر بقوله وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار ، فأى مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها سمعت الكذب على الله ورسوله[2] الخ .

ويؤكد الدكتور على سامى النشار أن غاية أبى طاهر سليمان الجنابى من خلع الحجر الأسود والعبث بالبيت الحرام وحجاجه ، كانت إيقاف الحج بإرهاب الحجاج ، لأنه يتم على مذهب أهل السنة ، وباسم الخليفة العباسى عدو آل البيت ، وكان أبو طاهر قد فعل ذلك لاعتقاد أنَّ دور الإمام المنتظر قد أظل

---

(١) راجع كتب الخمينى (كشف الأسرار والحكومة الإسلامية .. وغيره) .
(٢) نقلا عن كتاب (نشأة الفكر الفلسفى ٤٦٦/٢ للدكتور النشار) .

زمانه ، وأنه يمهد الأرض له .

وهو الشيء ذاته الذى قاله الخمينى للحجاج الإيرانيين فى خطبة ألقاها عليهم . فإن يكفر فقد كفر أخ له من قبل ، وإن يكذب وينتحل الحجج فليس فى ذلك غرابة لمن كان تسعة أعشار دينه فى الكذب (التقية) !

لقد فسر الخمينى ورجال دينه الذين مكن لهم من رقاب المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، لقد فسروا الحج وسائر العبادات تفسيرات تتناسب مع نفوسهم ونياتهم الخبيثة فى فرض سيطرتهم على العالم الإسلامى كله ونشر مذهبهم ومعتقداتهم الكافرة .

وقد نشطت حركة التأليف والنشر والتوزيع بملايين الكتب والنشرات والمجلات التى توزع مجانا وتصل إلى كل إنسان فى أى مكان كان .

من ذلك أنهم أنشأوا مؤسسة للحج للتأليف والنشر ، وقد نشرت هذه المؤسسة عشرات الكتب وآلاف المجلات وملايين النشرات . من ذلك (كتاب الحج) تأليف عباس الزنجانى سنة ١٤٠٥ هـ . فقد تأول النصوص تأويلا يخرجها عن مضمونها وحقيقتها لتلائم الضلالات الخمينية . فقد تأول مفهوم (الجدال) فى قوله تعالى : ﴿ ولا جدال فى الحج ﴾ بقوله : (أى الجدال نهى عنه فى الحج ؟) .

أهذه الحركة السياسية العبادية التى تحدث فى أيام الحج ببركة انتصار الثورة الإسلامية فى إيران ، بقيادة الإمام الخومينى حفظه الله وبفضل انتشار الوعى والتفقه الإسلامى الصحيح ، وصحوة الشعوب الإسلامية ؟ !

أهذه المسيرة الداعية إلى توحيد صفوف المسلمين أمام الكفر والإلحاد والاستكبار العالمى ؟ ! !

أهذه المسيرات الشاجبة كل الخونة المتلاعبين بمقدرات الأمة الإسلامية والمتاجرين بالشعوب فى أسواق السياسة ؟ !

ويخرج من كل هذه الأسئلة الإنكارية إلى إباحة المظاهرات والهتافات بحياة الخمينى وسقوط أعدائه ، وكذا إباحة تصدير الثورة عن طريق الحجاج ولو أدى

ذلك إلى إجبارهم على الهتاف معهم ! !

ويعترف الكاتب الخمينى بالآثار السيئة التى تؤدى إليها المظاهرات والمسيرات فى الحج ، فيقول :

(صحيح أن هذه الحركة المقدسة السياسية العبادية فى الحج قد تجر إلى العداء ، ولكن ينبغى أن نعرف الجانب الآخر من هذه المعاداة ، هل إنها معاداة بين المسلمين ، أم معاداة بين أبناء الأمة من جهة ، وبين المتسلطين المعتدين الغزاة من كل أعداء الإسلام من جهة أخرى) .

ثم يستطرد إلى القول مبينا أن حماة الحرم وسدنة البيت ليسوا مسلمين وأنهم كفرة لأنهم يقفون فى وجه هذه المسيرات والمظاهرات فيقول :

وإن انجرت الحركة التوعوية إلى تلك المعاداة من أهداف الإسلام ومن غاياته ، وليست حراما بل من واجبات الإسلام ، فعلى أولئك الذين يواجهون الصحوة الإسلامية فى موسم الحج بقمع وكسر ووحشية أن يعلموا أنهم هم العاملون على البغضاء والتفرقة والتشتت بين الأمة الإسلامية ، وليحذروا أن يكونوا مصداق قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

هكذا وبمنتهى البساطة والسهولة يطلق كلمة « الكفر » على المسلمين لأنهم لا يوافقون حكام طهران على هذه الغوغائية والهمجية ! !

ولا يكتفى ذلك المأفون الأفاك الأثيم بإلقاء كلمات « الكفر » هكذا يكيلها جزافا على المسلمين السنة ، بل يعود إلى توضيح الأسلوب الذى يجب أن يواجه به هؤلاء الغوغاء أهل الحرمين خاصة والسنة عامة ، فيقول :

وبهذا الأسلوب واجهنا الانحراف فى إيران ، نفس هؤلاء المسلمين الغيارى ، الذين يدوى صوتهم فى رحاب الأرض المقدسة بالتكبير ، ومن البراءة من المشركين والكافرين فى موسم الحج ، فلو أحسوا بوجود أيد عملية عابثة تريد استغلال الموسم لتنفيذ مصالحها الدنيئة ومصالح أسيادها لاتجهوا بقبضاتهم وبعزمهم نحو تلك الأيادى الآثمة لتلقنها درسا لن تنساه أبدا ، حتى ولو لم يوجد جندى واحد ولا شرطى واحد يصد هذه الفئة المغرضة لتحقق بذلك مضمون

قوله تعالى : ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾ .

ثم ينتهى الكاتب الخمينى إلى تحديد أهداف الحج بقوله :

(تجزئة الحج والإيمان بظاهره وترك محتواه ما هو إلّا تجزئة للإيمان ، ما نريده من الحج هو إعلان البراءة من الممارسات السياسية الظالمة لجبهة الكفر والشرك ، والدعوة إلى الوحدة ، ومواجهة المد الإلحادى الكافر) .

فترى من مقال الكاتب كيف أن أهل السنة فى اعتقاده كفار ، وأن مفهوم الوحدة عنده هو امتداد الإمبراطورية الخمينية لتشمل كامل تراب البلاد الإسلامية على أن تكون قاعدة انطلاق الإمبراطورية مكة المكرمة ، فمن مكة المكرمة يريدون نشر أفكارهم ومعتقداتهم الفاسدة عن طريق عرضها على حجاج الأمة الإسلامية بواسطة هذه المسيرات والمظاهرات والصور والملصقات والنداءات .

وقد أبانوا عن نياتهم الخبيثة ، ونواياهم السيئة من استغلال موسم الحج ، وتجمع أكبر عدد من المسلمين من شتى أقطار الأرض ، متعللين بفعل الرسول الأعظم ﷺ فى عرض الدعوة فى موسم الحج . يقول الكاتب :

(إن رسول الله كان يستثمر موسم الحج أفضل استثمار فى الاتصال بالأفراد والقبائل العربية . ولعل المركز الذى تتمتع به مكة فى استقطاب القبائل لدى موسم الحج هى التى جعلت رسول الله يبقى فيها ثلاثة عشر عاما متحملا ألوان المشاق . وكتب السيرة تنقل صورا كثيرة من اتصالات رسول الله بالشخصيات والقبائل العربية فى موسم الحج . فكيف يترك صاحب الدعوة المباركة هذا الجمع الغفير المتدفق على مكة من كل حدب وصوب دون أن يسمعهم كلام الله) .

إن هذا الكلام فى منتهى الخطورة ، ويكشف العديد من النوايا الإيرانية للأمة الإسلامية ، وأول هذه النوايا : أن النظام الإيرانى يرى الأمة الإسلامية مجموعة من الكفرة الذين لم يؤمنوا بعد ، وأن المؤمنين الحقيقيين هم جماعة الخمينى ، وعليه وهو فى مقام الرسول الأعظم أن يقوم بواجب التبليغ للدعوة (ويعنى بها الدعوة الخمينية –أى –الدين الصحيح) عليه أن يستثمر وجود المشركين (المسلمين) حول البيت العتيق ويسمعهم آراء ومعتقدات الخمينى كما كان رسول الله ﷺ

يسمعهم كلام الله . فكلام الخمينى وهتافاته بمثابة آيات الله وكلماته ! ! ودعوة الخمينى بمثابة الدعوة إلى الله . والمسلمون من حجاج ومقيمين بمثابة المشركين ! !

ودعاة الخمينى يريدون تصدير أفكار قائدهم وإمامهم إلى جميع المسلمين فى موسم الحج عن طريق أخذ مبايعتهم وأخذ العهد عليهم تماما كما فعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى بيعة العقبة ، حتى يجد الخمينى له أرضا جديدة فى بلاد المسلمين ، وحتى يجد له أنصارا يروجون لدعوته وينشرون مذهبه ، وهكذا .

ويوضح كاتب إيرانى آخر مفهوم « الوحدة » عند الخمينى وشيعته ، بأنها تصدير للثورة الخمينية ، وإقامة الإمبراطورية الإيرانية على كامل البلاد الإسلامية وأن خير وسيلة يجب استغلالها هى الحج .

ففى كتاب (حرم كجاست) أى (أرشدنى إلى طريق الحرم) نشر فى عام ١٤٠٥ هـ يقوم الرسام الإيرانى « ناصر » برسم صور الحج ، مبتدأ بمفهوم الوحدة الذى يعنى التقاء كل المسلمين ، ومن خلال الصور يتم تلقيح فكرى ، وذلك بتصدير الثورة من قلوب الإيرانيين وأفواههم إلى الحجيج من كل مكان ، فيرجعون وقد حملوا جميعا صورة الخمينى ، وثورة الخمينى ، عن طريق الوحدة والبراءة ؛ الوحدة تحت إمامة الخمينى ، والبراءة من الكفر باعتناق المذهب الشيعى .

ويعتبر الخمينى جميع المسلمين (السنة) أعداء له ولثورته ، ويحرض الحجاج الإيرانيين خاصة والإيرانيين عامة على قتال المسلمين وإراقة دمائهم لنشر المذهب الخمينى فيقول :

(الشيطان الأكبر المذعور من صدور الثورة الإسلامية فى إيران إلى سائر البلدان الإسلامية ، وغير الإسلامية ... دافعوا حيثما كنتم عن إسلامكم ووطنكم وقاوموا عدوكم) .

ويتكرر التحريض لإراقة دماء المسلمين السنة كثيرا على ألسنة المسئولين والكتاب الإيرانيين ، ويعتبرون الدم وسيلة من وسائل « النصر » .

فهذا (محمد على التسخيرى) مؤلف كتاب (روافد الشعور عند المسلم الحاج) سنة ١٤٠٥ هـ .

يقول : (إن العيد يحمل معانى كبيرة ويوم انتصار التضحية والدم على الطاغوت والشيطان) .

ثم يقول : (إن لقمة لابد أن تأكلها قد غمست فى الدم) .

ويفسر الكاتب الخمينى فيلسوف النظام الإيرانى (عباس الزنجانى) هذه الأقوال فى كتابه الذى صدر سنة ١٤٠٥ هـ باسم (الحج) فيقول متحمسا :

(إنها لمأساة أيها المسلمون ، ما بعدها مأساة أن يتهم كل الدعاة إلى حج حقيقى إسلامى ، بأنهم مبتدعون فى الحج !

إنها لمأساة ما بعدها مأساة ، أن يكون موسم الحج بكل حركاته وسكناته تحت سيطرة أمريكا عدو الإسلام والمسلمين بشكل مباشر وغير مباشر .

إنها لمسئولية كبرى يتحملها المسلمون عامة ، وخادم الحرمين الشريفين خاصة ، تتمثل فى كسر هذه الأوثان القائمة فى البيت الحرام ، وتطهيره من الشرك ، كى يعود قاعدة التوحيد ، ومنطلقا لنهوض الأمة) .

ثم يقول : (التخاذل أمام أعداء الإسلام ، ومنع المسلمين من الهتاف فى موسم الحج ضد أمريكا وروسيا وإسرائيل لا يقى ولاة الأمور من خطر الطواغيت . فلم التخاذل ياحكام السعودية ؟ ! ! لماذا تخشون طواغيت الأرض والله أحق أن تخشوه ؟ ! ! وإذا كان الله معنا فمن علينا ؟) .

ياسبحان الله يأبى الله إلا أن يكشف أعداء الله ، ويفضحهم ويكشف أسرارهم ، ويهتك أستارهم فماذا يعنى الكاتب الخمينى بقوله : (إنها لمأساة أن يتهم كل الدعاة إلى حج حقيقى إسلامى ، بأنهم مبتدعون فى الحج) .

فهل حج المسلمين السنة غير حقيقى ؟ وإذا كان غير حقيقى فهذا يعنى أنه باطل (فليس بعد الحق إلّا الضلال) . فالمسألة إما حق أو باطل . أليس هذا القول هو ما قاله الشاه عباس الصفوى بأن حج المسلمين السنة (باطل) وأنهم ليس لهم حج ، والحج فقط للشيعة ، لأنهم أنقى نفسا ، وأطهر قلبا ؟ !

وأى سيطرة لأمريكا على (حركات الحج وسكناته) ؟ ! ! أصحيح هذا القول ؟ أم أنه محض افتراء وهو الإفك والبهتان بعينه .

فهل يختلف حج المسلمين اليوم عن حجة الوداع ؟ حجة الرسول الأعظم ﷺ ؟ وهل أحدث المسلمون اليوم حجا أمريكيا ، فى منسك من مناسك الحج ؟

ولكن لا يستغرب هذا القول من جماعة جعلت الكذب لها دينا تتقرب إلى الله به ؟ !

وأية أوثان تلك (القائمة فى البيت الحرام) حسب زعم المؤلف المحترم ؟ حتى يدعو الأمة الإسلامية كلها (لتطهير البيت من الشرك كى يعود قاعدة التوحيد ، ومنطلقا لنهوض الأمة) .

أية أوثان تعنون يا معشر الخمينيين ؟ وأى تطهير تقصدون إنه ذبح المسلمين السنة كما فعل سلفكم القرمطى حين ادعى نفس الادعاء - كما مَرّ معنا سابقا - بأنه قتل ثلاثين ألف مسلم فى الحرم لتطهير الحرم منهم ! ! إنها نفس الشنشنة ! ! إنها نفس الاسطوانة الحاقدة ، إنها نفس الدعوى الشيطانية السابقة صفوية كانت أم قرمطية والشىء من معدنه لا يستغرب .

ومالنا نذهب بعيدا ونقول إن مصدر هذا الاعتقاد هم القرامطة أو الصفويون أو غيرهم من أبناء هذه الطائفة .

فالحق :أنهم جميعا قديما وحديثا يعتقدون نفس الاعتقاد ، فهو من أسس مذهبهم وعقيدتهم ، وأن الحج للشيعة فقط أما المشركون والنواصب فإنهم لا حج لهم وحجهم شاهد عليهم لا لهم .

فقد جاء فى كتاب (فروع الكافى) لثقة الإسلام (الشيعة) أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى فى « كتاب الحج » تحت باب (بدء الحجر والعلة فى استلامه)[1] .

---

(١) فروع الكافى ١٨٥/١٨٤/٤ .

قال الكليني بالحرف الواحد :

(إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهو جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت فى ذلك الركن لعله الميثاق وذلك أنه لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق فى ذلك المكان . وفى ذلك المكان تراءى لهم ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام فأول من يبايعه ذلك الطاهر وهو الله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم وهو الشاهد لمن وافاه فى ذلك المكان والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذى أخذ الله عز وجل على العباد .

وأما القبلة والاستلام فلعله العهد تجديدا لذلك العهد والميثاق وتجديدا للبيعة ليؤدوا إليه العهد الذى أخذ الله عليهم فى الميثاق فيأتوه فى كل سنة ويؤدوا إليه ذلك العهد والأمانة اللذين أخذا عليهم .

ألا ترى أنك تقول : أمانتى أديتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاة والله ما يؤدى ذلك أحد غير شيعتنا ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شيعتنا وإنهم ليأتوه فيعرفهم ويصدقهم ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم وذلك أنه لم يحفظ ذلك غيركم فلكم والله يشهد عليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر وهو الحجة البالغة من الله عليهم يوم القيامة يجىء وله لسان ناطق وعينان فى صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره ، يشهد لمن وافاه وجدد العهد والميثاق عنده ، بحفظ العهد والميثاق وأداءالأمانة ويشهد على كل من أنكر وجحد ونسى الميثاق بالكفر والإنكار) .

تأمل هذه الكلمات التى هى أصل المعتقد الشيعى فى أوثق كتبهم الذى يعد بمثابة (صحيح البخارى) .

فالحجر الأسود يأتيه الشيعة (فيعرفهم ويصدقهم ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم) . وللشيعة (والله يشهد عليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر وهو الحجة البالغة من الله عليهم يوم القيامة) ! !

هذه هى عقيدة القوم إلى يوم القيامة ، فيشهد الحجر الأسود على غير الشيعة

(بالخفر والجحود والكفر) ! ! فكأن حجهم حجة عليهم لا حجة لهم . ومن هنا فلا حج حقيقى إلّا للشيعة على الطريقة الشيعية الخمينية الصفوية العبيدية القرمطية .. إلخ . فالأصل واحد وإن تنوعت الأسماء وتغيرت الأزمنة والأمكنة .

وهنا يتضح لك – أخى القارئ – أن مقصود هؤلاء الكتاب الخمينيين بالأوثان والطواغيت هم أهل السنة وحكامهم . وقد تكرر هذا الوصف كثيرا على لسان الخمينى نفسه وغيره من الآيات والأرواح وهذا يذكرنا بدعاء « صنمى قريش » يعنى « أبا بكر وعمر » حيث أطلق عليهما اسم الأصنام والأوثان والطواغيت ، كما ذكر فى الدعاء المرفق صورته .

وعلى هذا فتطهير البيت يعنى تطهيره من أهل السنة ؛ لأن القائم (عجل الله فرجه) (وسهل الله مخرجه) ! ! كما ذكر الكلينى يظهر عند الحجر الأسود وأول من يبايعه جبريل عليه السلام . ولن يقوم القائم حتى يتم تطهير البيت الحرام من المشركين (السنة) ومن الطواغيت (حكام السنة) .

وهنا يتضح لك الإصرار على المسيرات والهتافات وإعلان البراءة من المشركين تمهيدا لخروج المهدى المنتظر (الشيعى) كما فعل القرامطة من قبل بتطهير البيت من (السنة) حتى يخرج القائم عليه السلام . لا عجل الله فرجه ولا سهل الله مخرجه ، إنه حين يخرج سوف يحيى خلفاء المسلمين أبا بكر وعمر وعثمان وجيوشهم وقضاتهم وأنصارهم ومن يحبهم ولم يتبرأ منهم ويكفرهم ، ثم يقتلهم شر قتلة ، ويرميهم للكلاب تنهش أجسادهم . ثم يحيى عائشة ويقيم عليها حد الزنا ، ثم يحكم بشريعة داود لا بشريعة محمد عليه السلام ! ! ! !

فأى مهدى هذا ؟ أهو المهدى أم الضال الأعور الدجال ؟

إن مسألة اتهام جميع حكام المسلمين بالتخاذل والكفر والزندقة والنفاق قد ملأت جميع الكتب الشيعية القديمة منها والحديثة ، فلا غرابة فى اتهام حكام السعودية بالتخاذل ؟

لقد سار الخمينى وثورته سيرة الصفويين والقرامطة وغيرهم ممن سبقوهم فى محاولة الاستيلاء على الحرم الشريف لتحقيق مآربهم ، وإعلان البراءة من المسلمين

(المشركين) . ولكن هذا النظام (الخمينى) بما يملك من إمكانات مادية وبشرية قد أعطى لهذه المسائل العقائدية زخما أكبر ، ودعاية أوسع فقد ألفت مئات الكتب ووزعت ملايين النشرات بمختلف اللغات فى جميع أنحاء العالم ، وأنفقت آلاف الملايين من الدولارات على هذه الأفكار الخمينية ، وكلها تردد نفس الدعاية للمسيرات والبراءة وتطهير الحرمين الشريفين .

فهذا الكاتب الخمينى (محمد على حسين) يدافع فى كتابه (دور الحج فى المسيرة التاريخية) المطبوع سنة ١٤٠٢ هـ عن أحداث الشغب فى الحرم ، متخذا من العقائد الشيعية مرتكزا يعتمد عليه ، فيقول :

(من الطبيعى أن يتغير حج الأمة فى إيران ، إن أبناء الجمهورية الإسلامية لا يؤدون هذه الفريضة فى إقليمهم بل فى إقليم إسلامى آخر هو الحجاز) .

وتأمل كلمة (الحجاز) كأن الكاتب ينكر على المملكة العربية السعودية حقها فى ولاية الحرمين الشريفين ، أو كأن الحرمين الشريفين ليسا من الأراضى السعودية . .

ومما يؤكد ذلك ، ويكشف عن سوء نية الثورة الإيرانية ، وأطماعها التوسعية ، وطموحاتها فى إقامة إمبراطورية لها على كامل البلاد الإسلامية بأن يجعل من الاستيلاء على الحرمين قاعدة ينطلق منها النظام الإيرانى إلى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

يقول الكاتب :

(وثمة فئة فى الحجاز تدعى وصيانها الموروثة عليه ، وتدعى أن لها الحق فى التحكم بكل أمور الحج ، وتدعى أن الحاج المسلم عليه أن يتخلى عن همومه ، وقضاياه الإسلامية ، ومشاكله المصيرية ، وأن يهتم بنفسه فقط ، بطقوسه ومشترياته ، وهمومه الشخصية الصغيرة التافهة) .

(الحجاج الإيرانيون أرادوا أن يعلنوا فى موسم الحج ، ما يعانيه المسلمون من ظلم طواغيت الأرض من تجبر أمريكا ، وغطرسة إسرائيل ، وفتك العملاء المأجورين) .

(ولكن حركة الحجاج الإيرانيين واجهت اعتراضا ولغطا واتهاما ، قالوا : (إن الحجاج الإيرانيين يريدون أن يزجّوا السياسة فى الدين وهذه المقولة لا تصدر إلّا من كافر علمانى) .

هكذا وفى منتهى البساطة يرمى الناس بالكفر والعلمانية ! !

وأفكار هذا الكاتب وغيره من الكتاب الإيرانيين الكثيرين جدا مستقاة من الإمام روح الله الخمينى الذى يعتقد أن منع المظاهرات وإعلان البراءة مخالف لسيرة النبى ﷺ ، وقد سبق أن بينا فساد هذه الحجة الشيطانية .

وقد كون الإمام الخمينى لواء مستقلا لحرب العصابات فى أرض العدو السعودى ، كما كشف عن ذلك كتاب « المؤامرات الإمبريالية الأمريكية » المنشور فى طهران سنة ١٤٠٥ هـ . كما جاء فى الوثائق المنشورة .

وأكد الكاتب الشيعى الدكتور / سيد حسين نصر فى كتابه (الإسلام أهدافه وحقائقه) على حقيقة الحج عند شيعة الخمينى ، وأنه تغير بتغير الأحوال فرجم إبليس قد تغير وأصبح يتمثل فى الهتافات والمظاهرات التى تقوم بها طوائف حجاج إيران .

وقد أكد على هذا المعنى (أحمد جنتى) فى مقاله (الحج والتوحيد الإبراهيمى) من مجموعة مقالات فى الحج ، الكتاب الأول صادر عن مؤسسة الحج سنة ١٤٠٥ هـ .

فيقول : (ألا يعتبر أصغر حجر يمكن أن يرميهم به الحاج أو أحد أتباع إبراهيم الحنيف هو الحجر اللفظى ، الموت لأمريكا ؟ هل هناك أصغر من هذه الحصاة) ؟

إنها أفكار ومبادىء قائد هذه الثورة (الإمام الخمينى) نفسه ، فها هو يقول فى خطابه حول مسألة تحرير القدس :

(إن الصراخ والكلام ينفعان فى وجه هؤلاء (الحكومات الظالمة) ولكننا حتى الكلام لا نفعله ، إننا بالصراخ ، وبنداءات الله أكبر طردنا محمد رضا خان ، وليس بالسلاح ، فعلى المسلمين أن يصرخوا فى وجه الطغاة .. إلخ) .

والهدف من كل هذا هو ما أعلنه الخمينى بكل صراحة ، وبدون تقية بقوله : (إننا حينما نقول بتصدير الثورة إنما نريد أن نصدر هذه الروح وهذه المعنويات ..) .

الخاتمة

وبعد :

١ – فإن قدسية الحرمين الشريفين عقيدة يقينية توقيفية ، وإن حرمة مكة المكرمة كائنة منذ تكوين السموات والأرض ، وهى حرمة إلهية أزلية ، حرمها الله ولم يحرمها الناس ، والمدينة المنورة أيضا محرمة تحريما قاطعا بنصوص صريحة صحيحة .

وإن تعظيم مكة المكرمة ، والأشهر الحرم ، وشعائر الحج من شُعب التوحيد الخالص ومن دلائل الإيمان ، ومن علامات تقوى القلوب . وإن الفتنة فى الحرم ، والإلحاد فيه بظلم ، فجور ، لا يلتبس به قوم يعظمون ما عظم الله ورسوله .

٢ – إن الحفاظ على قدسية الحرمين الشريفين ، وسلامة الحجاج والعمار والزوار أمر منوط بمن ولّاه الله ورسوله أمر الحرمين ؛ وهم أهل الحرمين أنفسهم وذلك طبقا للأدلة الشرعية ، والقواعد الفقهية والقوانين الدولية . وقد قيض الله تعالى آل سعود للقيام بمسئولية الوصاية والحماية والخدمة للحرمين الشريفين .

ولذا فيجب التأكيد على الحقائق الآتية :

ا – أن أمن الحرمين الشريفين ضرورة لا تنفك عن أداء المناسك .

ب – أن إمامة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة ثابتة شرعا ، وأن إنكار حقه فى رعاية الحرمين بغى وخروج على الإمام الشرعى ، ويعاقب من يفعل ذلك بعقوبة البغاة .

جـ – أن أمن الحج والحرمين الشريفين وسلامة الحجاج والعمار والزوار مسئولية حكومة المملكة العربية السعودية ، وهى مسئولية يمليها الإيمان الغامر بالله ورسوله ، وتعظيم ولاة الأمر فى المملكة العربية السعودية ، لشعائر الله وحرماته ، إذ لا يستطيع أن يخدم هذه الأماكن المقدسة حق خدمتها إلّا من يعظمها حق

تعظيمها . وهى مسئولية يمليها الواجب الدينى ، وأمانة ولاية الأمر .

د - لقد جعل الله تعالى الأمن بمفهومه الواسع سمة من سمات الحرم ، وجعل من سمات الأمن فى الحرم ، أن الله يحاسب المرء على مجرد الهم بالسيئة ، وذلك لارتباط الأمن بالأماكن المقدسة ، حيث قرر سبحانه أمن الحرم بأمن جميع المخلوقات فيه ، فكفل الله تعالى الأمن فى رحاب بيته لجميع خلقه .

ولذا فقد أوجب الله تعالى إقامة الأمن فى الحرمين الشريفين وكفالته فى تلك البقاع الطاهرة ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ أى فأمنوه .

هـ - واستنادا لما جاء فى التنظيم الفقهى لولاية الأمن فى الحرمين الشريفين فى مصنفات السياسة الشرعية فإن خادم الحرمين الشريفين هو الأجدر والأولى بواجب حماية الأمن فى الحرمين ، حيث قام وحكومته الرشيدة بحقوق الحج والحجاج والأمة أبلغ قيام وأوفاه . حيث تعيش المملكة فى ظل خادم الحرمين الشريفين عهدا جديدا فى خدمة الحرمين الشريفين ليس فى مجال توسعة الحرمين فحسب ، بل تعيش عهدا جديدا فى مجال المواصلات والاتصالات المتطورة ، وعهدا جديدًا فى مجال استقبال الحجاج والعمار وتسهيل إجراءات دخولهم ،وتعيش عهدا جديدًا فى مجال توفير المياه الصالحة للشرب والمبردة ، وعهدا جديدا فى مجال الصحة الوقائية والعلاجية ، وعهدا جديدا فى مجال الأمن بمفهومه الشامل الواسع .. إلخ .

وإننا قياما بشهادة الحق ، واستمساكا بالخلق الإسلامى فى الاعتراف بالفضل لذوى الفضل ، لنشيد بالجهود الرائعة ، والخدمات الجليلة والأمن المكين الذى توفره الدولة السعودية الراعية لشئون الحرمين ، وخادم الحرمين الشريفين الذى نذر نفسه للقيام بهذا الواجب الشريف ، وعلى دعاة الأمة ووسائل الإعلام فيها أن يبرزوا هذه الحقيقة إحقاقا للحق ،وتكذيبا للمنكرين والجاحدين لجهود العاملين المخلصين من ولاة أمر الحرمين الشريفين الشرعيين .

و - رفض بدعة تدويل الحرمين الشريفين ، وإدانة كل من ينادى بها ، واعتبارها خروجا على أمر الله ورسوله وجماعة المسلمين ، وعبثا وسفها وخيانة لله

ورسوله وجماعة المسلمين ومقدسات الإسلام . وهى تنطوى على كل ما يهدر المسلمات الفقهية والمبادئ الشرعية والقوانين الدولية وهى تستهدف إشاعة الفوضى ، والصد عن سبيل الله ، وتعطيل الحج إلى بيت الله وضياع مصالح الدين والدنيا على أرض الحرمين الشريفين ، وستحول تلك الربوع الطاهرة إلى مرتع للهوى والشهوات والشر والفساد .

وإذا كانت النتائج محرمة ، فإن الذريعة إليها (فكرة التدويل) تأخذ حكمها فى التحريم القاطع ، كما هو ثابت : من أن للشىء حكم غايته .

ز - يؤكد المؤتمر على حرمة وقداسة الحرمين الشريفين ووجوب التزام الحجاج والزوار والعمار بآداب الحج والزيارة وعدم القيام بأية أعمال أو أقوال تتنافى مع قداسة الحرمين ولا تتصل بالحج والعمرة كالمظاهرات والمسيرات السياسية والمذهبية ، فيحرم الهتاف بأى اسم أو وصف غير ذكر الله والصلاة على رسول الله . ولا يجوز رفع الصور والشعارات ووضع الملصقات لأى أحد كائنا من كان ، حتى لا يتحول الحج إلى ميدان للصراع السياسى والطائفى .

ح - ويؤكد هذا البحث على مسئولية ولى الأمر فى وجوب حفظ الأمن ويؤيد حكومة المملكة العربية السعودية فى اتخاذ ما يكفل الحفاظ على حرمة الحرمين وسلامة الحجيج وأمنهم وراحتهم ، وتنظيم إقامتهم ومسيراتهم وتنقلاتهم فى المناسك والطرقات ومداخل المملكة ومخارجها .

ك - إن كل ما اتخذته الدولة المسئولة عن الحرمين من إجراءات تجاه الفتنة التى أقدم عليها وخطط لها النظام الإيرانى فى حج عام ١٤٠٧ هـ . كما يؤيد بشدة قرار علماء المملكة بتطبيق حد الحرابة على المفسدين فى الأرض استنادا إلى النصوص القرآنية والأدلة الشرعية والقواعد الفقهية ، فليس أمنع ولا أردع للجريمة من العقوبة التى شرعها الله عز وجل فى آية الحرابة ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ... ﴾ الآية .

ويوصى الباحث الدولة الراعية لأمن الحرمين الشريفين بعدم التهاون فى تطبيق هذا الحد الرادع على كل من يخالف تعاليم الدين بقصد الإفساد فى الأرض والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة والعامة .

ويناشد جميع الدول الإسلامية أن تحذو حذو المملكة فى تطبيق الحدود وإقامة شرع الله فى جميع شئون الحياة إن هى أرادت الخير لشعوبها وأمتها .

٣ - ويبين البحث ضرورة تأييد كافة الإجراءات التى تتخذها الدولة الراعية للحرمين الشريفين لحماية أمن الحرمين الشريفين والحج ، وسلامة الحجاج وراحتهم .

ويؤكد وقوف علماء الأمة ودعاتها وحكامها بحزم مع المملكة العربية السعودية وهى تؤدى أشرف الواجبات فى حماية المقدسات .

٤ - ويقدر موقف حكام وعلماء وشعوب الأمة الإسلامية فى وقوفها الرائع إلى جانب ولاة الأمر فى المملكة العربية السعودية دفاعا عن قدسية الحرمين وتأييدا للقائمين على شأنهما وخدمتهما .

ويطالب الإعلام الإسلامى بإبراز ما يلى :

ا - توعية المسلمين بعظمة وقدسية وحرمة الحرمين الشريفين .

ب - إبراز واقع الأمن والأمان والراحة والخدمات التى توفرها حكومة خادم الحرمين الشريفين للمقدسات .

جـ - كشف المخططات الإيرانية المستمرة الرامية إلى تحويل الحرمين والحج إلى ساحة للصراع المذهبى والسياسى تنفيسا عن أحقاد مكبوتة للقوى المعادية للإسلام .

د - وجوب تبصير المسلمين بما تعرض له الحرمان طوال التاريخ من اعتداءات وانتهاكات على أيدى الشيعة الباطنين الحاقدين .

نداء .. نداء

يادعاة الإسلام :

لا يغرنكم هرطقات المنحرفين وصيحات المتخاذلين من دعاة الاستسلام الذين يدعون إلى الوحدة والتقريب بين السنة والشيعة ، ويزعمون أن السلام مع إسرائيل قاب قوسين أو أدنى وأن الولايات المتحدة هى عراب هذا السلام ، إن أصحاب هذه الأصوات المحمومة عبيد لواشنطن وموسكو وتل أبيب .

خذوا حذركم أيها الدعاة واعلموا أن الحرب مع أعداء الله مستمرة إلى قيام الساعة كما أخبرنا ربنا فى كتابه العزيز ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ وقوله : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .

فالهدف واحد لكل من المشركين ، واليهود والنصارى وبقية أعداء الدين ، والتاريخ الإسلامى شاهد على تعاون الجميع على تحقيق هذا الهدف (استئصال شأفة الإسلام والمسلمين) وقد رفعوا جميعا شعارا واحدا (دمروا الإسلام وأبيدوا أهله) فالصراع حتمى ، والحرب مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد أخذت هذه الحروب أشكالا متعددة وصورا مختلفة ، منها :

١ - المعارك والاعتداءات التى يستخدم فيها العدو الأسلحة الفتاكة والمجازر البشعة .

٢ - بث روح الفرقة بين المسلمين عن طريق عملاء الماسونية فى بلادنا .

٣ - دعم وتشجيع المذاهب الهدامة : كالبهائية ، والقاديانية والنصيرية ، والدرزية ، والحركات اليسارية العلمانية ، والرافضة .

٤ - البنوك الربوية ، والاحتكارات العالمية والتأميم .

٥ - نشر الفساد وتشجيع دعاة الإلحاد ، واستغلال أجهزة الإعلام لمثل هذه الأغراض .

علينا يا دعاة الإسلام :

١ – أن نعمل على قلب رجل واحد لإحباط هذه المؤامرات والتصدى لهذه الحروب بكل ما نملك دون خوف أو وجل أو تردد .

لقد اتحد أعداء الإسلام جميعا ضدنا وأعلنوا الرصاص علينا فأين الصف المرصوص المسلم الذى يواجه صفوفهم ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ وأين الوحدة الإسلامية ونحن الذين خاطبنا ربنا بقوله : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .

ويجب ألّا نغفل عن الوحدة الإسلامية التى ندعو إليها ، تلك الوحدة القائمة على أصول عقيدتنا ، والتى قامت على كتاب الله وسنة رسوله فلاوحدة ولا تقارب مع : أهل البدع والأهواء وعلى رأسهم :

– الذين يقدمون عقولهم الملوثة على كتاب الله وسنة رسوله ، والذين ادعوا لأنفسهم العصمة ، ورفعوا أنفسهم فوق البشر .

– الذين يكفرون صحابة رسول الله ويلعنونهم ويشتمونهم ويفسقونهم . وادعوا العصمة لغير أنبياء الله .

– أهل الغلو الذين جعلوا من أهوائهم دينا ، وأقدموا على وضع أصول غير أصول أهل السنة والجماعة .

– الذين أظهروا النفاق ، وكانوا عونا للعدو على إخوانهم المسلمين .

٢ – إن طريقنا لحماية مقدساتنا وتحريرها من الأرجاس والأنجاس لا يكون إلّا بالجهاد فى سبيل الله ، امتثالا لأمر الله :﴿ وأعدوا لهم ... ﴾ الآية .

فعلى الأمة الإسلامية أن تسير عل ما سار عليه رسولها ﷺ ، والذين جاهدوا معه لتحرير المقدسات وحمايتها من المعتدين والطامعين والحاقدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه أجمعين .

المؤلف

الأمين العام المساعد

لشئون الجامعات والتعليم والدراسات

أهم محتويات الكتاب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رقم الإيداع ٤٨٣٣ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى ٧ - ٣٨ - ١٤٥٠ - ٩٧٧

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة